مذكرات مرتضى المراغى

شاهد على حكم فاروق



دار المعارف

مذكرات مرتضى المراغى



آخر وزراء الداخلية قبل الثورة



بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

المراغى، أحمد مرتضى، ١٩٠٩ - ١٩٩١ .
شاهد على حكم فاروق : آخر وزراء الداخلية قبل الثورة .
مرتضى المراغى .
- ط ١ - القاهرة : دار المعارف، ٢٠٠٧ .
٣٠٨ ص ؛ ٢٤ سم .
تدمك ٢ - ٧١٧٥ - ٢ - ٠ - ٩٧٧ - ٩٧٨
١- المراغى، أحمد مرتضى، ١٩٠٩ - ١٩٩١.
٢- مصر - تاريخ - العصر الحديث - الملك فاروق، (١٩٣٦ - ١٩٥٢)
أ- العنوان .

ديوى ٩٢٠

رقم الإيداع ٢٦٢٤٣ / ٢٠٠٧ — ٥٥ / ٢٠٠٧ / ١

تصميم الغلاف والإخراج الفنى
الفنان شريف رضا

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج . م . ع
هاتف : ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس : ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

كلمة عن صاحب المذكرات والمسلسل الذى جدد شبابها

كنت أسمع عن مرتضى المراغى وأنا صغير فقد كان مديرًا للأمن العام وهو منصب بالغ الخطورة ثم وكيلا لوزارة الداخلية وفى عام ١٩٥٠ ازدادت شهرته عندما أصبح محافظا للإسكندرية واستطاع - كما فعل اللواء محمد المحجوب عندما تولى منصب محافظ الاسكندرية - أن يسلط عليها الأضواء نتيجة مجهوداته وشخصيته.. ثم فى يوم ٢٧ يناير ١٩٥٢ وهو اليوم التالى لأحد الأيام الفريدة فى القاهرة التى تعرضت للحرائق فى ذلك اليوم بشكل غير مسبوق، تولى مرتضى المراغى وزارة الداخلية.. وعلى رغم تغير رؤساء الوزارات فى الشهور التالية فقد ظل مرتضى المراغى يتولى وزارة الداخلية. وفى بعض الوزارات كان يجمع معها وزارة الحربية.. ومن هنا كانت أهميته باعتباره الوزير المفروض أن يعرف الكثير، وكان آخر وزير داخلية قبل أن يقع انقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢.. بمعنى آخر أنه كان الوزير الذى كان عليه أن يعرف ما كان يجرى فى الخفاء ضد نظام الحكم أيا كان، أى بصرف النظر عن فساده أو صحته فقد كان عمله أن يحمى هذا النظام ويكشف الذين يتربصون به..

من هنا كان تقديرى الكبير له عندما زارنى فى صيف عام ١٩٨٥ فى مجلة أكتوبر وكنت وقتها أرأس دار المعارف ومجلة أكتوبر وقد سألنى إن كان يستطيع نشر مذكراته فى المجلة. ولم أتردد لحظة فى الموافقة وبدأ يرسل لى أوراق المذكرات..

لم تكن ظروف النشر فى تلك السنوات فى منتصف الثمانينات - بالنسبة للقراءة عن فترة حكم فاروق - هى نفسها الظروف الموجودة اليوم. فقد طرأت تغيرات كان من ثمرتها مسلسل «الملك فاروق» الذى كتبته الدكتورة لميس جابر بحرفية وأمانة فى عرض كثير من الوقائع، والذى كان حافزا قويا لإعادة نشر هذه المذكرات فى كتاب. وسوف يجد القارئ أن قيمة

هذا الكتــاب (مذكــرات المراغى) الذى بين أيدينا تكشــف له ولأجيال غابــت أو غُيبت عن تاريخـها وركنت إلى أنه تاريخ أسود كئيب، أن هذا التاريخ لم يكن بهذه الصورة المظلمة التى جرى تسويقه بها وأن هناك فترات مضيئة ومواقف مجيدة في خلال هذه الفترة التى اطلقت عليهـا ثورة يوليو ١٩٥٢ «العهـد البائد» فمصر الناس والزعامـات والرجال.. لهذا اختلف المزاج العام اليوم بالنسبة للقراءة عن فترة فاروق..

لقد بحثت يومها عام ١٩٨٥ عن مناسـبة أبدأ بها نشـر مذكرات مرتضى المراغي ووجدت هذه المناســبة يوم ٢٦ يناير ١٩٨٦ الذى بدأ فيه نشـر هذه المذكرات إذ كان هذا اليوم يوافق ذكرى مرور ٣٤ ســنة على حريق القاهرة. ذلك أنه في الســاعة الثالثة من صباح الاثنين ٢٨ يناير ٥٢ بعد ساعات من إخماد نيران حريق القاهرة فوجئ مرتضى المراغي الذى كان في ذلك الوقت في القاهرة بتليفون من الملك فاروق يقول له فيه: أنت إيه اللى مخليك في اسكندرية؟ قال المراغى مستغربًا: هو جلالتك عينت حد تانى محافظا للإسكندرية؟ قال فاروق ضاحكًا: مــش كده.. انت أصلك بقيت وزير داخلية هو على ماهــر ما اتصلش بيك. قال المراغي: والله مــش عارف يا مولانا مين المفروض يتصل بى فــى الحالة دى.. جلالتك ولا على ماهر.. أصل أنا لم أدخل الوزارة من قبل.

قال فاروق: زى بعضه. انزل مصر بقى علشان تحلف اليمين وهكذا أصبح مرتضى المراغي وزيرا للداخلية..

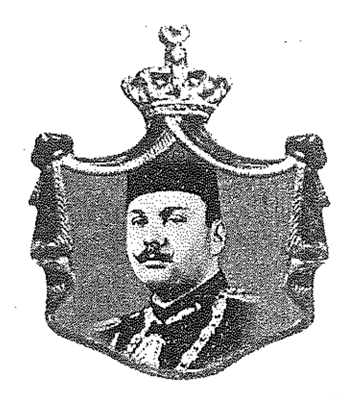
ومــن الغريب أنــه وضع اهتمامه بعد توليــه الوزارة محاولة معرفة المســئول عن حريق القاهرة لكنه لم يجد حماسا في مساعدته. وعلى رغم أن فاروق هو الذى اختاره وزيرًا - وكان يمكن لو طال حكم فاروق أن يعينه رئيســا للوزارة - إلا أن المراغى - كما سيعرف من يتابع المذكرات - ركز المســئولية عن حريق القاهرة في اثنــين: الملك فاروق، وضباط الثورة قبل أن يقوموا بالثورة.. وكان سنده في ذلك أن الثورة التى فتحت كثيرا من الملفات القديمة لمحاسبة المسئولين عنها لم تقترب ولم تحاول الاقتراب من ملف حريق القاهرة!

وعلى الرغم من أن الثورة حاكمت عددًا غير قليل من الوزراء السابقين بتهمة الفساد إلا إنها لم تقــترب من مرتضى المراغى إلا مؤخرًا في عــام ١٩٦٥ وكان المراغي يعيش وقتها في إيطاليا عندمــا اتهمه الرئيس جمال عبد الناصــر في خطاب ألقاه بأنه - أى المراغي - كان يعد لمؤامرة لقلب نظام الحكم وأنه قام بتســليم أحد الضباط لتنفيذ الانقلاب شــيكا بمبلغ ١٦٧ ألف جنيه و٣٥٠ مليما.. وعلى رغم أنها تبدو نكتة أن يكون الاتفاق على مؤامرة «بشـيك» وبفلوس فكة،

فإنه بناء على هذا الاتهام فى خطاب الرئيس قدم المراغى للمحاكمة وحكم عليه بالسجن ١٥ سنة ولم يستطع المراغى أن يعود إلى مصر إلا بعد وفاة جمال عبد الناصر وكانت المصادفة أن يصل إلى القاهرة بعد أن سمح له السادات بالعودة على وعد بالعفو عنه وهو ما تحقق بعد سنة.

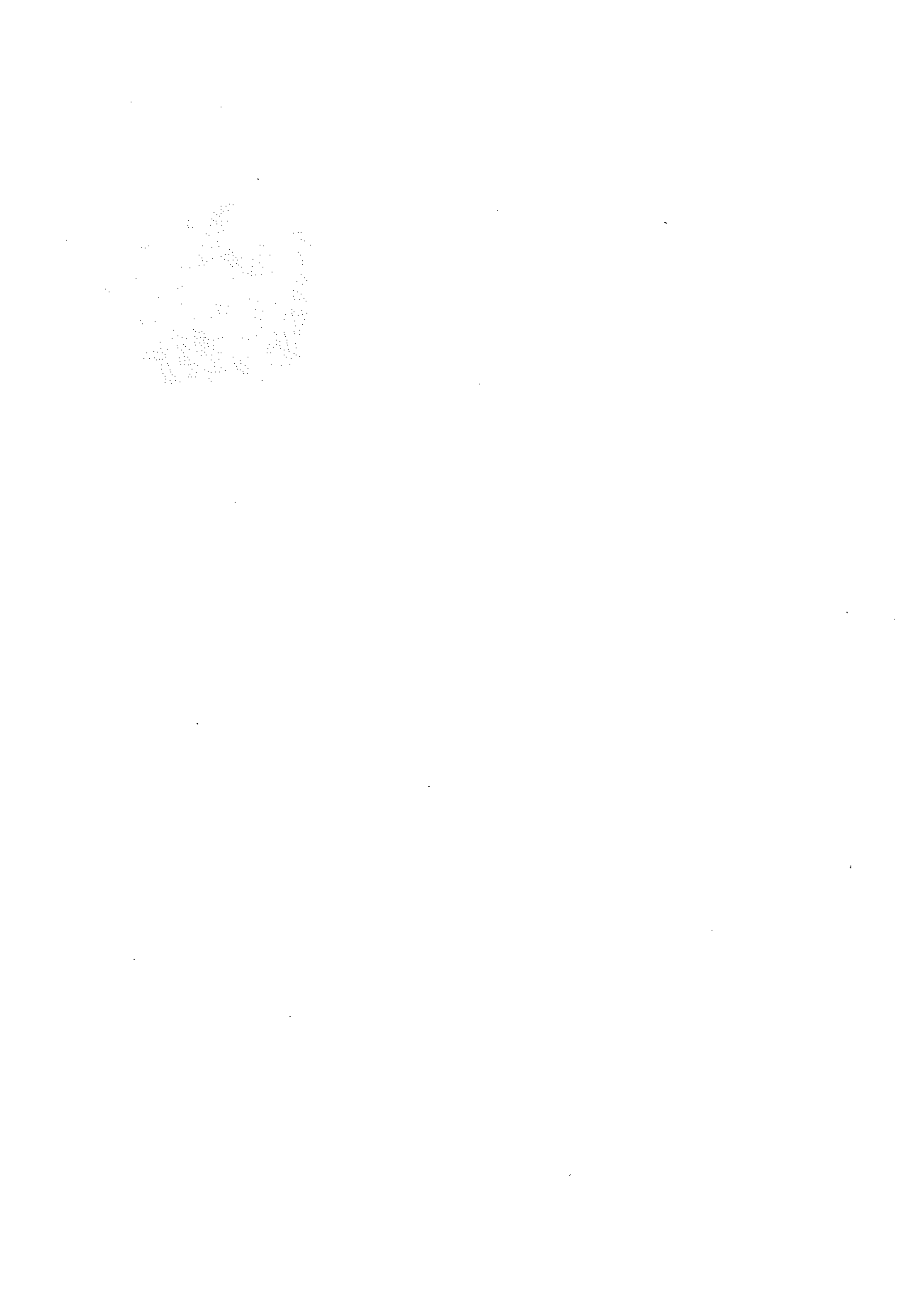
نشرت هذه الحلقات على ٢٢ اسبوعا فى مجلة أكتوبر وكان يمكن أن يكون لها صدى واسع لكن الظروف التى تحدثت عنها والوعى المفقود عن تاريخ حكم فاروق كان مسيطرًا. اليوم يبدو أن الوعى قد عاد.. وأن الاهتمام قد أصبح كبيرا بما جرى إسقاطه عمدًا فى بئر النسيان.. ليكون الاحتفاء المناسب بصاحب هذه المذكرات الذى لقى ربه يوم ٢٨ يناير ١٩٩١.

صلاح منتصر



أنباء غير سارة

- الإسكندرية تحت الحراسة.
- هل كان يمكن أن يحدث فى الإسكندرية ما وقع فى القاهرة؟
- فى أول يوم للوزارة كان علىّ أن أعرف من الذى أحرق القاهرة.
- إجازة سعيدة قضاها جنود بلوك النظام فى العامرية يوم حريق القاهرة.



في العاشــرة من صباح الســبت ٢٦ يناير ١٩٥٢. دق التليفــون الموجود في مكتبي في الإســكندرية - وكنــت محافظا لها - لأسمع على الطــرف الآخر. وزير الداخلية فؤاد سراج الدين يسألني كيف الحال عندك في الإسكندرية ؟!

قلت: هادئ.. شوية مظاهرات يمكن في الجامعة وبعض المدارس.

قال: وبلوك النظام مشترك فيها ؟

قلت بسرعة: أبدا .. مين قال كده ؟

قال: غريبة.

وســكت استلفَتَ نظري كلمة غريبة التي كان يبدو منها أن اشتراك قوات بلوك النظام في المظاهرة أمر عادي، وأن الاستثناء أو الغريب هو عدم اشتراكهم.

قلت: وهل بلوك النظام عندكم في القاهرة مشترك في المظاهرات ؟!

- قال: نعم..

- قلت وكيف الحال في القاهرة ؟

- قال: هناك مظاهرات ولكن الموقف هادئ بصورة عامة.

حصر الخسائر

وانتهى الحديث التليفوني..

وما هي إلا ســاعة أو أكثر حتى بدأت الأخبار ترد من القاهرة حاملة أنباء الكوارث التي بدأت تواجهها العاصمة.. فندق شــبرد الكبير - وكان مكانه في شــارع إبراهيم باشا وحاليا شارع الجمهورية - يحترق، والنزلاء يلقون بأنفسهم، أو يُلقى بهم من الأدوار العليا للنجاة من الحريق. المتاجر والمحلات الكبرى التي يملكها الأجانب تحترق وينهب ما فيها. البنوك يتم اقتحامها والاســتيلاء على خزائنها ونهبها أو إلقاؤها من النوافذ لكي تقع في الشــوارع ليلتقطها المارة ويتقاسموا ما فيها!

نـادى «الترف» – أو «الـترف كلوب» وهو نـاد إنجليزى – كان مكانـه محطة البنزين الموجودة فى شارع عدلى – يهاجم ويضرب الإنجليز داخله ويقتلون.. دور السينما تحترق .. الملاهى والمتاجر تشتعل فيها النيران..

هل كان كل هذا صحيحا أو إنها أخبار من نوع الشائعات؟! فالصورة كانت تتضخم وتحمل تفاصيـل مهولة حتـى تصورنا أن القاهرة كلها قد احترقت.. ولكنْ.. بعد أن تبددت سـحب الدخان الكثيفة التى أحاطت بالقاهرة فى ذلك اليوم العجيب من تاريخها .. وبعد أن انفضت الجموع التى ملأت الشوارع، واستعادت أجهزة الأمن سيطرتها على هذه المدينة الجميلة التى يعود تاريخها إلى ألف سنة مضت، تبين أن الحريق أصاب:

٣٠٠ محل..

١٠٧ مكاتب أعمال..

١٣ فندقا..

٤٠ دارًا للسينما..

١٦ ناديًا ..

٣٣ مطعما وصالة رقص وملهى..

٨ محلات لبيع السيارات..

بنكا واحدًا..

٩٢ بارًا ..

.....

.....

لم تكن الخسارة سهلة كما هو واضح، وإنما كانت جسيمة ومذهلة.

وعلى رغم ذلك ظل حريق القاهرة سـرا مطويا .. وظل السؤال: من الذى أحرق القاهرة؟! لغزا محيرا!!..

وكان قدرى أن أدخل الوزارة لأول مرة فى حياتى وزيرًا لداخلية مصر يوم الأحد ٢٧ يناير ١٩٥٢. لكى أحاول الإجابة عن هذا السؤال اللغز..

ولم أكـن فى ذلك الوقت قد أكملت ٤٢ سـنة .. فأنا من مواليـد ١٤ يوليو عام ١٩١٠. وقد عملت فور حصولى على ليسـانس الحقوق معاونا للنيابة، ثم محاميا بقضاء الحكومة. ولصلة بين والدى المرحوم الشـيخ مصطفى المراغى شـيخ الأزهر الأسـبق ومحمد باشا محمود رئيس

الوزراء.. فقد عملت سكرتيرا له لكنني استقلت من الوظيفة ورشحت نفسي عام ١٩٣٨ لمجلس النواب عن دائرة المراغة بلدتي في محافظة سوهاج مستقلاً عن جميع الأحزاب، وكنت واحدا من أصغر الذين عرفوا طريقهم إلى البرلمان.

كان من المفروض أن أعمل بالمحاماة، لكن القدر اختار أن أعود إلى الوظيفة وأن أنتقل للعمل وكيلا لمحافظة القناة وكانت تضم بورسعيد والإسماعيلية، ثم وكيلا لمحافظة الإسكندرية، ثم محافظا للسويس، فمديرا لمديرية بني سويف ثم القليوبية ثم قنا. وفي عام ١٩٤٧ عينت مديرا للأمن العام ثم وكيلا لوزارة الداخلية حتى عام ١٩٥٠ حيث عينت محافظا للإسكندرية.

ومن الإسكندرية وصلت إلى القاهرة يوم الأحد ٢٧ يناير ١٩٥٢ لأدخل وزارة على باشا ماهر وزيرا للداخلية.

وكان أمامي أن أحاول الإجابة عن هذا السؤال اللغز: من الذى أحرق القاهرة ؟!

هل كان يمكن أن يحدث في الإسكندرية ما وقع في القاهرة ؟

كثيرا ما فكرت في ذلك..

ولا أعرف هل هو الحظ أو هو الحرص الذى جعلني - وكنت المسئول عن الإسكندرية في نفس يوم حريق القاهرة - أتخذ ما اتخذت من احتياطات وإجراءات.

كان يوم ٢٥ يناير يوافق يوم جمعة.. يوم الإجازة.

وبعد الظهر وكنت في منزلي في حي زيزينيا بالإسكندرية، أحسست برعشة خفيفة جعلتني أسارع إلى تناول فنجان شاى وحبة أسبرين..

وربما نمت ساعة، أو أكثر .. وعندما استيقظت وكانت الساعة تقترب من السادسة مساء، مددت يدى إلى جهاز الراديو الكبير الذى يوجد إلى جوار السرير على مائدة خاصة، فلم تكن أجهزة الراديو الترانزستور قد ظهرت بعد.. حولت مؤشر الراديو إلى محطة لندن وكان أول خبر اسمعه عن وقوع صدام بين قوات الشرطة المصرية أو ما يسمى «بلوك النظام» والقوات الإنجليزية في مدينة الإسماعيلية، وأن القوات الإنجليزية بدباباتها ومدافعها الثقيلة اشتبكت مع رجال الشرطة المسلحين ببنادق من طراز (رمنجتون) القديمة وهاجمت ثكنتهم، وأنهم لم يستسلموا إلا بعد أن نفدت ذخيرتهم ودكت القنابل ثكنتهم، وبلغ عدد ضحاياهم ستين جنديا.

إجراءات أمن مشددة

كان الخبر مثيرا.. وقد تركت على أثره سريرى ونسيت رعشة الحمى التى كانت قد انتابتنى قبل أن أغفو .. بدأت أفكر فى بلدى .. فى الإسكندرية التى أجلس على قمة المسئولية عنها.

إن فى الإسكندرية عددا كبيرا من قوات «بلوك النظام» ورجال البوليس مثلهم مثل المدنيين بشر .. ومن المؤكد أنهم حينما يسمعون مقتل زملائهم فى الإسماعيلية لن يسكتوا.

ثم إن الجماهير والطلبة فى مقدمتهم لا بد أن يعبروا عن غضبهم من هذا العدوان الكبير على جنود مصريين لم يكونوا يملكون إلا أقدم الأسلحة وأمامهم عدو تحمله الدبابات والمصفحات ويختفى خلف مدافعها..

من المؤكد أمام كل من يشتغل بالأمن أن يتوقع قيام المظاهرات والاحتجاجات .. وعندما بدأت أحصر حدود الإسكندرية بخيالى وجدت احتمالات كثيرة.. فالإسكندرية مركز تموين للبترول، وفيها أكبر مخازن الغلال والقطن والأخشاب، وفيها أكبر مستودعات البترول، فماذا لو اندست عناصر التخريب بين الجماهير وحاولت إثارة المشاعر وأشعلت النار فى تلك المستودعات؟!

لم أكن نبيا حتى أفكر فى هذه الاحتمالات، وإنما كنت أفكر فيها بحكم طبيعة رجل الأمن المختفى داخلى من خلال خبرة سنوات عملى مديرا للأمن العام ووكيلا للداخلية.

وهكذا قررت العمل فورا.

طلبت قائد شرطة الإسكندرية فى ذلك الوقت اللواء يسرى قمحة، وقلت له ما سمعته فى راديو لندن وما فكرت فيه.

قال اللواء قمحة: وماذا نستطيع عمله؟

قلت: ضع الإسكندرية فى منتصف الليل تحت نظام طوارئ وأرسل جنودك لكى يحتلوا جميع المستودعات وصهاريج البترول.

قال: هل سنستعين فى ذلك بجنود بلوكات النظام.

قلت – أبدا .. جنود بلوك النظام اجمعهم وأرسلهم فى لوريات عند الفجر إلى صحراء العامرية.

قال: إن معنى ذلك أنك تريد إبعادهم عن المدينة.

قلت: بالضبط..

قـال: ولكن الذى أريد أن تعرفه أن لهؤلاء الجنود بالذات مشـكلة خاصة لأن لهم علاوة طوارئ لم تصرف.

قلت: تصرفها لهم فورا.

قال: نصرفها ازاى، ونحن فى السابعة مساء، واليوم الجمعة؟

قلت: استدع المسئول عن الخزانة، وأطلب إليه باسمى أن يفتح الخزانة ويصرف مستحقات كل هؤلاء الجنود.

لم تكن الحكاية بسـيطة. فالرئيس المالى اعتبر ذلك تدخلا، لأن الصرف لا يكون إلا بأمر وزارة المالية، ولكننى استطعت حلها بإرسالى إليه تعهدا كتابيا بمسئوليتى.

ولم تتوقف الإجراءات التى طلبتها عند رجال الشرطة. بل اتصلت بقائد حامية الإسكندرية العسكرية، وطلبت إليه إنزال جنود الجيش لحراسة المرافق العامة كالماء والكهرباء والبريد ومحطة السكك الحديدية.

وقد اتصل قائد الحامية بقائد الجيش (الفريق محمد حيدر) الذى تردد كثيرا، ولكن أمام إلحاحى وافق أخيرا.

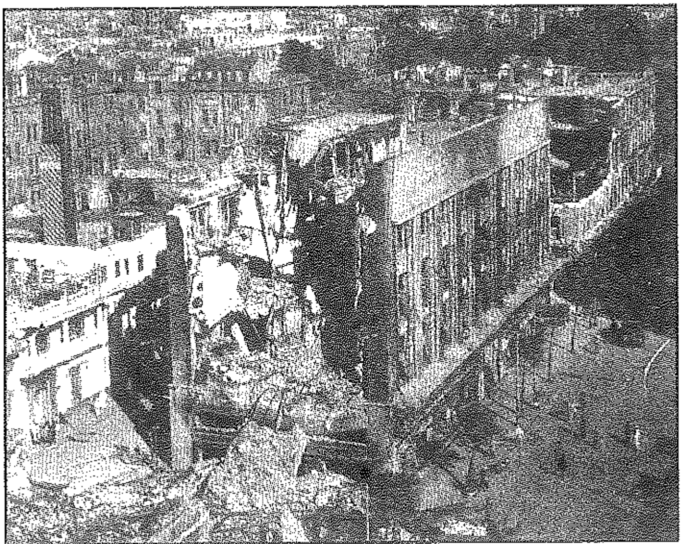
وهكذا .. قبل أن تشـرق شمس السـبت السادس والعشرين من يناير ٥٢ على الإسكندرية كان الجيش والبوليس يسيطرون على مواقع الحراسة وعلى جميع مرافق الإسكندرية.

أمـا جنود بلوك النظام فقـد كانوا فى العامرية يمضون عند البحر إجازة سـعيدة بعد أن صرفوا علاوة الطوارئ المتأخرة لهم، وقد تصوروا أن احتجاجهم على تأخر صرف هذه العلاوة هو الذى جعلنى آمر بفتح الخزانة لهم مساء يوم الجمعة لكى يصرفوا علاوتهم المتأخرة!

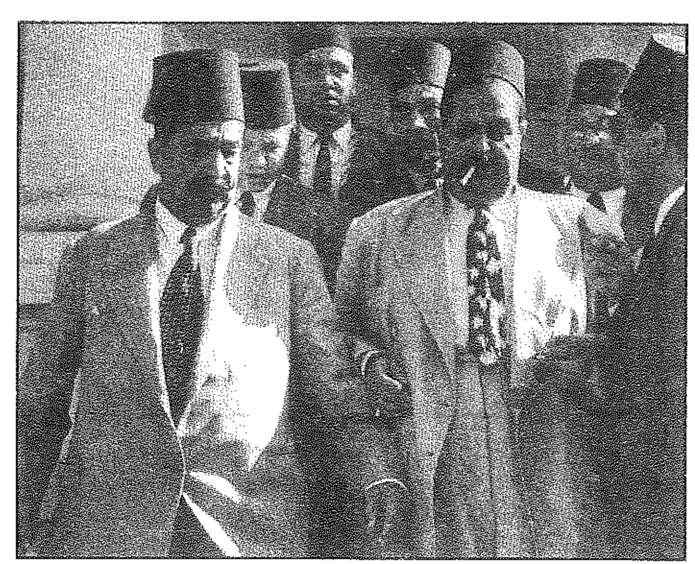
□□□



١ - الملك فـاروق يؤدى التحية العسكرية فى لقائه التقليـدى مـع الجيش فى ٤ فبراير من كل عام .



٢ - أطـــلال محـــلات شـيكوريل أكـبر محلات القاهـرة كما بـدت مسـاء الأحـد ٢٧ يناير ١٩٥٢ فى اليوم التالى للحريق .




٣ - فؤاد سراج الدين وزير الداخلية المسئول يوم حريق القاهرة ٢٦ يناير ١٩٥٢ وقد ظهر إلى جانبه المهندس/ عثمان محرم وزير الأشغال .



٤ - مشهد من شارع عماد الدين أثناء حريق القاهرة .



في مساء يوم الجمعة ٢٥ يناير ١٩٥٢ أذاعت وزارة الداخلية المصرية بياناً أعلنت فيه أن القوات البريطانية قامت بعدوان على رجال البوليس في منطقة القناة أسفر عن مقتل ٥٠ من جنود بلوكات النظام وإصابة ثمانين وأسر ما يقرب من ألف جندى وضابط.

وبالطبع فإن هذا البيان أثار ردود فعله العنيفة في نفوس جميع المواطنين عامة ورجال البوليس وبلوكات النظام خاصة.

وجاء أول رد فعل في الساعة الثانية من صباح السبت ٢٦ يناير ١٩٥٢ عندما أعلن عمال مطار فاروق (كما كان اسمه قديما) والجنود الموجودون فيه العصيان.

فاحاطوا بأربع طائرات تابعة لشركة الخطوط البريطانية إعلانا عن احتجاجهم على ما حدث في الإسماعيلية. ومنعوا نزول الركاب - ويفوق عددهم المائة - ومنعوا تزويد الطائرات بالوقود وبعد محاولات مستمرة أمكن إنهاء العصيان وأقلعت الطائرات.

ولكن .. قبل أن تشرق الشمس في صباح هذا اليوم السبت السادس والعشرين من يناير ١٩٥٢ وفي حوالى السادسة صباحا كان تمرد آخر يحدث في معسكرات جنود بلوكات النظام الموجودة في العباسية.

كانت هذه المعسكرات تضم جنود الأقاليم، وقد خرجوا يحملون أسلحتهم متجهين من العباسية إلى الأزهر وكان منظر المظاهرة وهي تضم عساكر البوليس منظرا بالغ الإثارة بلا شك خصوصا لطلبة مدارس العباسية الذين سرعان ما انضموا إليهم.

ومن العباسية إلى الأزهر ثم إلى ميدان محمد على حيث انضم إليهم بعض عساكر الجيش فإلى ميدان الإسماعيلية (التحرير حاليا) ثم إلى جامعة فؤاد (جامعة القاهرة الآن).

وهناك اختلط البوليس مع الطلبة وأخذوا يطلقون النار في الهواء.

وبالطبع تناقل الشعب خبر هذه المظاهرة التي طافت معظم شوارع وميادين القاهرة فأحدثت آثارها في مناطق أخرى .. وسمع بذلك عمال العنابر والسكك الحديدية فنظموا هم الآخرون مظاهرة اندمجت مع الطلبة وعساكر البوليس وقرروا التوجه إلى مجلس الوزراء.

وهناك خرج إليهم عبد الفتاح حسن وزير الشئون الاجتماعية ووقف فى الشرفة وخطب فيهم محاولا تهدئتهم إلا أنهم صرخوا فى وجهه وهتفوا بسقوطه.

وكانت المفاجأة ظهور أحد ضباط الجيش واسمه محمد عبد الخالق وقد حمله المتظاهرون على الأعناق.. وبأعلى صوت صاح هذا الضابط فى عبد الفتاح حسن: أيها الوزير.. الجيش للحرب.. لماذا لم ترسلونا إلى القتال دفاعا عن إخواننا جنود البوليس؟

.. ويبدأ حريق القاهرة

زادت حماسة المتظاهرين، وحاول عبد الفتاح حسن تهدئتهم فأخذ يهتف بسقوط الإنجليز والاستعمار.

واستطاعت هتافات عبد الفتاح حسن إلى حد ما أن تستقطب انفعالات المتظاهرين وتوجهها إلى الاستعمار والإنجليز بعد أن بدا أنها ستوجه إلى الحكومة.

ولكن ما هى إلا دقائق حتى تحول الموقف من مظاهرات ساخطة، إلى جماهير حارقة.. فبطريقة ما اندست عناصر الشغب والتدمير حاملة قنابل حارقة ومعاول..

وكانت البداية فى كازينو أوبرا (وكان يسمى بديعة) وقد سجلت سجلات الإطفاء أن الحريق فيه بدأ فى الساعة الثانية عشرة ظهرا.

وبعد ٧٥ دقيقة فى حوالى الواحدة والربع كان الحريق الثانى فى سينما ريفولى .. وفى الواحدة والنصف تم إحراق وإتلاف سينما مترو ومطعم اكسلسيور وتوكيل سيارات شركة فورد – وكانت كلها تقع فى مبنى سينما مترو – ومن السينما انتقلت عمليات الإحراق إلى نادى الترف (الترف كلوب) الموجود فى شارع عدلى، ثم إلى سينما ديانا فمطعم الكورسال.

وفى الساعة الثالثة والنصف مساء تم إحراق واتلاف ونهب بنك باركليز الذى كان موجودا قرب ميدان الأوبرا، فشركات سيارات كايرو موتورز، وكويزلر، ثم سينما مترو بول فمحلات شيكوريل وجروبى..

ومن هناك امتدت يد الإحراق إلى فندق شبرد الذى كان موجودا على ناصية شارع الألفى مع شارع إبراهيم باشا (الجمهورية حاليا). وكانت هذه الحرائق مفاجئة ورهيبة إلى درجة أن نزلاء الفندق كانوا يلقون بأنفسهم من الطوابق العليا والنار مشتعلة فيهم.

أين كانت وزارة الداخلية خلال ذلك كله ؟

أين كان المسئولون عن أمن مصر ؟

فــى ضوء التقارير التى عرفتها فور أن توليت وزارة الداخلية بعد ســاعات قليلة من هذا اليوم الأســود فى تاريخ مصر عرفت أن إدارة الأمن العام اتصلت بوزير الداخلية فؤاد باشــا ســراج الدين فى منزله فى الســابعة والنصف صباحا تخبره عن قيام مظاهرات ومعها جنود بلوك النظام.

وحســبما عرفت فإن وزير الداخليــة طلب من مدير الأمن العــام أن يقوم الجنود بتفريق المظاهــرات. وكان خطــأ مدير الأمن - وهو ما يجب أن أســجله - هو أنــه لم يقل للوزير أن الجنود المطلوب منهم تفريق المظاهرات هم أنفسهم متمردون ويقودون هذه المظاهرات.

وهكذا.. مضت الساعات فى عملية شحن مستمرة لمشاعر الشارع المصرى إلى أن جاء الظهر ودق جرس المطافىء معلنا عن تلقيه أول إبلاغ عن أول حريق أندلع فى هذا اليوم..

الوزير يطلب الجيش !

فى الساعة الثانية عشرة والنصف اتصل وزير الداخلية بقائد القوات المسلحة الفريق محمد حيدر طالبا إليه نزول القوات المسلحة للسيطرة على الموقف بعد أن تبين للوزير أن قواته من البوليس غير قادرة على السيطرة على الموقف، بل أن معظمها مشارك فى المظاهرات.

وكان رد قائد الجيش على وزير الداخلية أنه لابد من عرض الأمر على الملك وحصوله من جلالته على أمر بذلك.

وبعد نصف ســاعة - فى حوالى الواحــدة - عاود وزير الداخليــة الاتصال بقائد الجيش ليبلغه عدوله عن طلب نزول الجيش لأنه اطمأن إلى أن قوات البوليس تسيطر على الموقف.

ولما لم يجد وزير الداخلية قائد الجيش فى مكتبه فإنه اتصل برئيس الديوان الملكى حافظ باشا عفيفى وأبلغه رأيه بالاستغناء عن نزول الجيش.

ولكن .. بعد نحو ربع ساعة فقط - فى حوالى الواحدة والربع ظهرا - عاد وزير الداخلية يطلب نزول الجيش لأن المتظاهرين أشــعلوا النار فى سينما ريفولى وسينما مترو بينما رجال البوليس لا يقاومون الذين يشعلون النيران!

وبحث وزير الداخلية طويلا عن الفريق حيدر حتى وجده..

كان حيــدر فى ذلك الوقت جالســا إلى جانب الملك فاروق فى المأدبــة الحافلة التى أقامها الملك فى ذلك اليوم بدون أية مناسبة ودعا إليها قائد الجيش وكبار الضباط والمسئولين عن أمن القاهــرة .. وهــم الذين كان مفروضا أن يكونوا فى هذا اليوم فــى مواقع عملهم لإنقاذ القاهرة ومصر كلها من الكارثة التى تعرضت لها.

لكنهم جميعا «بربطة المعلم» كانوا جالسين على مأدبة فاروق، والقاهرة تحترق..

ولعله مشهد تكرر فيما بعد في ظروف أخرى مختلفة في يوم الاثنين ٥ يونيو عندما استقل المشير عبد الحكيم عامر طائرته العسكرية في صباح ذلك اليوم ومعه كبار قادة الجيش متوجها من القاهرة إلى سيناء..

وبسبب وجود طائرة المشير في الجو صدرت الأوامر إلى بطاريات الصواريخ بالامتناع عن إطلاق النيران خوفا على حياة المشير.. في الوقت الذى كانت فيه الطائرات الإسرائيلية تهاجم المطارات المصرية وتجهض في خلال دقائق معدودة قوة الطيران المصرية وتدفع مصر إلى كارثة الهزيمة!

وفي يوم ٢٥ يناير ١٩٥٢ – وكان يوم جمعة – وجه الملك فاروق دعوة عاجلة إلى قائد الجيش وكبار ضباطه، وجميع ضباط حامية القاهرة، وكبار ضباط البوليس في العاصمة لحضور مأدبة غداء في قصر عابدين حددت لها الساعة الواحدة والربع بعد ظهر يوم السبت ٢٦ يناير!

وكان غريباً أن وزير الحربية في ذلك الوقت مصطفى نصرت، ووزير الداخلية فؤاد سراج الدين لم توجه إليهما الدعوة لحضور هذه الوليمة التى أقيمت لضباط الجيش والبوليس. وهى وليمة غريبة لا يحضرها الوزيران المسئولان عن المحتفى بهم!

ولم يكن ذلك أغرب ما في هذه الوليمة التى لم تكن عادة فاروق أن يقيم مثلها ..

كانت هناك سلسلة من الغرائب التى تبلغ حد الألغاز أحاطت بها إلى درجة لا يمكن فصلها عن سيناريو الأحداث التى جرت في هذا اليوم، بل لا أبالغ إذا قلت أنها كانت تبدو أنها جزء من هذا السيناريو.

ويستوقف النظر أولا أن هذه الوليمة الملكية تم تحديد موعدها بعد ٢٤ ساعة أو أقل من إرسال الدعوة إليها..

ويستوقف النظر ثانيا أن الدعوة لهذه الوليمة لم تكن عن طريق بطاقات مكتوبة أرسلت باليد أو البريد، بل أبلغت تليفونياً إلى قائد الجيش الذى أبلغها بدوره إلى قواد الوحدات الذين أبلغوها إلى الضباط .

والسؤال الأول: هل كان الشكل الذى اتخذته الدعوة إلى هذه الوليمة طبيعيا خصوصا أن الداعى هو ملك البلاد وأن عدد المدعوين كان كبيرًا جداً ؟

والسؤال الثانى: هل كانت مصادفة بحتة أن يدعى جميع ضباط حامية القاهرة إلى وليمة تحترق القاهرة في اليوم المحدد لها ؟

ربما كان من الممكن القول أن ذلك جرى مصادفة لو أن الدعوة وجهت لها قبلها بعشرة أيام أو أسـبوع على الأقل، أو أن يكون يوم ٢٦ يناير هو مناسـبة من المناسبات التى تقام لها هذه الوليمـة كأن يصادف عيد جلوس الملـك أو عيد ميلاده أو عيد ميلاد ولى العهد.. لكن الحادث فعلا أن يوم ٢٦ يناير لم يكن يوافق أية مناسبة من المناسبات.

ويستوقف النظر غير ذلك أن هذه الوليمة اقتصرت الدعوة إليها على ضباط حامية القاهرة أما كبار ضباط حامية الإسكندرية أو القناة فلم توجه لهم الدعوة لحضورها!

ثم .. أليس من الغريب أن تشمل الدعوة إلى جانب كبار ضباط القاهرة، أيضا صغار ضباط حامية القاهرة، وهو ما لم تجر عليه العادة فى القصر الملكى؟

لماذا؟ وما سر هذه الوليمة الغريبة فى الظروف الغريبة التى تمت فيها؟

رسالة على الغداء

فى الساعة الواحدة والربع دخل جلالة الملك فاروق قاعة المأدبة المقامة بقصر عابدين وكان مرتديا ملابس المشير، ويبدو عابس الوجه.

وفـور دخوله هب الضباط الذيـن أخذوا أماكنهم إلى المائدة الكبـيرة واقفين وأدوا التحية العسكرية له فرد لهم التحية كأنه عسكرى متمرس.

وتوسـط فاروق المائدة وإلى جانبيه الفريق حيدر باشا القائد العام للجيش، والفريق عثمان المهدى رئيس الأركان.

ومـا كاد الخدم يقدمون أطبـاق الطعام حتى دخل القاعة أحد موظفـى القصر حاملاً ورقة مطوية اتجه بها إلى الفريق حيدر الذى فتحها وقرأها ثم مال نحو الملك يقول له إنها رسالة من وزير الداخلية يطلب نزول الجيش.

وبدون تفكير أجاب الملك: أجلها إلى ما بعد الغداء.

وانتهـت الوليمـة الغريبـة التى أقيمت بلا أية مناسـبة، وفى أغرب ظـروف يمكن أن تواجهها مصر ..كانت الساعة الثانية والنصف عندما وقف الملك ودعا الضباط للاقتراب منه.. كان واضحا أنه سيقول لهم شيئاً هاماً. وبالفعل فإنهم بعد أن أصبحوا جميعا على مقربة منه فإنـه وبطريقة خطابية قال لهـم: أيها الضباط إن حوادث خطيرة تحـدث فى البلد. ولا بد مـن اتخاذ إجراءات حاسمة، وأنا أعتمد فيما سـأتخذه على ولائكم وثقتى فيكم: لأن الحالة الخطيرة التى تجتازها البلاد لا يمكن أن تستمر.

سراج الدين يذهب للملك

وأذن الملك للضباط بالانصراف فانصرفوا دون أن يقول لهم الملك أى شىء عن الحرائق التى كانت قد بدأت. أو يطلب إليهم التوجه إلى ثكناتهم لأنهم قد يستدعون للنزول بجنودهم إلى شوارع القاهرة. خرجوا جميعا من عند الملك وكأن شيئاً لا يجرى فى هذه المدينة التى تحمل تاريخا قديما يمتد ألف عام، وتعرضت فى هذا اليوم لمن يقذف وجهها بماء النار يشوه أجمل ما فيها..

أما وزير الداخلية فقد ظل فى مكتبه ينتظر اتصالا من القصر .. وفى الساعة الثانية والربع ومع توالى أخبار الحرائق التى اندلعت فإنه غادر مكتبه متجها إلى عابدين، وقد وصل إلى هناك فى الساعة الثانية والنصف فى الوقت الذى كان الملك على وشك إنهاء وليمة الغداء التى أقامها.

واستقبل حافظ عفيفى رئيس الديوان وزير الداخلية الذى شرح له خطورة الموقف وطلب إليه رفع الأمر فوراً إلى صاحب الجلالة.

وتشرف رئيس الديوان– وهذه هى العبارات التى كانت تستخدم فى ذلك الوقت – بمقابلة جلالة الملك وكان معه الفريق حيدر..

وبعد نحو ربع ساعة خرج حافظ عفيفى وحيدر واتجها إلى فؤاد سراج الدين وابلغاه أن الملك وافق وأمر بنزول الجيش.

فكيف نفذ الأمر؟ وماذا صنع الجيش؟

من قصر عابدين اتصل الفريق حيدر تليفونيا بمكتب الفريق عثمان المهدى رئيس أركان حرب الجيش، ولم يكن قد وصل إلى مكتبه بعد عقب خروجه من قصر عابدين حيث كان يحضر وليمة الملك.

وبعد دقائق تم اتصال آخر وكان عثمان المهدى هو الذى يرد ..

وطلب حيدر إلى رئيس أركان حرب الجيش النزول بأكبر عدد من القوات. وسأله عن الوقت الذى يراه كافياً لنزول القوات.

قال الفريق المهدى: إن تنفيذ الأمر يقتضى إعداد اللوريات والجنود واستدعاء الضباط الذين توجهوا إلى منازلهم بعد الوليمة الملكية، وهذا لا يمكن أن يستغرق أقل من ٤٥ دقيقة، وعلى هذا فإن القوات يمكن أن تكون جاهزة للنزول إلى المدينة بعد الثالثة والنصف.

قال حيدر، الأمر خطير ولابد من أن تستعجل التنفيذ: وعلى ما يبدو فإن وزير الداخلية قرر البقاء فى قصر عابدين فى مكتب رئيس الديوان مع الفريق حيدر حتى يطمئن على نزول القوات من الرجل المسئول عن كل الجيش وقائده العام.

ولكن فى الساعة الرابعة اتصل محافظ القاهرة بوزير الداخلية فى مكتب رئيس الديوان يبلغه أن الجيش لم يصل بعد إلى حديقة الأزبكية حيث كان المقرر أن تتجمع قواته هناك، ومنها توزع على أحياء القاهرة.

وطلب المحافظ إلى الوزير الإلحاح على قائد الجيش واستعجاله لإرسال الجيش.

وأبلغ فؤاد سراج الدين رسالة المحافظ إلى الفريق حيدر..

وبعد ربع ساعة أخرى تحدث المحافظ مرة أخرى والهلع يسيطر عليه من انتشار الحرائق والتخريب وطلب الاستنجاد بالوزير.

ومرة ثالثة عاد المحافظ واتصل بعد ربع ساعة وهو فى حالة انزعاج بالغ..

وفى أعقاب كل مكالمة كان فؤاد سراج الدين يستعجل حيدر لاستعجال الفريق مهدى.

وأخيرا وفى الساعة الخامسة مساء - قرب الغروب - وصل إلى حديقة الأزبكية ١٥٠ جنديا زادوا إلى ٢٥٠ فى الخامسة والنصف.

وبدأت القوات تغادر الحديقة إلى شوارع المدينة وفى السادسة والنصف اتصل المحافظ المسكين بوزير الداخلية يبلغه أن قوات الجيش التى تمت الاستعانة بها للسيطرة على الموقف نزلت المدينة ومرت فى الشوارع داخل عرباتها أمام المتظاهرين الذين كانوا يحطمون المحلات التجارية وأن هؤلاء المتظاهرين ما كادوا يلمحون عربات الجنود حتى راحوا يصفقون لها ويحيونها بالمعاول.. وقد أجاب عليهم الجنود بالابتسامات دون أن يحاولوا حتى إطلاق رصاصة واحدة ولو على سبيل التخويف.

مطلوب أمر كتابى!

كان غضب الوزير بالغاً فطلب إلى حيدر الاتصال بالمهدى لمعرفة أسباب تقاعس قواته عن أخذ موقف متشدد..

واتصل حيدر بالمهدى يسأله، وكان رد المهدى: إن قوات الجيش لا تستطيع إطلاق النار إلا بأمر كتابى.

وصرخ الوزير فزعا..

وعبثا حاول مع حيدر فغادر قصر عابدين إلى رئاسة مجلس الوزراء حيث كان المجلس منعقدا لمناقشة تطورات الموقف.

وفي التاسعة مساء وألسنة النار تضيء ليل القاهرة دق جرس التليفون. وكان المحافظ يطلب وزير الداخلية.

وهرع الوزير إلى التليفون عله يسمع خبرا يطمئنه ولكن يده تراخت على السماعة حين قال له المحافظ إن عدد القوات المسلحة التي نزلت لا يزيد على ٥٠٠ وإنها مازالت ممتنعة عن إطلاق النار على المخربين..

واستمرت الحرائق حتى الساعة الحادية عشرة ليلاً حين بدأ تدخل الجيش الفعلي بإطلاق النار.

الأوبرج .. لماذا انقذوه؟

ولكن من الغرائب أن المحل الوحيد الذى أسرع الجيش لإنقاذه كان كازينو الأوبرج في شارع الأهرام .. وكان يملك هذا الكازينو في ذلك الوقت أدمون صوصه وهو من حاشية الملك المقربة لكن المهم أنه كان أحد الأماكن المختارة التي تعود الملك أن يقضي فيها سهراته آخر الليل.

وقبل نزول الجيش في الخامسة مساء كانت هناك عدة حرائق كثيرة قد اشتعلت..

لكن الأهم هو الحرائق التي اندلعت بعد نزول الجيش أيضا.

وهذه الحرائق تشمل كما أثبتت سجلات المطافئ في ذلك الوقت:

١ - محلات أورزدى باك (عمر أفندى) في شارع عبد العزيز وهي على بعد خمس دقائق من حديقة الأزبكية مركز تجمع قوات الجيش.

٢ - حريق عمارة الشواربي وهي على بعد ثلاث دقائق من حديقة الأزبكية.

٣ - حريق محلات شملا وهي على بعد دقيقتين.

٤ - حريق محلات بنزايون على بعد ثلاث دقائق.

٥ - حريق محلات شارع محمد علي على بعد ثلاث دقائق.

٦- حريق نادى شل الرياضي على بعد ربع ساعة.

٧ - حريق كازينو الأوبرج في شارع الهرم وقد وقع بين الساعة السادسة والنصف والثامنة والنصف مساء..

ولكــن من الغريب كما ذكــرت أن هذا الكازينو الذى يقع على بعد أكثر من نصف ســاعة من حديقــة الأزبكيــة تحركت إليه قوات الجيــش بمجرد الإبلاغ عن حريقــه فوصلت إليه فى الســاعة الســابعة والربع مع قوات الإطفــاء التى كانت قد أبلغت هــى الأخرى للتحرك فورا إليه!

منع التجول وتغيير الوزارة

فى مساء نفس اليوم - ٢٦ يناير - أعلنت الأحكام العرفية ..

وصدرت القرارات بمنع التجول ليلاً من حلول المساء حتى الفجر..

ونامت القاهرة ليلة حزينة..

وســهر جنود الإطفاء يحاولون وقف ســريان النار الذى أتى علــى أكبر محلات العاصمة وانتشر فى معظم شوارع وسط المدينة..

وفــى صباح اليــوم التالى كانت المياه التــى صبتها خراطيم عربات الإطفــاء على الحرائق المشتعلة تملأ الشوارع..

وبدأ المشهد حزينا..

الأنقاض تسد الشوارع..

وكردونات البوليس تحيط بالأماكن التى أصبح المرور فيها مستحيلا..

كان إخلاء الشوارع من الأنقاض والآثار المدمرة يحتاج إلى عدة أيام.

الحريق فى أنفى

فى مساء الأحد ٢٧ يناير ١٩٥٢ أقال الملك فاروق حكومة مصطفى النحاس باشا آخر وزارة وفدية حكمت مصر، وكانت قد تولت الحكم فى أكتوبر ١٩٥٠، ولعلها من المرات القليلة التى استمرت فيها هذه المدة الطويلة.

عهد الملك فاروق إلى على ماهر تشكيل الوزارة.

وضمنى على ماهر إلى وزارته، وعينت وزيرا للداخلية.

وعندما وصلت من الإســكندرية إلى القاهرة انســابت إلى أنفى وعلى بعد عدة كيلو مترات رائحة الحرائق المروعة التى عاشتها القاهرة فى يوم من أسوأ أيام تاريخها.

وعلــى امتداد أيام طويلة ظلت هذه الرائحة تطاردنى وكأنها تســتفزنى لمحاولة كشــف لغزها..

المسئولون عن الأمن لا يعرفون !

كان طبيعيا أن يكون أول عمل أقوم به عقب تولى وزارة الداخلية أن أعرف من الذى أحرق القاهرة ودبر لهذا الحريق.

وبعد أقل من ساعة من وصولى إلى مكتبى فى الوزارة يوم الاثنين ٢٨ يناير عقدت اجتماعا مع وكلاء الوزارة ومدير الأمن العام ومدير البوليس وحكمدار القاهرة ورئيس القسم السياسى فيها.

ولدهشتى من المناقشة التى دارت معهم لم أجد واحدا منهم يستطيع أن يعرف أو يحدد بالضبط من الذى أحرق القاهرة.

قلت: لا شك أن الذى قام بالحريق أكثر من فرد .. لا يمكن عقلا تصور أن فردا واحدا هو الذى قام بذلك، بل إن جماعة أو جماعات منظمة أعدت لذلك .. كما لا يمكن أن تكون أدوات الحرق وكسر الخزائن والأبواب التى ضبطت أمام المتاجر والفنادق والبنوك كانت جاهزة فى لحظتها!!..

قالوا: هذا شيء طبيعى.

قلت: معنى ذلك أنه كانت هناك استعدادات!!.

قال أحدهم: لا شك.

قلت: ألم يكن عندكم علم من قبل بتلك الاستعدادات؟

كان الصمت هو الجواب الذى سمعته.

وبعد لحظات تحدث حكمدار القاهرة قائلا: الواقع أننا فوجئنا باشتراك قوات بلوك النظام فى المظاهرات، وفقدنا عنصرا أساسيا لحفظ الأمن.

قلت: ألم يكن فى تقديركم أن يحدث ذلك؟!..

قال: والله أكدب على سعادتك لو قلت إننا فكرنا فى كده!.

قلت مذهولا وأنا أبدأ أول ساعة من الوزارة فى وزارة مهمتها الأمن ومعرفة كل ما يتعلق به: هل أخرج من هذا الاجتماع بنتيجة أنكم لا تعرفون من الذى أحرق القاهرة؟

إن خروجى بهذه النتيجة لن يكون أبدا فى مصلحة أى منكم، لأن معنى ذلك أنكم جميعا قصرتم فى أداء واجبكم وأنا لا أستطيع ان أطمئن إلى العمل مع المقصرين.

لقد اطلعت قبل دقائق من اجتماعى معكم على تقارير طلبتها عن الحريق فهل تعرفون ماذا وجدت فى هذه التقارير؟

وكنت بالفعل قد طلبت هذه التقارير فور دخولى مكتبى بالوزارة، ولكن كانت دهشتى أن هذه التقارير لم تتجاوز دفتر أحوال إدارة المطافئ عن زمان كل حريق وقيام عربة المطافئ إليه.

وكان من بين ما قرأته فى هذه التقارير: فى الساعة الحادية عشرة ذهبنا إلى إطفاء حريق كازينو بديعة ولكن المتظاهرين منعونا من استخدام خراطيم المياه!

فى الساعة الثانية عشرة تم إبلاغنا بحريق فى فندق شبرد ذهبنا لإطفائه ولكن التظاهرين حطموا عربة الحريق!

قلت للمسئولين عن الأمن وأنا أقرأ لهم هذه التقارير: من هم هؤلاء المتظاهرون؟.. وهل قبضتم على واحد منهم؟ إننى أريد معرفة المحرضين والفاعلين لا مجهود رجال الإطفاء الذى عطله المتظاهرون..

قال الحكمدار: نحن فى سبيل التحقيق وقد قبضنا بالفعل على عدد من الذين اشتركوا فى الحريق.

قلت: كام واحد مسكتوهم؟

قال: حوالى العشرين يا أفندم.

قلت صارخا: معقول دى.. عشرين واحد كل اللى حرقوا البلد وعطلوا عربيات المطافئ؟

قال: سعادتك اطمئن .. التحقيق لا يزال فى بدايته وسنقدم تقريرا فقط، نرجو مهلة أسبوعا.

قلت: ولو أنه كتير لكن ما باليد حيلة..

اتهام أحمد حسين

ومضى الأسبوع ..

وجاءنى محمد ابراهيم إمام رئيس جهاز المباحث فى ذلك الوقت بتقرير يتهم الحزب الاشتراكى (وكان يسمى من قبل مصر الفتاة) ورئيسه المحامى أحمد حسين بأنه الذى أحرق القاهرة.

وقد أيد التقرير هذا الاتهام برسمين ذكر أنه تم العثور عليهما فى مقر الحزب ومرفقين بالتقرير، أحدهما لصور قنابل حارقة ومعاول لم أر مثيلا لها من قبل، والرسم الثانى عبارة عن رسوم هندسية لبعض أحياء القاهرة وقد ظهرت أسهم تشير إلى مواقع بعض الأبنية، وهى الأبنية التى ذكرت تحريات المباحث أنها احترقت.

وكان المعنى من الرسم أن أحد المهندسين فى الحزب الاشتراكى قام بإعداد «اسكتشى هندسى» لعدد من شوارع القاهرة محددة عليها الأماكن التى كان الحزب الاشتراكى يخطط لإحراقها وقد احترقت بالفعل.

أخذت أقلب الرسمين وبغير جهد كبير شعرت أن الافتعال فيهما واضح، فقد كانا مطبوعين بالزنكروغراف. ولما كنت أعرف خبيرا أجنبيا فى الزنكروغراف كنت أستعين به حين كنت مديرا للأمن العام فإننى استدعيته.

ولم يضيع الخبير وقتا طويلا قبل أن يؤكد لى أن هذا الرسم لا يمكن أن يكون رسمه خبير فى المبانى أو المفرقعات، وأنه يظن أنه يعرف المطبعة التى تم طبع الرسمين فيها وهى مطبعة صغيرة جدا فى زقاق فى حى الفجالة.

وحتى يكون الأمر واضحا فإننى طلبت إلى النائب العام تولى التحقيق.

بالفعل أرسل النائب العام أحد وكلاء النيابة إلى المطبعة، وأجرى تحقيقا انتهى إلى أن أحد ضباط القسم السياسى فى محافظة القاهرة هو الذى حمل الرسم إلى المطبعة وطبع هذه الوثيقة الزائفة.

وأصبح السؤال الكبير هو: لماذا يريد البوليس السياسى اتهام الحزب الاشتراكى بأنه الذى أحرق القاهرة ؟

إن تاريخ الحزب الاشتراكى مع حزب الوفد لم يكن مجهولا..

فالوفد قام بتعطيل صحيفة الحزب الاشتراكى.

ونتيجة لتقارير البوليس أمرت حكومة الوفد بالقبض على أحمد حسين وعلى عدد كبير من أعضاء الحزب الاشتراكى..

وهرب أحمد حسين ولم يستطع البوليس القبض عليه.

فهل كان أحمد حسين مثلا هو الذى دبر حريق القاهرة؟

هل هم الإخوان ؟

إننى أعلم من سابق خبرتى أن الحزب الاشتراكى لا يستطيع وحده، ولا تسمح امكانياته بالقيام بعمل كبير، وعمل مثل حريق يحتاج إلى تنظيم دقيق وكبير..

والواقع أن أحمد حسين جر إلى نفسه هذا الاتهام لأنه كان ينادى دائما بأنه لا بد من التدمير حتى يتم الإصلاح. وقد وجدت عند مبنى دار الحزب الاشتراكى بواسطة النيابة

أوراقا استند إليها رجال المباحث فى اتهام أحمد حسين، منها لافتات مكتوب عليها (يدير هذا المحل الإنجليز الذين يقتلون إخوانكم بالإسماعيلية) ومنشـور بأن سـينما مترو يديرها يهودى اسمه جوستان زينك، وأن سينما ريفولى إنجليزية.

كذلـك تم العثور علـى خطاب بالإنجليزية من سـكرتير نادى الـترف (الترف كلوب) الإنجليـزى إلى بكر أحمد عبد الجواد يطلب منه إقامة خيام وفرش سـجاجيد بالنادى. وقد أرفق معه عقد اتفاق مكتوبا بالإنجليزية والعربية بين المسـتر توماس السـكرتير وبكر عبد الجواد الذى هو عضو فى الحزب الاشتراكى.

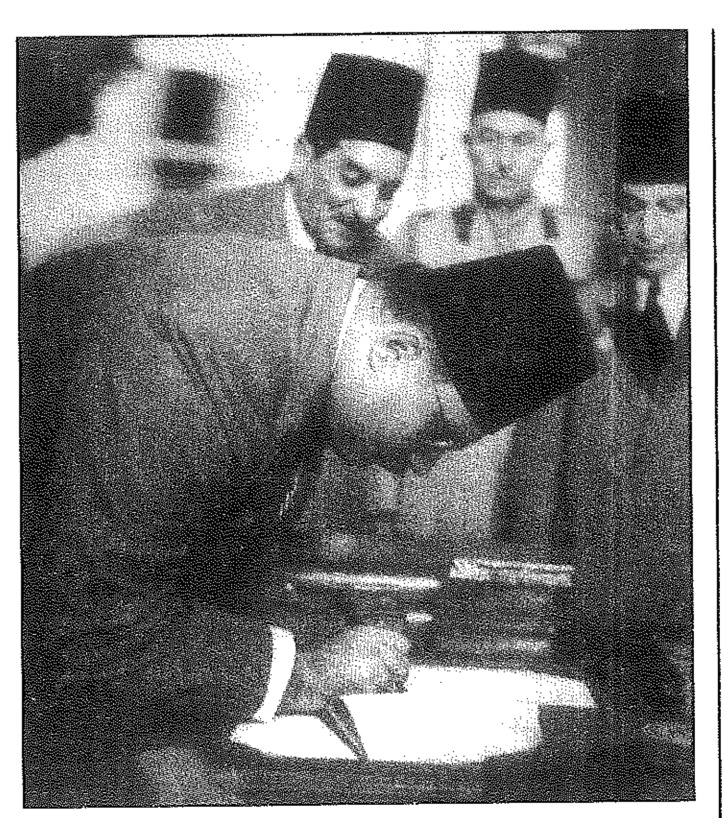
وموضع الغرابة فى هذا الاتفاق أنه تم بين سكرتير نادى الترف الإنجليزى، وقد كان له شأن كبير لأنه كان يمثل نادى كبار الانجليز فى ذلك الوقت، وعضو فى الحزب الاشتراكى، وأن يظل هذا الخطاب والاتفاق مع محفوظات الحزب فى حين أن الحزب يندد بالذين يتعاملون مع الإنجليز!

كما وجد خطاب موجه إلى رئيس الحزب بأن بنك باركليز يعمل كقلم مخابرات للسلطات الإنجليزية.

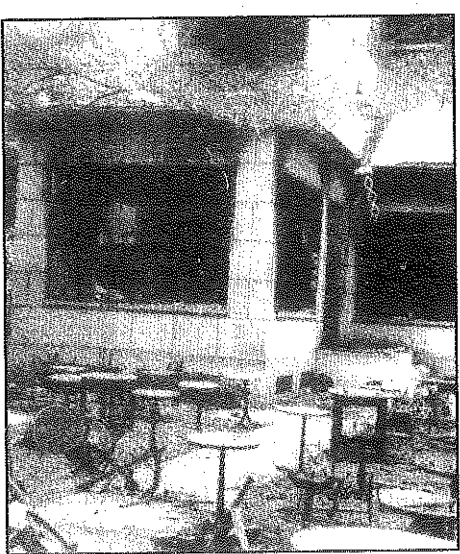
ومثل هذا القول سـبق أن رددته جماعات أخرى كالإخوان المسـلمين وتذكرت أن الإخوان المسـلمين كانوا قد قاموا قبل حريق القاهرة بإشـعال بضع حرائق فى ملاهى الهرم. والغريب أنـه لم يقبض على أحـد منهم على رغم أن الإخوان أعلنوا أنهم هـم الذين قاموا بذلك، فهل كانت حرائق ملاهى الهرم بروفة لحريق القاهرة؟

ومن الذى قام بحريق القاهرة.

□□□



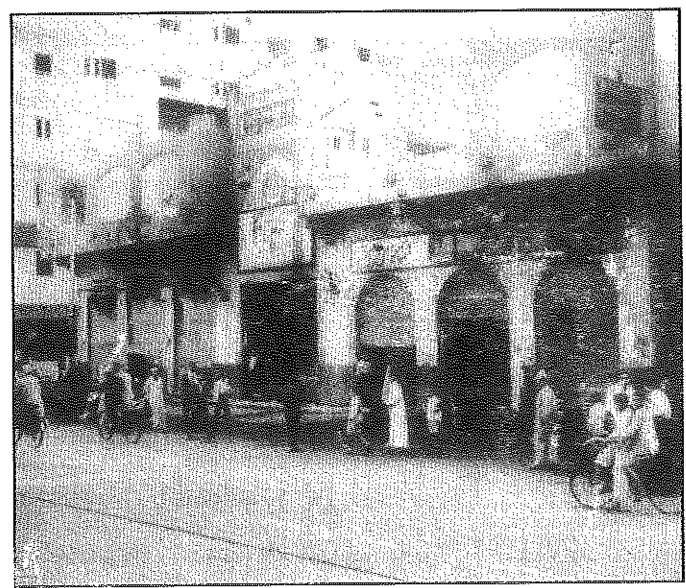
١ - الملك فاروق يصدر مرسوماً بإقالة النحاس .



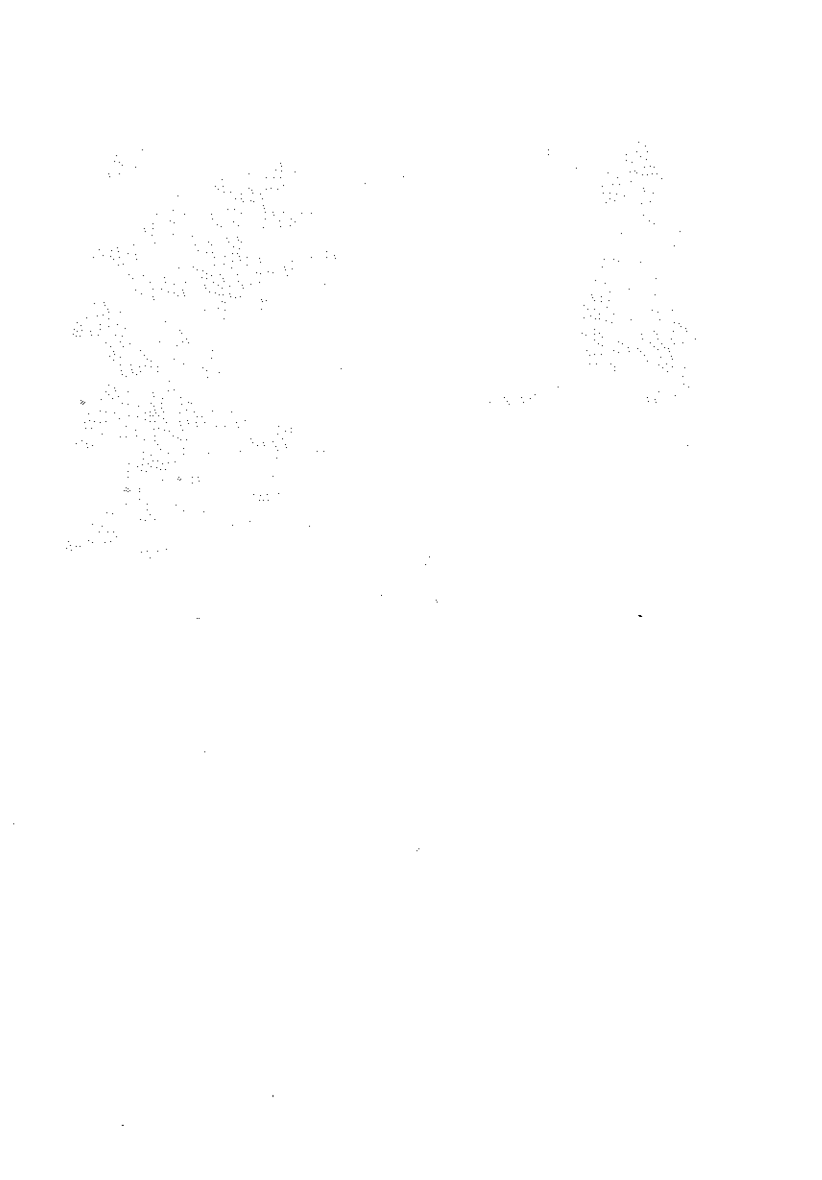
٢ - حديقة جروبي بعد حريق القاهرة شارع عبد الخالق ثروت) .

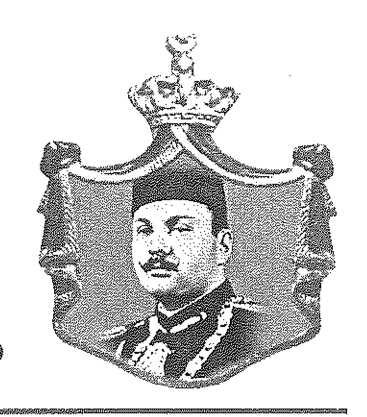


٣ - فؤاد سراج الدين مع النحاس باشا .



٤ - سينما مصر بعد حريق القاهرة بشارع رمسيس (الملكة نازلى سابقا) .





مذكرة دفاع

- تقارير البوليس اتهمت الإخوان والشيوعيين بحرق القاهرة لكنها لفت حبل المشنقة حول رقبة أحمد حسين.
- مقلب من حفني محمود يهز أجهزة الأمن.
- أحمد حسين يتهم الداخلية بأنها وراء كل ما حدث.



كانت تقارير البوليس والمباحث حول حريق القاهرة متضاربة.. فقد ذكر بعضها أن الشيخ محمد فرغلى من زعماء جماعة الإخوان المسلمين كان يحرض الجماهير على حرق دور اللهو والفنادق.

وكانت هناك تقارير أخرى تؤكد أن بعض الشيوعيين اشتركوا أيضاً فى المظاهرات وإشعال النار. وقد وردت أسماء فتاتين شيوعيتين هما عايدة السحيمي وإجلال السحيمى واسم الطالب عبد المنعم تمام على اعتبار أنهم رءوس الشيوعية فى هذه المظاهرات.

لكن معظم التقارير- وكان هذا واضحاً أمامى منذ الأيام الأولى لعملى وزيراً للداخلية منذ صباح الاثنين ٢٨ يناير ١٩٥٢- كانت تحاول الإمساك برقبة الحزب الاشتراكى ورئيسه أحمد حسين.

ولم يكن عداء البوليس لأحمد حسين جديداً، بل كان فى الواقع يسبق أحداث حريق القاهرة وكانت وزارة الوفد قد أصدرت أمرا بالقبض عليه، لكنه اختفى وفشل البوليس فى معرفة مكانه.

وربما كان من أغرب الحكايات التى جرت فى ذلك الوقت تلك التى أعلنت أنهم قبضوا على أحمد حسين فى عربة كانت تجوب القاهرة ليلاً، فى حين أن التجول كان ممنوعاً اعتبارا من التاسعة مساء حتى السادسة من صباح اليوم التالى، وكانت الأحكام العرفية المفروضة فى ذلك الوقت لا تسمح لأحد أن يخرج إلى الشوارع إلا إذا كان حاملاً تصريحاً خاصاً بذلك، وإلا تعرض لإلقاء القبض عليه وربما لإطلاق النار عليه إذا قاوم دوريات البوليس المنتشرة.

تصريحك يا أستاذ أحمد

لم يكن مسموحاً إذن بالمرور فى الشوارع ليلا إلا لمن يقومون بخدمات ضرورية كالأطباء وموظفى التليفون والكهرباء وسيارات الإسعاف التى تنقل المرضى والصحفيين. ولابد للمرور من حمل تصريحات مختومة من وزارة الداخلية.

وفى اليوم الرابع أو الخامس علي ما أذكر حضر إليّ المرحوم حفنى محمد والوزير السابق وطلب منى تصريحا لأن لديه مريضاً فى المستشفى فى حالة صحية دقيقة. ورجانى الوزير أن يكون التصريح لشخصين.

وأعطيت التصريح لحفنى محمود.

وكان يحلو له – كما عرفت فيما بعد – أن يستخدمه فى المرور ليلا مصطحبا أحد أصدقائه للفرجة على القاهرة وهى تعيش ليالى الطوارئ الكئيبة.

وفى ذات ليلة استوقفه أحد مراكز الحراسة أثناء تجوله فى شوارع وسط المدينة قرب الأماكن التى دمرها الحريق، وطلب الضابط المكلف بالحراسة التصريح الذى يعطيه حق المرور ليلاً، ولكنه أجاب الضابط بأنه فقد منه.. ثم وبصوت عال قال لرجل كان يجلس إلى جانبه: يا أستاذ أحمد حسين هات تصريحك وريه لحضرة الضابط.

وما إن سمع الضابط اسم أحمد حسين حتى تكهرب الموقف وطلب من قوة البوليس الموجودة معه أن تحيط بالسيارة، ثم طلب من الاثنين النزول والتوجه معه إلى قسم البوليس.

وصاح الرجل الجالس إلى جانب حفنى محمود: والله أنا مش أحمد حسين.. أنا مش أحمد حسين.

قال له الضابط: معاك تحقيق الشخصية؟

ولم تكن البطاقات الشخصية منتشرة فى ذلك الوقت، وعبثاً حاول الرجل أن يبحث فى جيوبه عن دليل يثبت به أنه ليس أحمد حسين..

وأصر الضابط على اصطحابهما إلى القسم.

وعن طريق الموتوسيكل الذى سبق الجميع فى الوصول إلى القسم تردد أنه تم القبض على أحمد حسين.

ولم ينتظر الموجودون فى القسم وصول «أحمد حسين» بل أبلغوا الخبر تليفونياً إلى أجهزة الأمن فى وزارة الداخلية والمحافظة..

ولكن بعد دقائق تبين أن الاثنين المقبوض عليهما هما الوزير حفنى محمود وكان يحمل تصريحاً بالتجول لشخصين قدمه فى قسم البوليس، أما الشخص الذى كان معه فقد كان صديقه كامل الشناوى!

وكان هذا أحد مقالبه فى صديقه كامل الشناوى والذى تتلمذ على يديه فى تعلم فن المقالب وإجادتها فيما بعد!

وإذا كانت الاتهامات قد أحاطت بأحمد حسين في ذلك الوقت باعتباره الذى دبر حريق القاهرة – وهو مالم أكن شخصياً ميالا إلى تصديقه – فأظن من واجبى هنا أن أقدم دفاعا كاملا كتبه أحمد حسين بنفسه وأرسله إلىّ عن طريق أحد أعضاء الحزب، وقد حمل عنوان مذكرة بالأسباب الحقيقية والعوامل الطبيعية التى أدت إلى حوادث يوم السبت ٢٦ يناير ١٩٥٢ وتحديد المسئولين عنها.

ومن قرأ للمرحوم أحمد حسين – وقد كان مشهوراً بكثرة عناوينه الفرعية – سوف يكتشف على الفور أن هذه المذكرة كانت بأسلوب أحمد حسين نفسه وأوردها فيما يلى بعناوينها الفرعية.

نص مذكرة أحمد حسين

مقدمة

قد لا يوجد فى مصر كلها من يستطيع أن يتحدث عن الأسباب والعوامل التى أدت إلى حوادث يوم السبت ٢٦ يناير ١٩٥٢ كما تحدث رئيس الحزب الذى ما فتئ ينذر ويحذر من وقوع أمثال هذه الانفجارات طوال عامين كاملين منذ وليت هذه الوزارة.

إن الحزب الاشتراكى الذى يعتمد فى جهاده على إنكار وسائل العنف والذى يدرك أكثر من غيره أضرار الثورات التى تلتهم الأخضر واليابس ولا تفرق بين العدو والصديق – وقد أخذ على عاتقه منذ اللحظة الأولى من تأسيسه أن يعمل بالطرق المشروعة على تجنيب البلاد خطر اندلاع نيران الثورة عن طريق الأخذ بالإصلاحات الاجتماعية الرئيسية وتدعيم الحريات العامة وتوطيد أركان الحكم الدستورى فى البلاد. ولو قد سمع لأقوال الحزب الاشتراكى فى الوقت المناسب واتبعت وصاياه وإرشاداته التى لا يبغى من ورائها إلا الخير العام لجميع طبقات الأمة لأمكن تفادى ما وقع يوم السبت ٢٦ يناير ١٩٥٢.

ولكن الحكومة السابقة بدلا من أن تسعى لهذه النصائح الصادقة عمدت إلى اضطهاد الحزب الاشتراكى حتى وصل بها الأمر إلى تعطيل الجريدة الاشتراكية من الناحية العملية فكانت النتيجة وقوع هذه الحوادث المؤسفة.

على أن ما وقع فى يوم السبت بالذات يمكن أن يكون درسا لو أننا حاولنا أن نستفيد من عبرته وأن نتخذ منه وقاية للمستقبل من مخاطر أشد جسامة. وهذا هو ما يدفعنى لكتابة هذه المذكرة التى أرجو أن تلقى عناية المسئولين فلا يضربون بها عرض الحائط.

وقبل أن أعرض لتحليل عناصر ما وقع في هذا اليوم رأيت أن أحدد موقفي منه وكيف وصلت وقائعه إلى علمي. وذلك تبديداً لكل شك أو وهم في أن يكون للحزب الاشتراكي يد فيما حدث في هذا اليوم وهي هذه الفرية التي افتراها وزير الداخلية السابق قبل مغادرته الحكم مباشرة.

حيث رأى أن أسهل طريق يتخلص به من مسئوليته الجسيمة هو أن ينسبها إلى الحزب الاشتراكي وإلى رئيسه وإلى نائب رئيسه بينما كان الرئيس ملازما فراش المرض. أما نائب الرئيس فقد كان مقيماً في شربين لا يعلم شيئا عما يجرى في القاهرة.

الساعة التاسعة صباح السبت :

كنت طريح الفراش عقب إصابتي بأنفلونزا منذ يوم الخميس ٢٤ يناير واستيقظت في الساعة التاسعة من صباح السبت ٢٦ يناير لأسمع من أفراد أسرتي أن رجال البوليس الذين اعتادوا أن يرابطوا على كوبرى عباس عندما تعلن حالة الطوارئ غير موجودين في مكانهم بل لا يوجد أى رجل بوليس في الشارع وأن متحدثا قد تحدث في التليفون ليقص عليّ أنه في أثناء ذهابه إلى عمله بإحدى الوزارات شاهد سيارات لورى مسلحة بعساكر بولكات النظام وهم يهتفون: أين السلاح يا نحاس؟ أين السلاح يا سراج الدين؟ وانه سمعهم يهتفون بسقوط سراج الدين بالذات ولم يلبث التليفون أن دق من جديد وكان المتكلمون بعض معارفنا من ميدان السيدة وهم يقولون أن عساكر بلوكات النظام يقفون في ميدان السيدة زينب وهم يهتفون ضد الحكومة وأن باقي رجال البوليس يشدون من أزرهم.

البوليس في الجامعة :

ثم علمت أن إحدى هذه الفرق المؤلفة من رجال البوليس قد ذهبت إلى الجامعة في ساعة مبكرة من صباح هذا اليوم وعسكرت بها مع فريق آخر من عساكر الجيش وذلك في انتظار مَقْدِم الطلبة.. لم يكد الطلبة يتوافدون حتى عقد العساكر مؤتمرا وراحوا يخطبون ضد الجيش وضد الحكومة ويدعون للثورة والتمرد.

علمت فيما بعد أن أحد الوزراء شاهد بنفسه هذا المؤتمر في الصباح وسمع ما قيل فيه عن بُعد، ولم يشأ أن يظهر نفسه خوفا من تطور الأمور إلى ماهو أسوأ.

وقد استمر مؤتمر العساكر والطلاب حتى الساعة العاشرة صباحا ثم تكونت مظاهرة يقودها رجال البوليس وعساكر من الجيش وعدد كبير من طلاب الجامعة ونزلت في طريقها

إلى مجلس الوزراء فقابلها فى الطريق بعض ضباط الجيش وجنوده «فى ميدان الاسماعيلية» فانضموا إلى المظاهرة التى تضخمت وأصبحت شديدة الخطر.

مظاهرة الأزهر :

ثم وصل إلى علمى «عن طريق التليفون دائماً» بواسطة مندوبى الجريدة الذين بدءوا يتجولون فى أنحاء القاهرة لموافاتى بالأخبار أولا بأول.

وصل إلى علمى أن ماحدث فى الجامعة حدث مثله فى الأزهر. فإن عساكر بلوكات النظام فى أثناء نزولهم من معسكراتهم مروا بمنطقة الأزهر وخطبوا فى طلابه وخطب الطلاب بينهم وأن مظاهرة ضخمة تألفت على الفور وسارت فى شارع الأزهر وبدأت جموع الشعب تنضم إليها بأعداد ضخمة.

عمال الورش الحكومية :

وأبلغنى مندوب آخر أن عمال ورش الحكومة المختلفة قد نزلوا بجموعهم الضخمة وهم يهتفون ضد الحكومة وضد وزير الداخلية ويطالبون بالسلاح وإعلان الحرب ضد الانجليز وأن رجال البوليس يسيرون معهم ويشتركون فى الهتافات والجميع يهتفون: أين الجيش؟!

فى شارع محمد على :

وأبلغنى متحدث آخر أن مظاهرة كبرى تنحدر من ناحية القلعة مخترقة شارع محمد على وأن الذين يقودون هذه المظاهرة هم بدورهم عساكر من بلوكات النظام وأن عسكريا من الجيش وآخر من البوليس محمولين على الأعناق يتوليان الهتاف. وهما بدورهما يطالبان بالسلاح وبإسقاط حيدر وينعيان على الجيش عدم تدخله. وكان من بين الهتافات التى راح العسكر يرددونها «يحيا الطلبة مع الحكام» ويعنى بالحكام رجال البوليس.

مجلس الوزراء منذ الساعة العاشرة :

ومنذ الساعة العاشرة صباحا بدأت جموع المتظاهرين تتجه صوب مجلس الوزراء وتحيط به. وقد أبلغت أن البوليس أو بالأحرى حرس الوزارات قد فتح الأبواب للمتظاهرين الذين ملئوا حديقة المجلس وارتفعت هتافاتهم ضد الجيش وضد حيدر ومطالبته بالسلاح وضد سراج الدين..

وعندما وفدت بعض فرق بلوكات النظام حوالى الساعة الحادية عشرة أبلغت أنهم بدأوا يطلقون الرصاص فى الهواء تحية للجماهير وإرهابا للسلطات وتحولت الجموع حول مجلس الوزراء كالبحر الزاخر يدوى هتافهم كالرعد. وكان رجال البوليس وعساكر من الجيش يختلطون بالمتظاهرين كأنهم أفراد منهم.

الاتصال بالأستاذ مصطفى أمين :

كان مجموع هذه الأنباء التى تجمعت لدى حتى الساعة الحادية عشرة تدل على أن القاهرة فى حالة ثورة خطيرة. و أن الحكومة التى أوصلت الأمور إلى هذا الحد لا ينبغى أن تبقى فى الحكم دقيقة واحدة لإنقاذ الموقف وأن وزير الداخلية الذى أوصل الأمور إلى حد تمرد رجال البوليس والجيش يجب أن يحمل المسئولية.

وعلى ذلك فقد بادرت بالاتصال بالأستاذ مصطفى أمين صاحب أخبار اليوم لعلمى باتصاله الوثيق برئيس الديوان فسألته عما لديه من معلومات عن الحالة فوجدت أن لديه صورة كاملة عن الموقف بما فى ذلك محاصرة البوليس والمتظاهرين لمجلس الوزراء وإطلاقهم الأعيرة النارية فى الهواء وان خمسة آلاف من عساكر بلوكات النظام هم الذين قاموا بهذه الحركة.. فطلبت منه أن يتصل برئيس الديوان وأن يبلغه عن لسانى خطورة الموقف وأنه إذا استمر على هذا المنوال طويلاً فإنه قد يؤدى إلى نتائج لا تحمد عقباها وأن الوزارة يجب أن تقال فوراً لتهدئة النفوس وأننى أقترح تأليف وزارة قومية برئاسة على ماهر باشا فوعدنى بأن يبلغ هذه الرسالة.

الساعة الثانية عشرة :

ولم يكد ينتصف النهار حتى كانت القاهرة كلها قد غرقت فى الحمى فقد تسامع الجميع بانضمام البوليس إلى المتظاهرين فشعر الجميع كما لو كانوا أحرارا طلقاء من كل قيد.. فراحوا ينفسون عما فى صدورهم من سخط متوارث مكتوم.. فعادت المدارس كلها إلى إغلاق أبوابها بعد أن هجرها الطلاب الذين كانوا قد انتظموا فى الدراسة صباحا. وغادر العمال مصانعهم وبدأت جموع الشعب تتكتل حول مجلس الوزراء وفى ميدان عابدين ووسط القاهرة. وكان ذلك ينذر بقرب هبوب العاصفة وفى ميدان عابدين رأى ضباط الجيش بأعينهم وسمعوا بآذانهم شعور الجماهير. فقد أبلغت أن الشعب قد هتف فى وجوههم منددا بموقفهم وداعيا إياهم للاشتراك فى الكفاح.. وقيل لى: إن الجموع هتفت فى ميدان عابدين طالبة اشتراك الجيش فى الكفاح وسقوط حيدر ومطالبته بالسلاح.

وفي مجلس الوزراء بدأ الموقف يتطور بحيث خيف أن يتطرق الجمهور إلى غرف الرئاسة ويحدثوا بها حدثا بعد أن ذاب رجال البوليس والحرس وأصبحوا يجلسون على النوافذ تحت أبصار الوزراء أنفسهم.

عبد الفتاح حسن يخطب :

وقد حضر عبد الفتاح حسن إلى مجلس الوزراء ليخطب في المتظاهرين فلم يستطع أن يتكلم لكثرة الهرج والمرج .والهتافات العدائية. وقد كان على رأس المتجمهرين ضباط من الجيش وقد تعدى أحدهم عبد الفتاح حسن وسبقه إلى خطابة الجماهير فندد بموقف الحكومة وموقف سراج الدين.

وقد أذاع على الجمهور تعليمات سرية وزعت على أفراد الجيش تدعوهم فيه إلى الابتعاد عن المدنيين وعدم الخوض في حديث إلغاء المعاهدة وان كل ضابط يشعر برغبة في الدفاع عن البلد يُكتب في قائمة سوداء ويتبعه البوليس السياسي.

وخطب بعد هذا الضابط عساكر من الجيش وعساكر من البوليس وعمال وطلبة.. وكانت الجموع الحاشدة تهتف منادية بسقوط حيدر والحكومة وسراج الدين.

وأخيراً جئ بميكرفون واستطاع عبد الفتاح حسن أن يتكلم.. ولكن الجماهير عادت لمقاطعته بشدة.. وبدأ ضغطها يزداد.. فلم يسع الوزير إلا أن يهتف بسقوط الاستعمار وسقوط انجلترا وسقوط البغي والعدوان.. وهكذا تحول الوزير إلى أحد الهتافة ليستطيع إنقاذ نفسه وإنقاذ مجلس الوزراء من سخط الجماهير.

حرق كازينو أوبرا :

وبينما كان هذا يجرى في مجلس الوزراء كان هياج الجماهير قد تطور إلى مرحلة جديدة وهي النتيجة الطبيعية لاستمرار المظاهرات منذ الصباح المبكر حتى الساعة الواحدة بعد الظهر دون وجود ضبط أو ربط في المدينة، وانهارت هيبة الحكومة والقانون. وكان هذا التطور هو حرق كازينو أوبرا. وقد أزعجني هذا النبأ أشد الإزعاج وقلت لمحدثي أمَا من سبيل لإنقاذ الموقف سريعا؟ فأجابني أن النار تشتعل والجمهور يذكي إشعالها دون أن يتحرك رجال البوليس أو يمدوا يدا للحيلولة دون الاستمرار في إذكاء النيران. بل إن رجال المطافئ قد دعوا للاطفاء فرفضوا أن يحضروا تضامناً منهم مع رجال البوليس علما بأن المطافئ العمومية لمدينة القاهرة لا تبعد سوى بضعة أمتار عن كازينو أوبرا.

وكنت أعلم أن هذا الحريق والسكوت عليه بهذا الأسلوب لا يمكن أن يكون عود الثقاب الذى سيشعل القاهرة كلها.

علمت فيما بعد أن أحد الوزراء قد ذهب بنفسه فى ساعة متأخرة للإشراف على عملية إطفاء كازينو أوبرا، وأنه - على ماقال - كان يرى الناس من حوله وهى لا تمد يدا أو عونا لإطفاء هذا الحريق كأن الأمر لا يعنيها.. بل إن شعوره الداخلى كان يدفعه ليتصور أن كثيرين من الناس حوله كانوا يريدون أن يروا النار أكثر اشتعالاً.

الاتصال بالأستاذ ادجار جلاد

هالنى تطور الحوادث إلى هذا الحد الذى ينذر بأعظم شر فأسرعت بالاتصال بشخص آخر أعرف مدى صلته الوثيقة بالمسئولين وهو الأستاذ ادجار جلاد صاحب الزمان فاتصلت به تليفونياً فى جريدة الزمان. فعلمت منه أنه نشر فى جريدته المعلومات السابقة كلها، وأشار إلى تمرد رجال بولكات النظام وأن الداخلية أرادت أن تصادر الجريدة فاحتج عليها لأنها لم تصدر تعليمات فى وقت مبكر لعدم نشر هذه الأنباء ولذلك فهو مصر على ترك الجريدة ويتعهد ألا يصدر بعد ذلك ملاحق أو يشير إلى ما حدث. ويظهر أن البوليس أخذ بوجهه النظر هذه وترك الجريدة بغير مصادرة.

فسألت الأستاذ جلاد: هل تعلم أن الأمور تفاقمت وأن الجماهير بدأت فى إشعال النيران؟ فأبدى إنزعاجه بهذا النبأ.. فرحت أصور له خطورة الموقف كما بدأت ألمسها وأنا فى فراش مرضى من الأنباء التى تصلنى تباعاً من هنا وهناك. وأنه لا يمكن أن تعيش أمة هكذا بغير حكومة لأنها لم تعد فى البلد حكومة وأنه لا سبيل لإنقاذ الموقف إلا بإقالة الحكومة فورًا وتأليف وزارة جديدة برئاسة على ماهر وطلبت منه أن ينقل رأيى هذا إلى من يرى نقله إليه من المختصين.. مشفوعاً بإشفاقى على ما سيحل بمصر إذا استمر الحال على هذا المنوال. فوعدنى بأن يفعل ذلك وطلب منى أن نتقابل.. خبرته بأننى ملازم الفراش وإنه يسعدنى أن يتكرم بزيارتى.

الفوضى فى الساعة الثالثة مساء

لم تكد الساعة تبلغ الثالثة مساء حتى فهمت من بعض محررى أخبار اليوم الذين اتصلت بهم أن الحرائق قد انتقلت إلى سينما ريفولى وراديو وميامى وأن الفوضى قد انتشرت فى

كل مكان. وأن البوليس يقف موقفاً سلبياً من كل هذه العمليات. والمطافئ لا تتمكن من القيام بعملها فالجمهور يقطع خراطيم المياه ليحول بينها وبين العمل.

الاتصال برفعة على ماهر باشا

عنـد هذا القـرار رأيت أن أتصل بالرجـل الذى أتصور أنه قادر علـى إنقاذ الموقف وهو رفعة على ماهر باشـا فأسـرعت بالاتصال به فوجدته لا يعرف تماماً مدى خطورة الحركة، وماهو جار فى مجلس الوزراء وفى سـاحة عابدين وانضمام البوليس وكثير من أفراد الجيش للجمهور، وأن ذلك ما جعل القاهرة فى حالة ثورة لا سـبيل لعلاجها إلا بإقالة الوزارة على الفور وتأليف وزارة جديدة برئاسـته هو بالذات، على أن تكون وزارة قومية تخدم الشـعب بـروح وطنية صادقـة.. ورجوته ألا يجعل هناك أى اعتبار لمسـألة أنه لا يصح أن يتكلم عن نفسـه فالمسألة الآن ليست مسألة شخصية وإنما هى مسألة إنقاذ للبلد. وأظهرت له مخاوفى إذا لم تسقط الوزارة واستمرت هذه الفوضى وهذه الحرائق أن يبادر الإنجليز باحتلال القاهرة فـوراً. ورجوته فى ختام الحديث أن يتصل بحافظ عفيفـى وأن يحيطه بجلية الأمر وضرورة الإسراع لإنقاذ البلاد بالصورة التى اقترحها.

الاتصال بالأستاذ ابراهيم شكرى

وبعد ذلك رأيت أن أتصل بالأستاذ ابراهيم شكرى الذى كان يقيم فى شربين وذلك ليحضر لمصر باعتباره نائبا فى البرلمان ليكون أقدر منى على العمل والاتصال الشخصى نظراً لمرضى الذى يجعلنى عاجزاً إلا عن طريق الاتصال التليفونى وبالفعل اتصلت بالأستاذ ابراهيم شكرى فوجدته لا يعرف شيئاً عما يقع فى مصر فأثبت له خطورة الموقف ورجوته أن يحضر حالاً فوعدنى بذلك.

تطور جديد فى الموقف

جاءتنـى الأنباء بعد ذلك أن مظاهرة الجماهير الحاشـدة قد بـدأت تتفرق وأن بعضها قد تحـول إلى مظاهـرات صغيرة بدأت فى أفواج متفرقة فى مختلـف الجهات على حرق أنواع مختلفـة من المحـلات بغير ضابط . وكان معنى ذلك تطـور الحـال إلى الفوضى المطلقـة.. وكان كل من يحدثنى بالتليفون بعد ذلك من مختلف أفراد الشـعب يظهرون بالرعب والفزع مما يرون ويشاهدون ويطلبون النجدة.. فقلب القاهرة يوشك أن يحترق عن بكرة أبيه.

رفعة على ماهر باشا ثانية

وفى هذه الساعة خاطبنى رفعة على ماهر باشا وأخبرنى أنه لم يتمكن من مخاطبة حافظ عفيفى فقلت له ما أصبح فيه الناس من رعب وفزع والخطر المحدق بحرق مدينة القاهرة وأن الموقف أصبح يتلخص فى خراب ودمار شامل فلا بوليس ولا جيش ولا حكومة وإنما فوضى وفتنة.. لايعرف سوى الله كيف تنتهى وكيف تنجو منها البلاد.. ولقد عاودنا الحديث فى الموقف وملابساته وكررت رأيى أن العلاج السريع هو أن يؤلف وزارة تدارك الموقف بحزم فطلب منى رفعة على ماهر أن أظل على اتصال به فوعدته أن أمر عليه اليوم التالى إذا مكنتنى صحتى وكانت الظروف تسمح بذلك.

مؤامرة على قتلى

وفى الساعة الرابعة مساء حدثنى متحدث من وزارة الداخلية.. أخبرنى أن الأحكام العرفية ستعلن وأن هناك همسًا بالتآمر علىّ.. وأنه يحذرنى من أن أغتال فى وسط الفوضى. وتزعم الحكومة أن سبب موتى هو اشتراكى فى الحوادث.. أو أننى قاومت الحكومة عندما همت بالقبض علىّ. ولقد رفض محدثى أن يقول لى اسمه مكتفياً بقوله إنه صديق. ولم أستطع أن أستبعد هذه الفكرة من رأسى بالرغم من غرابتها.. وسرعان ما استبدت بى الفكرة وأننى أصبحت فى خطر محقق إذا واصلت بقائى فى البيت بعد أن تطورت الأمور إلى هذا الحد من الفوضى واختلط الحابل بالنابل.. ولم تعد فى مصر حكومة مقامة.. ولم تعد هناك قوانين أو قواعد مرجية.. وفى الساعة الخامسة تحايلت على نفسى بالرغم من تعبى وانتقلت إلى بيت آخر من بيوت الأسرة لأواصل تمريضى فيه ريثما ينجلى الموقف.

اتهام الاشتراكيين

وفى الساعة السادسة مساء اتصلت من جديد بالأستاذ مصطفى أمين بحثاً خلف الأخبار ولأعرف تطورات الموقف الأخيرة، فإذا به يفاجئنى بأن فؤاد سراج الدين قد أبلغ السراى أن الاشتراكيين هم المسئولون عن كل ما وقع فى مدينة القاهرة هذا اليوم.

فوقع علىّ هذا وقع الصاعقة.. وكان آخر مايمكن أن يتطرق إليه خيالى أن يصل الإفلاس والإجرام بوزير داخلية إلى الحد من الزور والبهتان واتهام أبرياء سعوا جاهدين لتفادى

وقوع أمثال هذه الكارثة فيلصق بهم أخطر تهمة عرفها التاريخ ليستر بها عجزه وفشله ويغطى بها أحقاد نفسه الرخيصة.

محاولة القبض عليّ

وفى هذه الأثناء - وقد بلغت الساعة السابعة مساء - وصل الأستاذ ابراهيم شكرى من شربين وكان كما قدمت لا يعرف شيئا مما وقع إلا ما أخبرته به فى التليفون.. ولم نكد نشرع فى ذكر ماحدث حتى أبلغنا التليفون أن قوة من الجيش والبوليس قد دهمت الحزب بحثا عنى فلما لم تجدنى توجهت إلى المنزل للقبض عليّ وبهذا النبأ صح هذا الإنذار الذى وصلنى من مجهول.. فلم يسبق لرجال الجيش اعتقال متهم.. ولم يكن هناك أى مبرر لاعتقالى إلا أن تكون هناك مؤامرة فقد كان هناك محضر تحقيق فى النيابة العمومية يستدعى سماع أقوالى، ومنذ الصباح المبكر وقد أوفدت إلى النيابة أحد المحامين وهو الأستاذ سليمان رحارى ليرجو وكيل النيابة المحقق الأستاذ عدلى نسيم أن يحضر إلى المنزل لأخذ أقوالى فوعده بذلك وظل الزميل المحامى فى انتظار فراغ وكيل النيابة من أعماله.. إلى أن توالت حوادث الحريق والاضطرابات فأجل المحقق التحقيق إلى اليوم التالى ومنها أكون قد استكملت صحتى. وفى حالة مرضى طلب منى أن أرسل شهادة طبية وقد أبلغت ذلك له تليفونيا.. فلم يكن هناك أى مبرر لحضور ضباط من الجيش والبوليس لاعتقالى إلا أن يكون خبر المؤامرة الذى وصل إلى علمى صادقاً. ولذلك آثرت أن أبقى حيث كنت حتى ينجلى الموقف وأضع نفسى تحت تصرف سلطات مسئولة واطمئن إلى إجراءاتها..

هذه هى حوادث يوم ٢٦ يناير كما وصلت إلى علمى والجهد الذى بذلته قدر طاقتى لتفادى التطورات السيئة التى حدثت فى هذا اليوم. وليس هناك ما يملأنى غبطة وارتياحا أكثر من أن الحل الذى اقترحته فى هذا اليوم قد نفذ.. وأن الرجل الذى تصورته قادراً على إنقاذ الموقف قد اختير بالفعل. ولو قد تم هذا الاختيار فى ظهر يوم السبت ٢٦ يناير لأمكن تفادى كثير من التطورات السيئة ولما كانت هناك ضرورة لإعلان الأحكام العرفية التى لجأت إليها الحكومة الساقطة لتغطية فشلها وعجزها.. بل وإجرامها ضد البلاد والشعب.

والنتيجة التى تستخلص من البيان السابق هى:

أولاً - أن ما وقع فى مدينة الاسماعيلية ليلة الخميس وأذيع على الناس يوم الجمعة من دك محافظة الاسماعيلية وقتل عدد كبير من رجال بوليسها وجرح عدد أكبر وأسر ألف

عسكرى.. كان لهذه الأخبار أسوأ الأثر فى نفوس الشعب بصفة عامة فزادته سخطًا على سخط وضاعف من غضبه ما تظهره الحكومة من عجز وضعف فى مجابهة الموقف.

ثانيـــا – أن تمرد رجال بلوكات النظام فى الصباح المبكر من يوم الســبت يجب أن يعتبر بمثابة عود الثقاب الذى أشعل نيران هذا اليوم.

وأنـــه كان متعيناً على وزيـــر الداخلية أن يقدر خطورة هذا التمرد والنتائج الخطيرة التى ستترتب عليه إذا لم يبادر بعلاجه علاجاً حاسمًا فى ساعة مبكرة. وأنه قد فشل فى قمع هذا التمرد – بل يبدو أنه لم يحاول علاج هذا التمرد – فلم يبق أمامه إلا أن يســتقيل لا أن يخفى خطورة الموقف الذى تداعت أحداثه كما حدثت فيما بعد مما يؤكد فشل وزير الداخلية وأنه إذا كان هناك من يمكن اتهامه بحرق القاهرة فهو وزير الداخلية وأجهزته المسئولة.

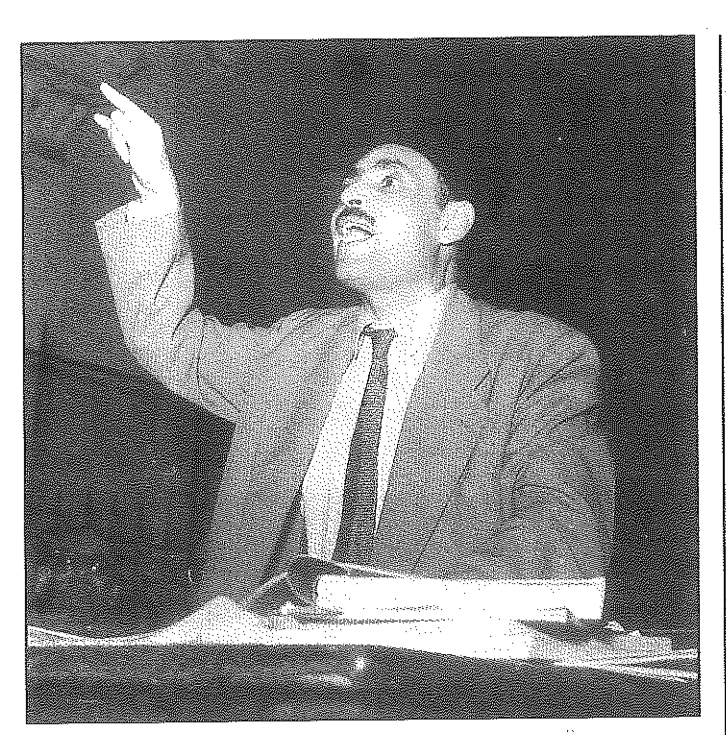
❑❑❑



١ - الملك فاروق .



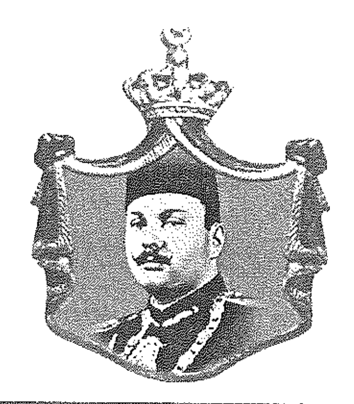
٢ - محلات شاهر بشارع ٢٦ يوليو (فؤاد الأول سابقا) أثناء حريق القاهرة .



٣ - أحمد حسين يتهم الداخلية بأنها وراء كل ما حدث .



٤ - أطلال محلات أوريكو كما بدت بعد فى اليوم التالى للحريق .



الفاعل الحقيقى

■ كل الدلائل تؤكد : فاروق هو الذى دبر حريق القاهرة !

■ مفارقات القدر .

– فى يوم السبت ٢٦ يناير دبر الحريق لإخراج الوفد !

– وفى يوم السبت ٢٦ يوليو خرج هو من مصر !

■ لماذا طلب رئيس الديوان إغلاق ملف الحريق ؟

■ محمد حيدر يتدخل لدى النيابة ويمنع معاقبة العسكريين الذين شاركوا فى المظاهرات .

■ سر كراهية الملك فاروق للوفد .



سوف يبقى يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ فى تاريخ مصر يوما من أهم أيامها، ففى هذا اليوم بدأت مرحلة اللا استقرار الرهيبة التى عاشتها مصر. وهى التى مهدت نفوس المصريين لاستقبال حركة الجيش فجر ٢٣ يوليو ١٩٥٢ استقبالاً طبيعياً.

وعلى رغم أننى منذ توليت وزارة الداخلية يوم الاثنين ٢٨ يناير ٥٢ قد حاولت جهدى - عن طريق الأجهزة التى كانت موجودة بالطبع - معرفة من هو الفاعل، فإن كل المحاولات التى جرت لم تستطع أن تقبض على يد محددة توجه إليها الاتهام..

مع ذلك، وقبل أن أنتهى من هذا الفصل الخاص بحريق القاهرة وأغلق ملف أوراقى فإننى وعلى رغم مرور كل السنوات التى مضت لا أستطيع أن أغفل عددًا من الملاحظات الهامة التى أصبحت تدعم وتؤكد يقينى بأن فاروق نفسه.. ملك مصر هو الذى كان وراء هذا الحريق.. وإذا كان التعبير القانونى الشهير «من ظاهر الأوراق» هو الذى يجعل القضاة فى بعض القضايا يصدرون حكمهم.. فإننى أستطيع أن أقول إنه كانت هناك إلى جانب «من ظاهر الأوراق» التى تشير إلى اتهام فاروق، ما هو أكثر، بل إلى حد استخدام «من باطن الأوراق» لا من ظاهرها..

لقد كان لافتاً للنظر بل وللدهشة أن يشترك ضابط من الجيش وهو محمد على عبد الخالق ومعه جنود السوارى اشتراكاً علنياً واضحاً فى المظاهرات التى قامت صباح السبت ٢٦ يناير ٥٢ كرد فعل لأحداث الإسماعيلية فى اليوم السابق، وهى التى أوضحت فى الفصول السابقة كيف بدأت باشتراك جنود بلوك النظام.

لم تكن هذه المظاهرات مقصورة فقط على البوليس والطلبة وفئات الشعب المختلفة التى انضمت إليها، وإنما كان الغريب أن يشترك فيها ضابط جيش وجنود جيش. ولم يكن من المعقول أن يجرؤ هذا الضابط وهؤلاء الجنود على السير فى هذه المظاهرات وحدهم دون أن يكون لديهم ضوء أخضر يسمح لهم بذلك. لأن الترجمة الواقعية لاشتراك ضابط عسكرى

فى مظاهرات تمرد من قوات مسلحة هى قوات بلوكات النظام تعنى أمراً خطيرًا، وعقوبتها صارمة جدًا.

فهل يمكن تصور أن هؤلاء الضباط والجنود لم يقدروا مغبة وعاقبة ما أقدموا عليه؟

الجيش يطلب محاكمتهم

لم يكن اشتراك الضابط محمد عبد الخالق سرًا، فقد تم تصويره وهو محمول على الأعناق فى المظاهرات.. وعقوبة مثل هذا التصرف صارمة جدًا كما قلت، لكن الغريب أننا بعد أن قبضنا على محمد عبد الخالق وعلى جنود السوارى الذين عرفنا شخصياتهم من الصور الفوتوغرافية وأحلناهم إلى النيابة، فإن قيادة الجيش وعلى رأسها الفريق محمد حيدر تدخلت لدى النيابة وطلبت تسليم هؤلاء العسكريين إلى سلطات الجيش لتتولى محاكمتهم بمعرفتها عسكريا. وتم تسليمهم بالفعل إلى الجيش.

ولكن، وكما عرفت وتأكدت فإن أحدًا منهم لم يعاقب.. لا الضابط ولا أحد من الجنود.. فمن الذى كان يمكن أن يحميهم ويوفر لهم الأمان فى ذلك الوقت غير القصر؟

السلطانة ملك تحذر فاروق !

غير ذلك أذكر حادثتين لهما دلالتهما.

أما الأولى فهى أننى شخصيًا سمعت أن السلطانة ملك (زوجة السلطان حسين وكان فاروق يعتبرها بمثابة أمه ويستشيرها فى الكثير من الأمور) . أقول سمعت أن السلطانة ملك أزعجها ما حدث فى الإسماعيلية بين الإنجليز والبوليس يوم الجمعة ٢٥ يناير، وأنها اتصلت بالملك فاروق تسأله تفاصيل الحادث. وعندما عرفت السلطانة ملك بما حدث من فاروق أوضحت له بخبرة السيدة المحنكة أن هذا حادث خطير يعرض البلد إلى منزلق خطير. وكان رد فاروق كما عرفت أنه يوافقها على انزعاجها، ولكن «لابد من إيصال البلد إلى أخطر منزلق حتى يمكن إصلاحه بعد ذلك» ..!

أغلق ملف حريق القاهرة !

ذلك حادث سمعته

لكن الحادث الثانى عشته..

فذات يوم – وأنا فى الوزارة – اتصل بى الدكتور حافظ عفيفى رئيس الديوان الملكى فى ذلك الوقت وقال: إنه يود رؤيتى.

وقابلته. وما إن صافحته وجلست حتى قال ضاحكًا وغليونه فى فمه: أنت تاعب نفسك كثيرا فى موضوع حريق القاهرة ليه؟

قلت: وما وجه العجب فى ذلك.. وهل هناك ما هو أخطر من هذا الحادث؟

قال حافظ عفيفى: هذا موضوع انتهى وفات. والبلد أمامه مسائل كثيرة أخرى تستحق الاهتمام أكثر من حريق القاهرة.

قال حافظ عفيفى دون أن يتركنى أتحدث: إن كثيرين من موظفى وزارة الداخلية لا يزالون خائفين من أن تحملهم المسئولية وقد بلغنا أنك عاقبت بعضهم بتهمة التقصير فى كشف الفاعل وهذا يكفى. إننى أرجو أن تغلق ملف حريق القاهرة. وهذا رجاء أقوله لك يا أستاذ مرتضى وأنت حر فيما تقرره.

قلت له: حافظ باشا.. هل هذا رأى شخصى أو رأى جلالة الملك قال بابتسامة لا تغيب عن فطنة من يحدثه: لا تنس يا أستاذ مرتضى أننى رئيس ديوانه! وخرجت من عند رئيس الديوان الملكى وأنا أفهم بالطبع معنى الرسالة.. وكنت قد عاقبت بالفعل بعض رجال الأمن الذين ثبت عليهم من تحقيقات النيابة التى جرت تهمة الإهمال فى القيام بواجبهم.

ومع أننى ترددت كثيرًا قبل توقيع العقوبة على أساس أنهم كانوا تحت ظروف قاسية يصعب عليهم فيها القيام بشىء يوقف الدمار لأن موجته كانت أعلى من قاماتهم، إلا أننى وقعت هذه العقوبات ضمانًا للمستقبل وحتى لا يقصر من تقع عليهم المسئولية إتكالا على أنهم سيكونون بمنجاة من العقاب.

كلها تشير إلى فاروق!

واليوم عندما أجمع القصاصات المتباعدة:

●● حديث فاروق إلى السلطانة ملك وإشارته إليها بضرورة أن يتعرض البلد لشىء خطير جدًا حتى يمكن إنقاذه.

●● وليمة فاروق المفاجئة التى أقامها يوم السبت ٢٦ يناير ظهرًا ووجه إليها الدعوة يوم الجمعة قبلها بيوم واحد وهو مايخرج على كل تقاليد.

●● الأشخاص المدعوون لهذه الوليمة والذين يمكن وصفهم بأنهم المسئولون فى الجيش والبوليس عن أمن مصر والقاهرة على وجه الخصوص.

●● استبعاد وزيرى الداخلية والحربية من هذه الوليمة وعدم توجيه الدعوة إليهما مع أن المفروض أن يكونا موجودين!

●● اشـتراك بعض ضباط الجيش والجنود فى المظاهـرات التى جرت يوم ٢٦ يناير مما عكس اتحاد الجيش والبوليس لأول مرة فى مظاهرة مع الشعب.

●● عدم معاقبة هؤلاء الجنود فيما بعد بمعرفة قيادة الجيش رغم المدلول الخطير الذى يعكسه تصرفهم.

●● كلام رئيـس الديوان الملكى ورسـالته غير المباشـرة لى من فـاروق بأن أغلق ملف التحقيق فى حريق القاهرة ولا أجهد نفسى فى البحث عن جناته..

كل هذه القصاصات ماذا تعنى غير أن فاروق كان نفسه وراء هذا الحريق.

●● رجـاء وزير الداخلية الملح لقائـد الجيش بنزول الجيش للسـيطرة على الموقف، وتأخر تنفيذ هذا الرجاء ثلاث سـاعات كاملة، ثـم تمييع الموقف بعد نزول الجيش بحيث ظهر عندما نزل أنه شريك ومؤيد لما يجرى، ولم يطلق رصاصة واحدة على سبيل التهديد إلا فى الحادية عشرة مساء وبعد أن تم الخراب والدمار.

●● تمسـك قيادة الجيش بأن يكون لها وحدها حق سـؤال هؤلاء الجنود وعدم فرض أية عقوبة على أحد منهم على رغم المدلول الخطير الذى يعكسه تصرفهم.

●● محاولات أجهزة المباحث اتهام أحمد حسين والحزب الاشتراكى بأنه العقل المدبر والمنفذ، وهى محاولة كان واضحًا منها التخلص من خصم عنيد لفاروق ولحزب الوفد الحاكم فى وقت واحد.

□□□

كل هـذه القصاصات المتناثرة عندما أجمعها اليوم فماذا تعنى غير أن فاروق كان نفسـه وراء هـذا الحريـق الذى دبره للتخلص مـن حكومة الوفد، ونجح بالفعـل فى التخلص من حكـم الوفد، لكنه فى الوقت نفسـه وضع اللغم الموقوت تحت عرشـه الذى تم نسـفه يوم ٢٣ يوليو من نفس العام، ثم تكمل المقادير أحداثها فيأتى خروجه من مصر فى يوم السبت ٢٦ يوليو..

ويوم السبت ٢٦ يناير كان حريق القاهرة.

ويوم السبت ٢٦ يوليو من نفس العام كان خروجه من مصر.

هل كان يدرى؟

هل كان يعرف ماذا تعد له المقادير التى ظن أنه هو الذى كان يخطط لها؟

ثم لماذا أراد التخلص من الوفد ووصل تفكيره إلى هذه الدرجة الشيطانية؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال لابد - وأنا أغلق ملف حريق القاهرة - أن أشير إلى منشور سرى تم ضبطه بعد الحريق كان يوزع داخل القوات المسلحة.

وربما كان أهم ما يعكسه هذا المنشور من تفكير موجود بين حركة الضباط الأحرار فى ذلك الوقت يبدو متلاقيا مع تفكير فاروق نفسه.. ولكن مع الاختلاف فى الأهداف.

يقول المنشور وأنقله بنص عباراته:

من عليه الأمل معقود؟

إنه الجيش.

وهو فى الدرجة الأولى من الاعتبار ذو الأمل المنشود، يضاف إليه عنصر آخر هو عنصر البوليس.

بورك فسادكم أيها الرأسماليون. فقد ساعدتم الخطة على الكمال.

وتنمو العلاقة وتتوثق ربطتها. وتعمل جمعية الضباط الأحرار من شباب الجيش فى إخلاص ودقة.

إن جنود الجيش من أبناء الشعب وهم يفهمون الجندية على أنها حكم قاس من أحكام القدر الظالم.

أخانا عسكرى الجيش يجب أن تفهم أن الجندية هى حكم رهيب لقدر ظالم جبار. هذا هو الف باء العلم والتصقيل.

الجندى يقول له الضابط فى دروس المعسكر: اسمع يا عسكرى أنت وهو، أنا ضابط أبويا ليس باشا. أنا مثلك آكل طعمية وفول مدمس زى مابيكلوا.. أهلى استطاعوا التحمل بالقليل مما لديهم ليجعلونى ضابطًا. ونحن محكومون بطغاة يمتصون ثروات البلد، ويأكل الشعب التراب، والانجليز الكفرة المجرمون يقتلون المصريين فى القنال والشرقية لأنهم لا يريدون الجلاء. إن الضباط الأحرار هم ثمرة التجاوب الثورى وانبثاق الأمل فى الجيش. لقد برق الأمل الكبير. إن الانجليز دكوا مدينة الاسماعيلية وقتلوا وأسروا البوليس. والبلاد تجتاحها موجة سخط شنيع. فعلى هيئة القيادة أن تسرع وتمهد للتغيير. الخطوة الأولى أن يفر جنود من الجيش وينضموا إلى فدائيى الكتائب. وعند ساعة معينة من صباح يوم السبت تبدأ حركة إرهاب تعد من أخطر ماعرفت مصر من تاريخها. ذلك أن يحضر بعض الفدائيين المزودين بأدوات الساعة أى القنابل المحرقة والخناجر والمسدسات، وتقسم هذه الفرق فى أنحاء

القاهرة تخرج معها القوى الشعبية لتحرق أماكن معينة من المدينة مما ينشر الذعر. هنا الثورة فى قلب العاصمة التى تدفع النفوس نحو تنفيذ الخطة المدبرة ويفلت النظام مركزيًا. ستحرق أماكن اللهو ودور القمار والخمر. هذه هى النهاية التى كانت فى حسبان أولى الشأن. ولكننا نرى أنها نهاية لم تبلغ بعد.

فيالخيبة الأمل.. ويالها من خيبة قاتلة جاءت فى لحظة رجاء مشرفة فى ذمة الله.

لقد رسمت الخطط ودبرت المسائل. ولكن راح أمل الحكومة الانقلابية التى دبرناها لتحل محل حكومة الرأسماليين فى سراب الدخان القاتم.

انتهى البيان..

ولابد أن أعلق هنا بملاحظة بالغة الأهمية، وهى أن ثورة يوليو لم تحاول- حتى مجرد المحاولة- التحقيق فى حريق القاهرة، ومحاولة معرفة الفاعل فيها.. لم تحاول الثورة على رغم انها فتحت ملفات كثيرة، إلا أنها لم تقترب من فتح هذا الملف الذى ظل سرًا مغلقا..

انذار بريطانى للشرطة

ثم أعود إلى السؤال: لماذا دبر فاروق حريق القاهرة؟

إن من السذاجة والتجاوزات معا تصور أن فاروق كان وراء سيناريو الأحداث الذى وقع منذ كان العدوان الانجليزى على مبنى محافظة الاسماعيلية وقسم الشرطة هناك وهو الذى جرى يوم الجمعة ٢٥ يناير ٥٢ وأحدث ردود الفعل العنيفة التى أحدثها.

من السذاجة والتجاوز تصور أن فاروق كان له دخل بهذا الحادث الذى بدأ بشكل فجائى عندما حاصرت القوات الانجليزية فى مساء الخميس ٢٤ يناير مبنى محافظة الاسماعيلية وقسم أو ثكنات بلوكات النظام التى كانت توجد خلف مبنى المحافظة. وعلى الطريقة الانجليزية المعروفة فإن قائد القوات الانجليزية واسمه الجنرال اكسهام وكان يتولى قيادة القوات البريطانية بمنطقة الاسماعيلية (حيث كان للانجليز فى ذلك الوقت قوات وثكنات على امتداد طول القناة) .. قام الجنرال اكسهام بتسليم إنذار إلى مسئول قوات الشرطة يطلب فيه أن تقوم قوات الشرطة بالاسماعيلية بتسليم أسلحتها إلى القوات البريطانية وان تخرج هذه القوات بعد أن تسلم سلاحها وتغادر منطقة القناة وأنه فى حالة عدم تنفيذ أوامر القائد البريطانى فإن مدافع الدبابات التى كانت تحاصر مبنى المحافظة فى ذلك الوقت سوف تقوم بهدم المبنى ومقر الشرطة على من فيه.

وكان الهدف الواضح من هذا التصرف الانجليزى هو إهانة السيادة المصرية ممثلة فى شرطتها بعد أن نشطت عمليات الفدائيين التى كان يقوم بها المصريون ضد الانجليز فى منطقة القناة، وكان يشارك فيها بعض الضباط المتخفين. وقد نشطت هذه العمليات بعد أن أعلن مصطفى النحاس باشا فى ٨ أكتوبر إلغاء معاهدة ١٩٣٦ التى كانت تسمح للإنجليز بحصر وجودهم فى منطقة القناة.

ألغى النحاس باشا هذه المعاهدة وكسب رأيا شعبيا واسعا أغاظ بالتأكيد الملك فاروق الذىكان يكره الوفد كراهية بالغة تعود إلى الأيام الأولى من توليه سلطاته كملك فى عام ١٩٣٧. وعلى رغم صغر سنه فى ذلك الوقت فإنه تعلم إقالة الوزارات، وكانت أول وزارة أقالها هى وزارة مصطفى النحاس!

سراج الدين يرفض

على إثر تلقى قائد قوات الشرطة فى الاسماعيلية الإنذار البريطانى أجرى اتصالا مع وزير الداخلية فؤاد سراج الدين الذى كان أمامه أحد خيارين إما أن يقبل استسلام قواته بكل ما يمثله ذلك من خزى، وإما أن يطلب إليها المقاومة وليكن ما يكون.

ورفض سراج الدين الاستسلام..

وللتاريخ، كانت الروح المعنوية لقوات الشرطة التى وجدت نفسها محاصرة بالدبابات عالية جدا.. وذهب قائدها اليوزباشى (النقيب) مصطفى رفعت يبلغ القائد الانجليزى: إذا أردتم استسلامنا فلن تتسلموا منا غير الجثث!

وبكل الوقاحة والغطرسة البريطانية تم تنفيذ الإنذار.. وأطلقت مدافع الدبابات طلقاتها على مبنى المحافظة.. وبالبنادق المتواضعة التى كانت فى أيدى الجنود المصريين ردوا على الرشاشات والمدفعية البريطانية.

كانت معركة قمة فى البسالة من جانب المصريين، وقمة فى النذالة من جانب البريطانيين.. وقد ظل جنود الشرطة يقاومون ببنادقهم أكثر من ساعة ونصف ساعة سقط منهم خلالها ٥٠ شهيداً وجرح ٨٠ ضابطا وجنديا.

وإذا كان تاريخ الأمم لا يكتبه غير الأبطال الذين تهون عليهم أرواحهم فى لحظات الامتحان الرهيبة التى يتعين على الوطن أن يواجهها، فلقد كتب أبطال الشرطة الذين صمدوا واستشهدوا وجرحوا صفحة من أعظم صفحات مصر، الأمر الذى أصبح فيما بعد وبحق عيدا للشرطة يتم الاحتفال به فى ٢٥ يناير من كل عام.

دوره بدأ بعد الاسماعيلية

ولكن فاروق كما قلت لم يكن ولا يمكن أن يكون له أى دور بهذا السيناريو الذى وقع. لقد جرى ماجرى صباح الجمعة ٢٥ يناير.

وعندما عرفت مصر بأنباء ما حدث كانت المشاعر كلها لهيبا متفجرا بالغضب.. وكان جنود بلوك النظام فى العباسية هم فى مقدمة الذين حركتهم مشاعر الغضب تعاطفا مع إخوانهم، وكانت مظاهراتهم التى تطورت إلى مشاهد الحريق المدمر..

وهكذا فإنه إذا كان لفاروق دور فى كل ماحدث فلقد بدأ هذا الدور فى أعقاب حوادث الاسماعيلية التى أراد استثمارها للقضاء على حكم الوفد الذى كانت شعبيته واضحة خصوصا بعد إلغاء النحاس باشا معاهدة ٣٦ فى أكتوبر ٥١ كما قلت.

والسؤال الذى لابد منه هو: لماذا كانت هذه الكراهية الشديدة بين فاروق وبين الوفد تلك التى جعلته يخطط كما تشير ظواهر الأحداث وبواطنها إلى أنه كان نيرون هذه المدينة العظيمة الجميلة التى كانت فى وقتها من أجمل وأنظف مدن العالم؟

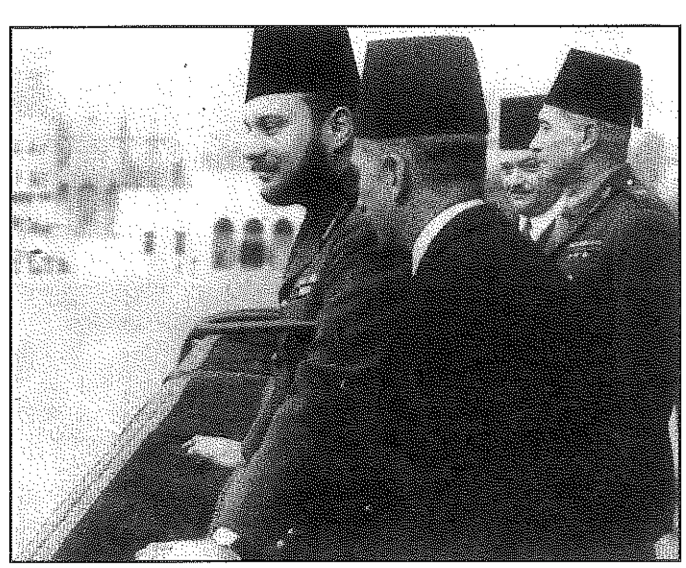
إنها ليست قصة فاروق والوفد..

ولكنها قصة فاروق ومصر..

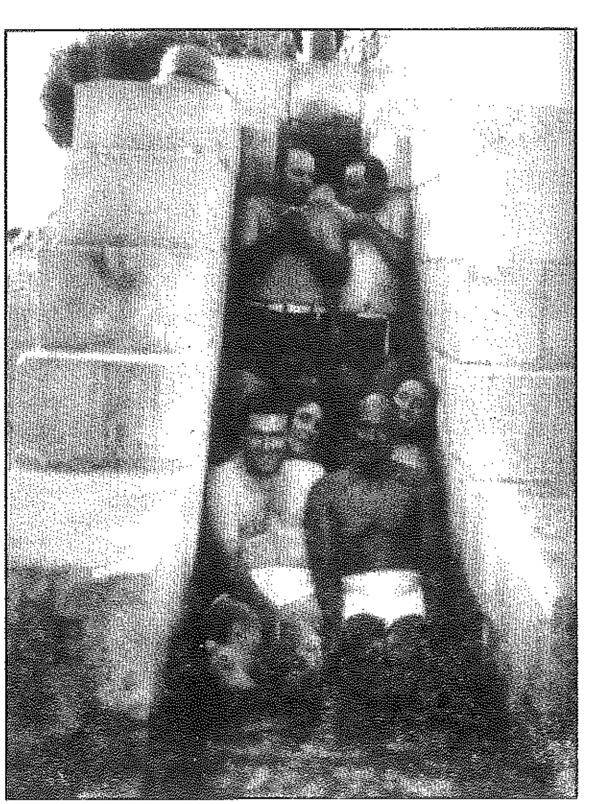
وبصرف النظر عن تطورات الأحداث بعد ٢٣ يوليو ٥٢ وخروج فاروق من مصر فلقد كان فاروق وسيبقى جزءا من تاريخ مصر.

وكم كانت فترة حكمه غريبة.. وكانت مشاعره تجاه الملايين.. وشعوره بأنه لن يعيش طويلا فى مصر.. لقد تتابعت السنوات، وقد حان الوقت الذى يمكن فيه كتابة قصة فاروق وقد كنت شاهدا على كثير من فصولها، بلا عقد ولا حساسيات.





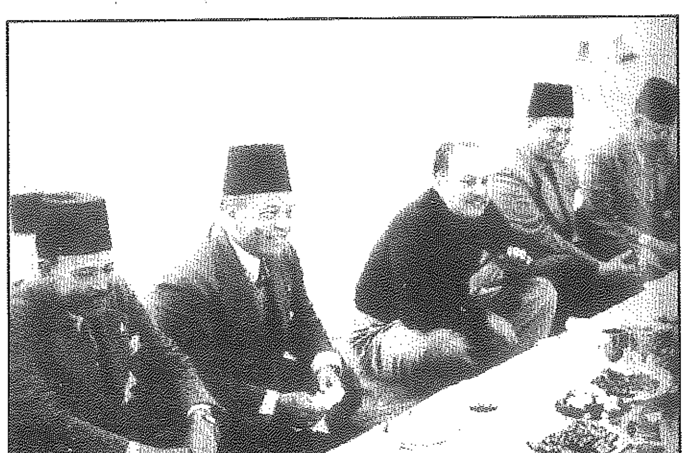
١ – كل الدلائل تؤكد أن فـاروق هو الذى دبر حريق القاهرة .



٢ – لقطـة نـادرة فـى كبريتـاج حلـوان بصحبة توءم روحـه بوللى وبعض أفراد الحاشية .



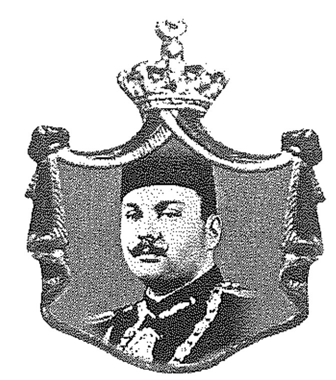
٣ - إحدى حفلات شم النسيم بصحبة شقيقته فائزة .



٤ - المائدة الملكية والبساط أحمدى فى الرحلات الترفيهية وقد جلس عن يساره ويمينه الشقيقان محمد وحسين عنان باشا .

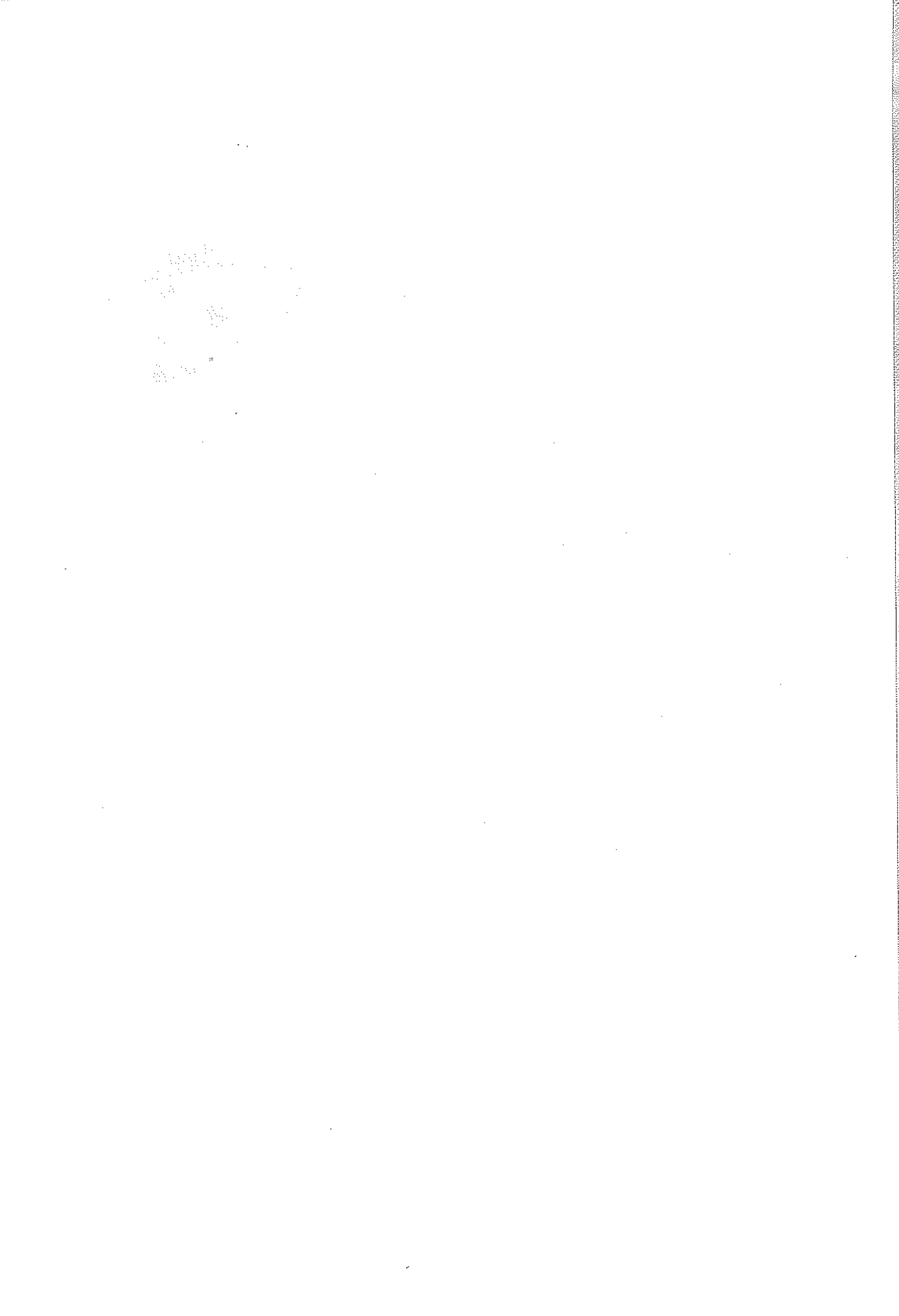


٥ - حافظ عفيفى طلب إغلاق ملف حريق القاهرة .



فاروق بين الواقع والمبالغات

- فاروق ضحية المرض والأب والخلافات العائلية ومستشارى السوء.
- نازلى أمه طلبت إليه التلصص على أبيه من ثقب الباب.
- طبيب إيطالى يحذر فؤاد من احتمال إصابة فاروق بمرض عقلى.
- السفير البريطانى يصف خطاب إقالة النحاس بـ «الوقح».



لعب يوم السبت فى حياة فاروق دورًا بارزًا.

ففى يوم السبت ١١ فبراير ١٩٢٠ كان مولده.

وفى يوم السبت ٢٦ يناير ١٩٥٢ كان حريق القاهرة الذى وضع قنبلة الانفجار تحت عرشه.

وفى يوم السبت ٢٦ يوليو ١٩٥٢ كان يوم خروجه من مصر مغلقا صفحة الملكية فى التاريخ المصرى.

ولابد من الاعتراف بأن فاروق كان ضحية عوامل عديدة منها مرضه وهو صغير فى سن التاسعة - وهو ما سنتحدث عنه بتفصيل أكثر - والجو العائلى المضطرب الذى كان يخيم على قصر عابدين (علاقة أبيه الملك فؤاد والملكة نازلى) وإباء والده أن يربيه تربية مصرية خالصة، وحرمانه بسبب ذلك من مزاولة اللعب مع أطفال مصريين يتحد فيه روح الصداقة والحب لمصر ويخففون عنه شعور الوحدة.

كل ذلك ترك فى نفس الطفل آثارا ترسبت فى عقله الباطن.

وحين شب الطفل تم إرساله إلى إنجلترا.

وعهد والده إلى أحمد حسنين أمر تعليمه ومن سوء حظ فاروق أن حسنين عمل على إرضاء نزوات من عهد إليه تربيته أكثر من حرصه على تزويده بالمعرفة.

وفى سن السابعة عشرة جلس فاروق على العرش؛ ووجد الكبار ينحنون له، وعظماء مصر يقبلون يده.

وفى هذه السن الصغيرة زين له المستشار السياسى على باشا ماهر فكرة إقالة حكومة الأغلبية بخطاب وصفه السفير البريطانى فى مصر فى ذلك الوقت فى تقرير بعث به إلى حكومته «إننى لم أقرأ فى حياتى اقالة أكثر عنفا وأشد بذاءة مما فى هذا الخطاب الذى وجهه فاروق إلى مصطفى النحاس»! وهكذا منذ الأشهر الأولى لحكمه خرج فاروق على كل الأعراف الدستورية والسياسية والأخلاقية.

وهكذا ببساطة شديدة يمكن القول بأن فاروق كان ضحية حقيقية..

ضحية المرض، وضحية الخلاف العائلى، وضحية والد لم يكن يحب المصريين، وضحية تنصيبه ملكا وهو فى طراوة الصبا وضحالة التعليم، ثم بعد ذلك ضحية المستشارَيْن الَّذَيْنِ كانوا معه فى القصر، أحدهما «أحمد حسنين» يزين له النزوات، والآخر «على ماهر» يعلمه انتهاك الدستور.

يكذب على الآخرين

ولكن هناك نقاطا أثيرت عن فاروق لم تكن صادقة:

لقد كان يقال عنه إنه كان مخمورا دائما، ولكننى استطيع القول بأن فاروق لم يكن كذلك، بل ربما أذهب إلى حد القول بأنه لم يذق الخمر طول حياته.

وقد قيل: إنه كان عميلا للاستعمار الانجليزى، ولكننى أستطيع القول بأنه لم يكن كذلك لأنه وطنى صميم ولكن بسبب الكراهية المريرة التى تربت فى داخله تجاه الانجليز عندما اهانوه إهانة بالغة يوم ٤ فبراير ١٩٤٢.

لقد كان يقال عنه: إنه زير نساء، ولكننى أستطيع القول أيضا بأنه لم يكن كذلك لأسباب كان يحاول اثبات عكسها.

ولعل اغرب ما فى شخصية فاروق أنه كان يحاول أن يقال عنه غير الذى هو فيه؛ بل وكان يبالغ فى بعض التصرفات التى يحاول أن يثبت بها ما كان يتمنى أن يقال عنه وهو غير ذلك! كان يكذب على الآخرين ويتمنى ايضا أن يكذب على نفسه.

طبيب يحذر فاروق

فى عام ١٩٣٩ كنت سكرتيرا خاصا للمرحوم محمد باشا محمود رئيس وزراء مصر فى ذلك الوقت.

ومنه سمعت هذه الحكاية التى أيدها لى فيما بعد والدى المرحوم الشيخ مصطفى المراغى شيخ الأزهر الأسبق.

وقد عرفت أن مصدر الاثنين فى هذه القصة واحد وهو المرحوم زكى باشا الابراشى ناظر الخاصة الملكية.

كان الأمير فاروق نائما حين دخلت عليه مربيته الانجليزية صباح يوم من الأيام. وأخذت تزيح الستائر المخملية وتفتح النوافذ على عادتها، فانطلقت أشعة الشمس إلى رأس الطفل

الذهبى الشعر، ولكنه ظل مغمض العينين، فأخذت المربية تهز كتفه وتصيح: قم أيها الطفل الكسول، إن الساعة بلغت السابعة. ولكن الطفل لم يتحرك بل صدر عنه أنين خافت، فهزته مرة أخرى، فتابع أنينه ولم يتكلم، أثار ذلك قلقها، وزاد منه إذ رأت وجهه محتقنًا شديد الاحمرار، فوضعت يدها على جبهته، فوجدتها ساخنة جدًا. أخذت تربت على خده، ففتح الأمير عينيه قليلا، واستمر أنينه، ولم يبق عندها شك فى أنه مريض، فأسرعت وجاءت بميزان الحرارة ووضعته تحت إبطه فترة، ثم أخرجته وتطلعت فيه وصرخت بصوت خافت: يا إلهى إنه مريض جدًا، وكانت الحرارة أربعين درجة مئوية.

هرعت المربية إلى الملكة وأخبرتها، فهرولت الأم إلى غرفة الأمير وطلبت من المربية استدعاء طبيب القصر على عجل، لم يستطع الطبيب فى بادئ الأمر أن يشخص المرض، فاستدعى أطباء آخرين انتبهوا إلى أن الأمير مصاب بالحمى الشوكية النخاعية.

وقرر الملك فؤاد أن يستدعى على عجل طبيبًا ايطاليًا شهيرًا. وإذا لم تخنِّى الذاكرة فإن اسمه هو البروفسور فرجونى الذى تولى علاج الملك فؤاد حين أصيب بمرض القلب، مرت على الأمير الطفل فترة عصيبة تراوح فيها الأمل بين الشفاء واليأس.. ولكن الأمير شفى.

وذهب الإبراشى إلى مكتب الملك فؤاد يهنئه بشفاء ولى العهد ودار بينهما الحوار التالى:

الإبراشى: جئت يا مولاى لأقدم أصدق التهانى بسلامة سمو ولى العهد.

ولكن، وبعد فترة صمت وسحابة حزن واضحة كست وجه الملك فؤاد إنه نظر إلى الابراشى ثم قال:

- يا زكى لا أدرى هل كان عليك أن تهنئنى أم تعزينى؟!

الإبراشى: لماذا تقول ذلك يا مولاى ؟!

الملك : اسمع يا زكى، إنى لا أريد أن أخفى عنك الحقيقة المؤلمة، وخاصة أنت بالذات، لأنى لا أشك فى إخلاصك لى ولعرشى. لقد حضر الطبيب الايطالى صباح اليوم مستأذنا فى السفر. شكرناه بحرارة على براعته فى علاج فاروق. فرد على بإطراق رأسه وتمتم عبارة لم اسمعها. ولما قمت لمصافحته إيذانًا بانصرافه تردد قليلا قبل أن يمد يده إلىّ ثم قال مضطربًا:

- سيدى أود أن أقول شيئًا قبل أن أسافر.

قلت له - والكلام على لسان فؤاد - تفضل:

قال الطبيب: سيدى إن إصابة ولى العهد كانت شديدة جدًا. وأخشى أن تكون قد أثرت بعض الشىء على المخ.

ولما لاحظ الطبيب اضطرابى قال: إن أقول أخشى، ولا أقول إنى متأكد، ثم سكت.

قال الملك يسأل الطبيب: هل معنى ذلك أن قواه العقلية قد تصبح غير مكتملة؟

قال الطبيب: سيدى قد لا يصل الأمر إلى هذا الحد إذا لم تحصل مضاعفات، ولذا أنصح بوضع الأمير تحت عناية طبيب خاص ولفترة طويلة ولى أمل كبير أن يشفى تماما من آثار المرض. لقد وصفت «روشيته» بعلاج ورعاية طبية وأرجو أن يواظب على تعاطى العلاج.

وهنا سكت الملك.

ظل زكى الإبراشى حائرا لايجد شيئا يقوله. فقال الملك:

- يا زكى ستكون مصيبة لو أن المرض ترك أثرًا على عقل ولى عهدى. إنك تعلم أن الشيخوخة ومرض القلب يعتصرانى، وفاروق هو الصبى الوحيد المؤهل لولاية العرش من ذريتى. وآخر مولود جاء بنتا ولم تبق فى البندقية خرطوشة أخرى. إن فاروق هو وريث عرش بنيته فى مهب العواصف، وقويته وأمنته فأصبح راسخا حتى على أشدها وأعتاها، فهل أتركه لوريث لا يجد كفاية من العقل ليحفظ العرش ويصونه؟!

قال الإبراشى: يا مولاى إن الله كان دائما معك وسيكون معك ومع ابنك.

قال الملك: الله أعطانى الملك والمال بعد أن كنت فقيرا مدقعًا منبوذًا من أسرتى. ولكنى أراه الآن وقد تخلى عنى، وكأنه يسحب منى ما أعطانى. إن نهايتى تدنو وأنا أحس بذلك.

قال الإبراشى: ولكن ولى العهد سيشفى من آثار المرض يا مولاى. كن مطمئنا. إن شعورى لا يخيب.

قال الملك: هذه أمنية، أشكرك عليها. ولكن إذا لم يشف فاروق فهل يذهب عرشى إلى الأمير محمد على. كم أكرهه ويكرهنى بل كم أكره هذه الأسرة اللعينة.

الإبراشى: سيدى إن ملوكا كثيرين حكموا ولم يكونوا على اكتمال عقل.

ولاحظ الإبراشى امتعاض الملك، فتدارك قائلا:

- لا تؤاخذنى يا مولاى إذا ضربت مثلا سيئا لأخفف الأمر عليك. لكن لى أملاً ورجاء، هو أن يحاط الأمير حين يتولى الملك بعد عمر طويل لجلالتكم، بحاشية عاقلة ومخلصة ومستشارين يسهلون عليه مهمة الحكم.

الملك ساخرا: حاشية عاقلة ومخلصة يا زكى! إن الحاشية لو كانت عاقلة فلن تكون مخلصة، ولو كانت مخلصة فهى ليست عاقلة، وقصارى ما تصل إليه أن تكون منافقة.

طفولة غريبة

كانت طفولة فاروق طفولة انعزالية داخل أسوار القصر. لم يكن يرى والده إلا نادرا. وكان دائمًا بصحبة أمه. والمفروض فى الطفل أن يكون له أصحاب من سنه يلعب معهم. ولكن الملك فؤاد حرم ابنه هذه المتعة الضرورية. كان فاروق لا يتكلم إلا مع مربياته الثلاث: الانجليزية والفرنسية والايطالية ومع مدرسين لبعض العلوم جلبهم أبوه له ليعلموه داخل أسوار القصر. لقد أبى حتى أن يرسل ابنه إلى أحدى المدارس الخاصة التى تعلم أبناء الطبقة الراقية حتى لايختلط بأبناء المصريين. وفى هذا دلالة واضحة على شعور الملك فؤاد نحو شعبه، وأقول إن هذه الدلالة لم تكن فقط فى نفس الملك فؤاد بل تكاد تكون شعورا عاما فى نفوس أمراء الأسرة المالكة جميعا.

يتلصص على أبيه !

أحب فاروق أمه حبا جما، لأنها كانت تمضى أكثر وقتها معه، وكره والده لما رآه من قسوته البالغة وغيرته الهوجاء على الملكة، فلا ينقضى يوم من غير أن يعنفها ويشتمها أمام ابنها. وكان يرى المهانة التى تتعرض لها أمه من مديرة القصر «الكلفة» التى كانت لها حظوة بالغة عند الملك فؤاد. وكانت هذه الكلفة هى الآمرة الناهية فى القصر حتى إنها كانت تحطم أوامر الملكة وتأمر خدم القصر بألا يأبهوا لها.

وكانت تتجسس على الملكة وتنقل إلى الملك عنها أخبارًا كاذبة لتثير غضبه عليها. وقد نقلت إليه مرة أن الملكة كانت واقفة شبه عارية فى شباك غرفتها تبتسم لأحد ضباط الحرس الشبان. وكان جميل المظهر. فذهب الملك لتوه إلى غرفة الملكة وقد لسعته عقارب الغيرة.

ولسوء حظ الملكة وجدها قريبة من النافذة حين فتح الباب، فانهال عليها لكما وركلاً وأصابها بجراح فى وجهها أمام فاروق. ومنذ ذلك اليوم لم يبق من الحرس الملكى ضابط حسن الصورة. وعلمت الملكة أن التى وشت بها هى «الكلفة». وكانت تعلم أن للملك علاقة خاصة معها. وأرادت أن تتحين الفرصة لتفاجىء الملك معها وتكيل له الصاع. وهداها تفكيرها إلى أن ترسل فاروق يتلصص على أبيه من ثقب الباب، ويستمع إلى ما يدور بينه وبين الكلفة.

وهكذا كانت طفولة فاروق حرمانًا من صحبة الأطفال وابتعادا عن أبيه ورؤيته لأمه وهى تضرب وتهان، واستماعه أغلب الوقت إلى حديث السيدات اللاتى يسمح لهن بدخول القصر للتحدث إلى أمه، ومن هذه العوامل نشأ فى نفس فاروق مركبات نقص لازمته طوال حياته.

فـكان وهو ملك يدخل بيوت أصدقائه من الطبقة الارسـتقراطية متلصصا بعد أن يأمر البواب بعدم التحرك، ويمضى وقتا طويلا تحت النوافذ يسـترق السـمع إلى أحاديث أصحاب البيت. ثم يخرج من غير أن يدخل. وكان يحلو له أن يفاجىء عشـيقاته ومعه بعض رجال حاشيته. وذات ليلة توجه إلى عمارة تقطنها سـيدة لها به علاقة، وذهب هو إلى مدخل الشـقة وترك رجل الحاشية عند باب الخدم، ودق هو جرس الباب، ولما علمت السيدة بأنه فاروق لم تفتح البـاب. فأعاد دق الجرس بقوة. وكان عندها صحفى بدأ يشـتهر من عمله فى صحيفة كبيرة فهربته من باب الخدم ليجد نفسـه وجهًا لوجه مع رجل الحاشـية. وعادت وفتحت الباب للملك. وسـألها لماذا تمهلت فى فتح الباب. فأخبرته بأنها كانـت نائمة. وعلم فاروق ببقية القصة من رجل الحاشية. وأرسل يأمر أصحاب الصحيفة بفصل ذلك المحرر. ولكنه بقى بعد توسل ورجاء ووعد بألا يعود إلى مثلها.

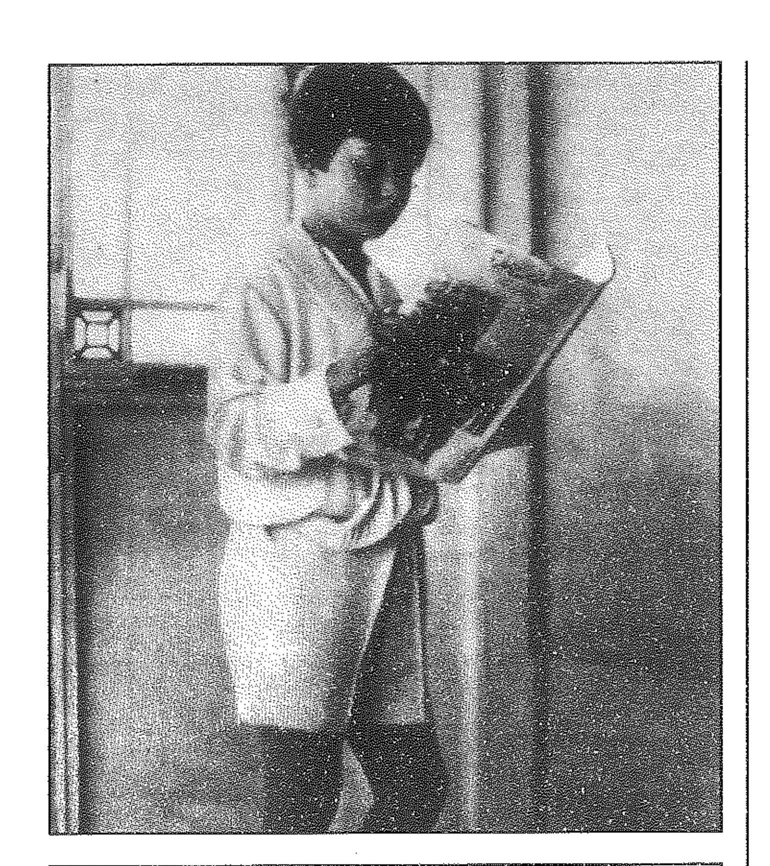
□□□

١ – فاروق مع أمه الملكة نازلى .



٢ – الملكة نازلى ومعها ابنها فاروق وشقيقاته عندما كانوا أطفالا .

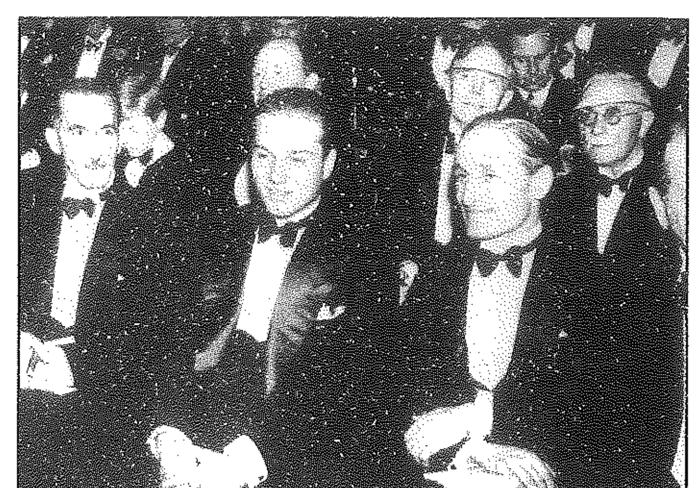
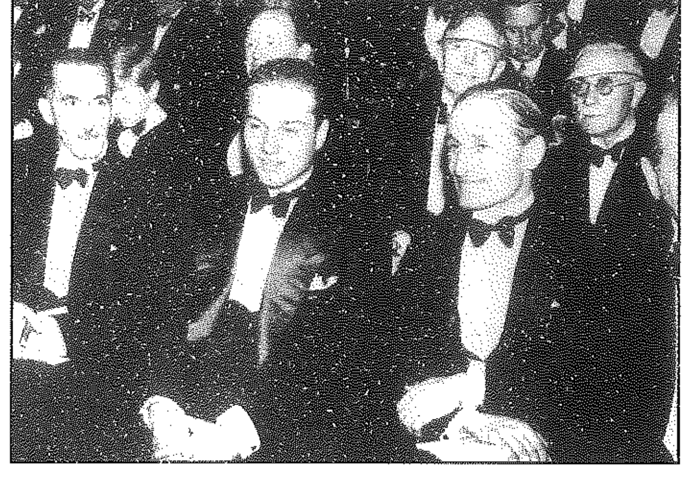




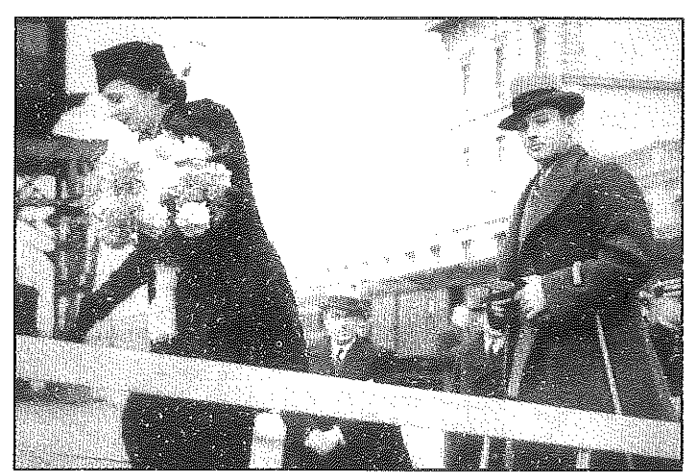
٣ - الملك فاروق فى صباه .



٤ - أبناء الملوك ينضجون سريعا .

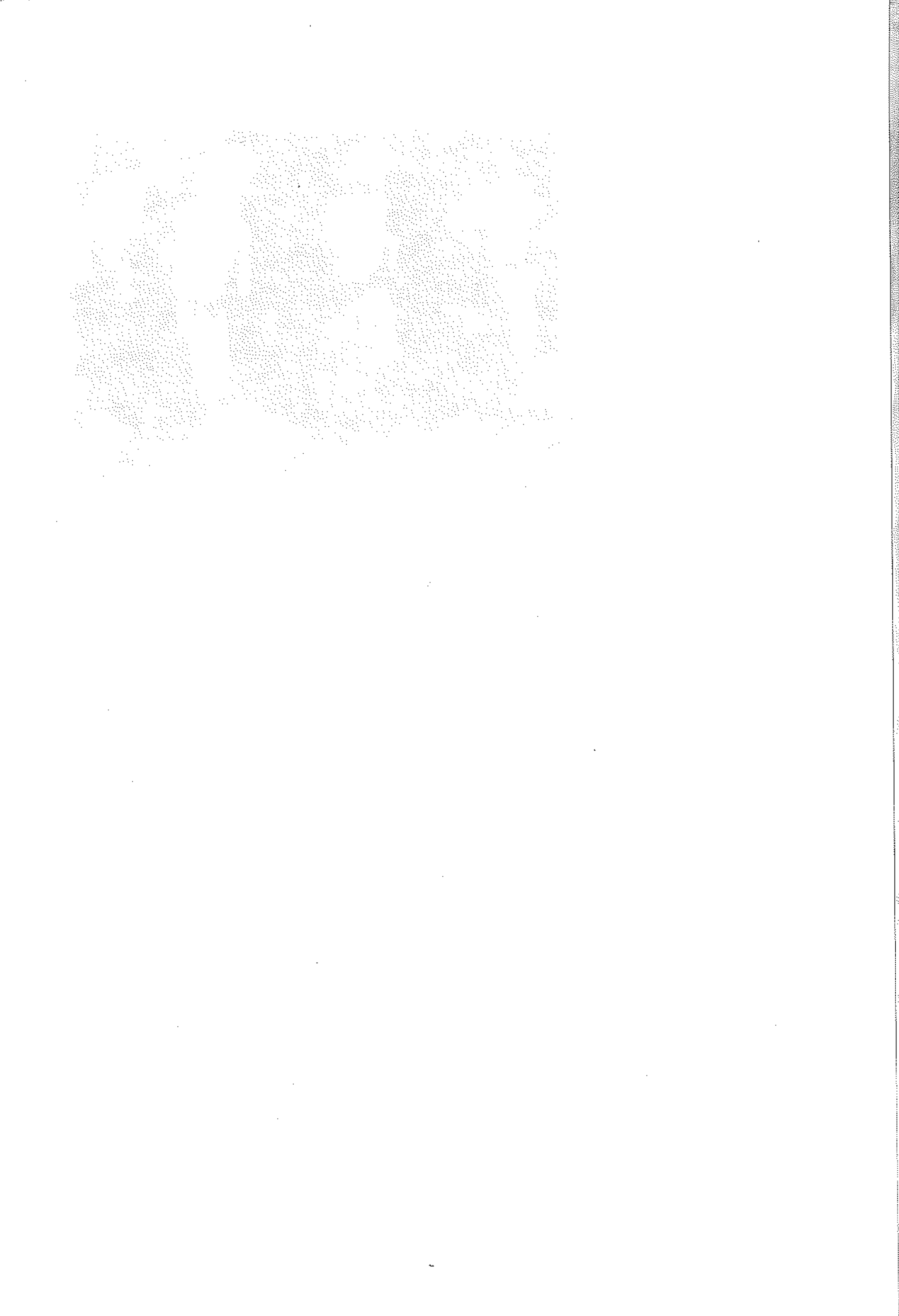
٥ – فاروق بصحبة أحمد حسنين أثناء فترة دراسته بلندن أوائل عام ١٩٣٦ .

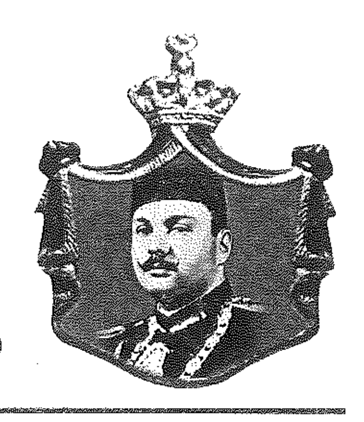


٦ – فاروق أثناء تواجده في لندن .



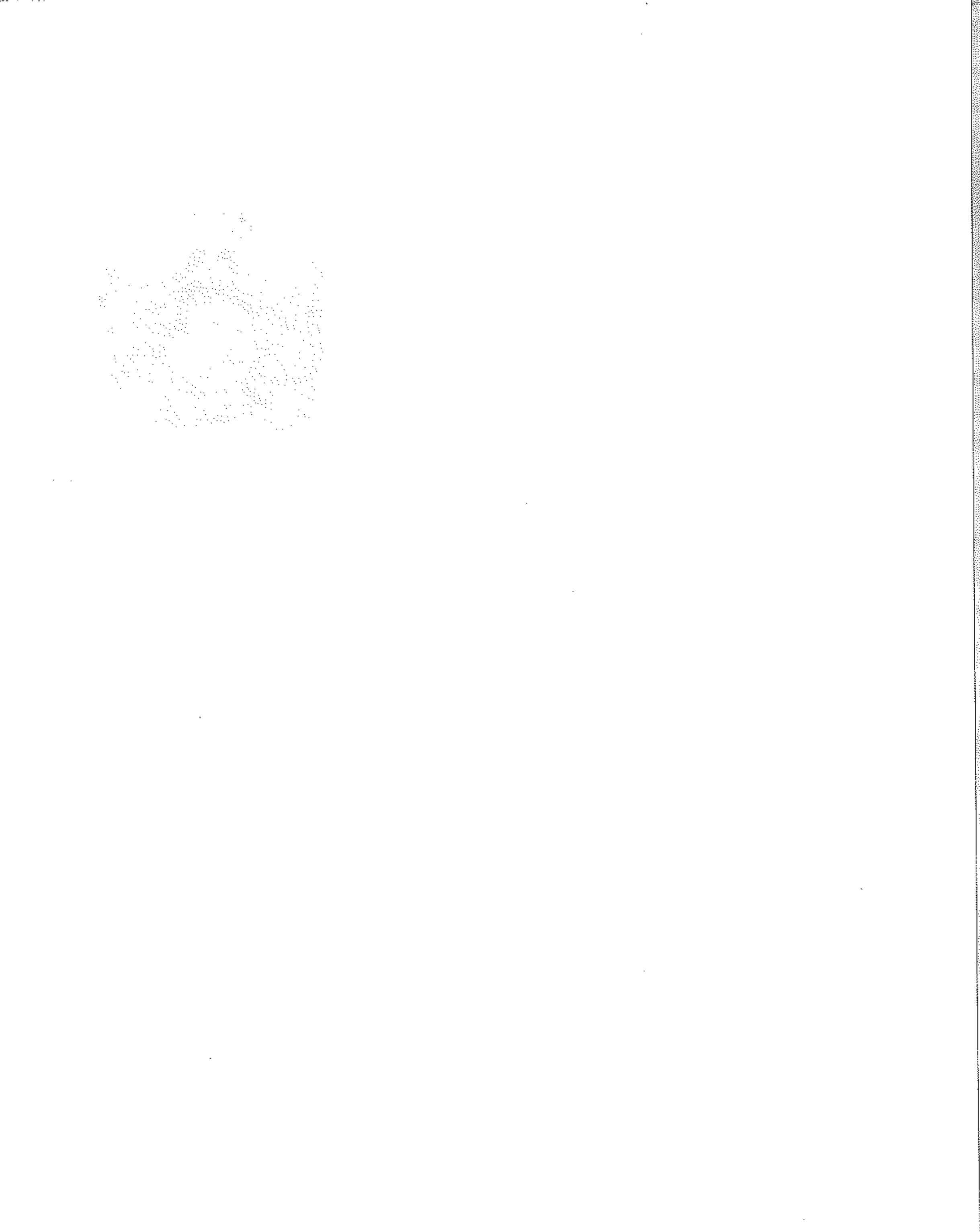
٧ – فـاروق يلهـو فـي روما .





فاروق ملكا

- مفاجأة فى انتظار النقراشى على مائدة الملك فى أسوان .
- على ماهر نعى الملك فؤاد ونادى بجلالة الملك فاروق ملكا على مصر .
- تصرفات غريبة من فاروق مع رئيس الوزراء والوزراء .
- فاروق كان يعامل الحيوانات بسادية غريبة .



في يوم الثلاثاء ٢٨ أبريل ١٩٣٦ مات الملك أحمد فؤاد.
والبيان الذى أذاعه على ماهر رئيس الوزراء فى ذلك الوقت ينعى فيه الملك فإنه نادى بجلالة الملك فاروق ملكا على مصر، ولم يكن فاروق فى ذلك الوقت قد بلغ السابعة عشرة.

كان على ماهر يرأس وزارة ائتلافية تمثل جميع الأحزاب، وكان قد سبق وفاة فؤاد صدر مرسوم يحدد يوم ٢ مايو لانتخاب أعضاء مجلس الشيوخ. ولكن بسبب نص فى الدستور يقضى بوجوب اجتماع البرلمان بمجلسيه أثر وفاة الملك فى مدى عشرة أيام من تاريخ إعلان الوفاة فقد تم تعجيل مواعيد الانتخابات، فتم انتخاب أعضاء مجلس النواب يوم ٢ مايو، ومجلس الشيوخ يوم ٧، وذلك حتى يتسنى للبرلمان الاجتماع قبل انتهاء عشرة الأيام المحددة فى الدستور، وقد اسفرت نتيجة الانتخاب عن فوز الوفد بأغلبية ساحقة.

وكان فاروق فى ذلك الوقت يدرس فى انجلترا فلما بلغه نعى والده عاد إلى مصر بسرعة عن طريق البحر -وهو الوسيلة الذائعة فى ذلك الوقت- فوصل إلى الاسكندرية يوم الأربعاء ٦ مايو ١٩٣٦. ومن الاسكندرية اتجه إلى القاهرة وعلى طول الطريق خرج. شعب مصر يستقبله بأعظم مظاهر الحفاوة والتكريم.

ولعلها من المرات النادرة التى اجتمع فيها برلمان مصر بمجلسيه -النواب والشيوخ- وفى يوم جمعة وهو يوم الجمعة ٨ مايو سنة ١٩٣٦، وكان آخر يوم حسب نص الدستور يتعين فيه اجتماع المجلس خلال عشرة أيام من تاريخ إعلان وفاة الملك فؤاد.

وكان من بين الرسائل التى أعلنها رئيس الوزراء على ماهر فى هذه الجلسة رسالة من جلالة الملك فاروق يتنازل فيها عن خمسين ألف جنيه مخصصاته الملكية التى كانت تبلغ فى ذلك الوقت ١٥٠ ألفا، على أن يخصص مبلغ الـ ٥٠ ألفا التى تنازل عنها لمصلحة البلاد وخيرها.

ولأن الملك لم يكن قد بلغ سن الرشد فقد قام البرلمان بتأليف مجلس وصاية على العرش من كل من الأمير محمد على، وعبد العزيز عزت باشا، ومحمد شريف صبرى باشا.

وعلى أثر انتهاء هذه الجلسة قدم على ماهر استقالته هو ووزارته إلى مجلس الوصاية الذى عهد فى نفس اليوم إلى مصطفى النحاس تأليف الوزارة الجديدة، فألفها يوم ١٠ مايو ١٩٣٦ وقد تشكلت من مصطفى النحاس للرئاسة والداخلية والصحة، وواصف بطرس غالى للخارجية، وعثمان محرم للأشغال، ومحمد صفوت للأوقاف، ومكرم عبيد للمالية، ومحمود فهمى النقراشى للمواصلات، وأحمد حمدى سيف النصر للزراعة، ومحمود غالب للحقانية (العدل)، وعلى فهمى للحربية، وعبد السلام جمعة للتجارة والصناعة، وعلى زكى العرابى للمعارف.

فتوى بسن الملك

كان قد دار جدل كبير حول السن التى يجب أن يتولى فيها الملك فاروق العرش، وقد اقترح الأمير محمد على رئيس مجلس الوصاية على الحكومة أن تكون السن التى يتولى فيها الملك مهمته هى الحادية والعشرين. غير أن فتوى شرعية صدرت ووافقت عليها حكومة الوفد جعلت سن تولى العرش هى الثامنة عشرة هجرية أى السابعة عشرة وشهرين ميلادية تقريبا.

وقد أوغر اقتراح الأمير محمد على صدر فاروق. ولعل بعض مستشارى القصر ممن عملوا تحت إمرة الأمير محمد على فى أثناء توليه الوصاية، ولم يكونوا راضين عن تصرفاته معهم قد صبوا مزيدا من البترول على غضب الملك.

وفى الحفلة الخاصة التى أقيمت فى القصر احتفاء بتسليم الملك عرشه، وحضرها أمراء البيت المالك وأصدقاء الأسرة المالكة، وقف الأمير محمد على بعد انتهاء العشاء ورفع كأسه طالباً من المدعوين أن يشربوا نخب الملك متمنيا له التوفيق فى أداء مهمة الملك الصعبة الشاقة فوقف جميع المدعوين بمن فيهم الملكة نازلى يرفعون كئوسهم، وبقى الملك فاروق جالساً ينظر إلى الأمير محمد على نظرة سخرية. ولما جلس المدعوون توجه فاروق بنظره إلى الأمير محمد على، وكان فى جواره وقال له بصوت مسموع:

– يبدو يا سمو الأمير أن مهمة الملك تبدو صعبة لك لأنى صغير السن، ولكن هل تكون المهمة أسهل لو أنى أحمل لحية بيضاء طويلة (وكانت للأمير لحية بيضاء طويلة).

وقد بادرت الملكة نازلى التى كانت فى جوار الأمير محمد على إلى الاعتذار له عن تصرفات ابنها.

وحين كان الملك تحت الوصاية عين مجلس الأوصياء بعضا من كبار الأساتذة فى القانون والعلوم السياسية والدين لتثقيف الملك. ولكن تصرفات الملك معهم كانت مخيبة للآمال. فقد

كان الملك يضيق ذرعاً بالدروس، فما تكاد تمر على الأستاذ عشر دقائق من البدء في القاء الدرس حتى يطلب منه الملك التوقف لتناول الشاى والحلوى. وفي يوم، طلب أحد الأساتذة من الساقى ألا يضع له سكراً فى قدحه معتذراً للملك بأنه مريض بداء السكر. وفى اليوم التالى قدم له القدح كالعادة دون أن يضع الساقى سكراً، وما إن أخذ الأستاذ يتذوق الشاى حتى وجده شديد الحلاوة، ولم يستطع المسكين أن يقول شيئا، وشرب القدح الذى كان فاروق قد ملأه بالسكر!

وأستاذ آخر ما إن بدأ الحديث في شرح المبادئ الدستورية حتى استوقفه الملك وطلب منه أن ينزل معه إلى حديقة القصر، وكانت تنتظر على سلم القصر سيارة سبور انجليزية أشبه بسيارات السباق ذات مقعدين ينحشر فيها الراكبان بصعوبة، وكان الاستاذ المسكين لسوء حظه بدينا ضخم الكرش. وطلب منه الملك الصعود إلى السيارة. ولاقى الرجل صعوبة بالغة فى الدخول والجلوس. وقبل أن يستقر فى مقعده انطلق الملك بالسيارة كالصاروخ، وترنح رأس الأستاذ وطار طربوشه وسقطت نظارته، وفاروق ينعرج بالسيارة بسرعة تفوق مائة كيلو متر من منعطفات حديقة القصر ومنحنياته، والأستاذ يميل رأسه ويصطدم كرشه بمقدمة السيارة وتلهث أنفاسه ويصيح قائلا يا ساتر يا رب، وفاروق يضحك ويقهقه ويزيد من سرعة السيارة. ومرت فترة من العذاب كأنها الدهر بأكمله، وعادت السيارة ووقفت عند سلم القصر. وأشار الملك إلى الأستاذ بالنزول. ولم يدر المسكين كيف فتح الباب، لأنه كان فى شبه غيبوبة!.

وقد جعلت هذه الحوادث أساتذته يعتذرون عن الذهاب إلى القصر بحجة المرض، ولم يكن اعتذارهم بغيضا على قلب فاروق.

وفي ذات شتاء توجه الملك فاروق إلى مدينة أسوان كعادته كل شتاء. وبعد أسبوع من إقامته أمر رئيس ديوانه أن يطلب من محمود فهمى النقراشي رئيس الوزراء فى ذلك الوقت والوزراء التوجه إلى أسوان لعقد اجتماع لمجلس الوزراء تحت رئاسة الملك. وكانت حجة الملك أنه يريد عقد المجلس لبحث اضرابات قامت فى بعض المصانع احتجاجا من العمال على عدم زيادة أجورهم. وتوجه الوزراء فى القطار فرحين، لأنهم سينعمون بدفء أسوان وشمسها الساطعة. وبعد انعقاد المجلس أقام لهم الملك حفل غداء كانت قائمة الطعام فيه مليئة بألوان الغداء الدسمة التى لا تستطيع معدة رجال فى حدود الستين من عمرهم تحملها إلا بمشقة، وشكر رئيس الوزراء الملك على كريم حفاوته وبالغ عطفه واستأذنه فى العودة إلى القاهرة. ولكنه فوجئ بالملك يقول له لقد أمرت بإعداد طائرة خاصة من طائرات السرب الملكى لتنقلهم

إلى القاهرة لتصلوا على عجل، إذ إنى أخشى من استفحال الإضراب. فزاد شكر الوزراء على تلك اللفتة الكريمة، وتوجهوا إلى مطار أسوان، وكان ضيقاً جداً وكان مدرجه قصيرا وغير ممهد بالأسفلت، وتحيط به الجبال مباشرة عند نهاية المدرج. وكانت الطائرة التى تقلهم من طراز داكوتا وهى طائرة بطيئة جدا، وقائدها يدعى البكباشى عاكف. فلما ركب الجميع طلب منهم قائد الطائرة أن يشدوا الأحزمة حول بطونهم وأنذرهم بأن صعوده إلى الجو سيكون شبه عمودى نظرا لقصر المدرج، وخوفاً من الارتطام بالجبل، وكان قوله هذا نذير شؤم ارتعدت منه فرائصهم، ودب الرعب فى أوصالهم، وترددت فى الطائرة تمتمات العياذ بالله، والطائرة تنطلق إلى الجو. واطمأنت نفوسهم حين أصبح طيران الطائرة أفقيا واستردوا أنفاسهم الضائعة، ولكن اطمئنانهم لم يدم طويلا. إذ فوجئوا بقائد الطائرة من خلال الميكرفون يطلب منهم أن تظل الأحزمة مشدودة إلى بطونهم. وحضر إليهم مساعد الطيار ليقول لهم: إن الطائرة ستهبط هبوطا عمودياً منقضة على الأرض من ارتفاع خمسة آلاف قدم إلى علو مائتى قدم متجهة نحو الفندق الذى يقيم فيه الملك، وذلك لتقديم التحية لجلالته. وعاد مساعد الطيار إلى مكانه وفجأة انطلقت مقدمة الطائرة فى هبوط مروع سقطت فيه الحقائب المعلقة على رفوف الطائرة وبعضها على رءوس الوزراء، وشعر بعضهم بأنه كأنما يقذف به من قمة بناء شاهق العلو. أما الآخرون فلم يشعروا لأنه أغمى عليهم.

ثم عادت الطائرة إلى الصعود تدريجيا، وانتهت فترة تحية الولاء، وبقى هولها يدوى فى رءوسهم إلى أن انتقل من انتقل منهم إلى رحمة الله أو من ظل منهم حياً. لقد دبر الملك كل ذلك لأنه كان يستثقل دم بعض الوزراء. وأراد النكاية بهم على هذه الطريقة السمجة المؤلمة التى كان يحتمل أن تؤدى إلى كارثة، وخاصة لأن الطائرة الداكوتا كانت طائرة بطيئة وثقيلة.

وفى إحدى المآدب التى أقامها الملك لوزرائه وكنت مدعوا، لاحظت أنا وبقية المدعوين أنه حينما كان يقدم إليه الصحن ليغرف منه - والتقاليد تقضى أن يكون هو أول من يقدم إليه الطعام - كان يتناول كمية لا تكاد تكفى عصفورا .. وولد ذلك فى نفوس المدعوين حرجا شديدا، لأنه بدافع اللياقة يجب ألا يغرفوا فى أطباقهم كمية كبيرة. وخرجنا من المأدبة فى حالة أشبه بالجوع.

واستغربت الأمر لأنه لا يعقل أن تكون هذه هى وجبة فاروق ووزنه يزيد عن مائة الكيلو. وتحريت بطريقة خاصة، فعلمت أنه ضاق ذرعا بانتقاد الناس لبدانته المفرطة فى هذه السن الصغيرة، عازين ذلك إلى نهمه البالغ للطعام، فأراد أن يثبت أنه يأكل قليلا جدا بتلك

الطريقة. ولكن الحقيقة المضحكة، أن الملك فاروق كان يأمر قبل بدء المأدبة بأن يعد له رغيف من الخبز يزن حوالى نصف كيلو جرام، وكان يشطره نصفين ويملأه زبداً وعسلا ثم يلتهمه عن آخره. وبذلك تزول شهيته إلى الطعام مؤقتا.

وكانت للملك فاروق سادية مروعة مع الحيوانات. فكان يجلس فى حديقة القصر ويجلب له عدد من الحمام في قفص كبير يضعه في جواره، تخرج له حمامة فيتناولها من جناحيها بيده وفي يده الأخرى إبرة طويلة، ثم ينظر إلى آخر رجال الحاشية ويقول له: تراهن كم دقيقة ستعيش الحمامة؟ فيجيبه دقيقتين. فيقول له الملك سأقتلها فى دقيقة واحدة، ويغرز الإبرة الطويلة فى رأس الحمامة ويلقي بها على الأرض لتموت، ثم يتناول غيرها ويراهن على مصيرها، وكان يلذ له أن يدوس القطط بسيارته حتى إنه كان يصعد رصيف الشارع إذا هربت معرضا نفسه للاصطدام بحائط.

وهذه السادية مع الحيوانات انتقلت إلى الرجال، كما سأتعرض له في كلامي عن الحرس الحديدى.

وانتقلت السادية أيضا إلى النساء. ففى أحد الأيام دعا إلى جناحه وصيفة في القصر ولاطفها وأطرى جمالها وهى جالسة في بجواره، ثم قال لها إنه يريد منها أن تغمض عينيها وتركز تفكيرها على شىء. وأصر عليها ألا تفتح عينها لأنه سيضع شيئاً عليها لتظلتا مغمضتين. وأغمضت المسكينة عينيها وأحست بأن فاروق وضع شريطا مصمغا فوق الجفن. فقالت ما هذا يا مولاى؟ نهرها وأمرها بالسكوت ووضع شريطا مصمغا على الجفن الآخر وأخذت الوصيفة ترتعد خوفاً والملك يهدئ من روعها. وبعد عشر دقائق أمرها الملك بفتح عينيها. وحاولت ولم تستطع وأخذت تتوسل إليه وهو يطمئنها ويقول لا تخافى. وفجأة نزع الملك الشريطين وصرخت الوصيفة من شدة الألم. ولما ذهبت إلى المرآة وجدت أن رموشها قد طارت.

ولكن فاروق على رغم عبثه هذا، كان فى كثير من الأحوال جم الأدب مع كبار رجال الدولة والدين، حتى إنه كان يستقبل بعضهم على باب المصعد ويفتح باب المصعد بنفسه ويأخذ بيد زائره إلى مكتبه.

وكان مع أمه يقبل يدها ولا يجلس إلا إذا جلست، وكانت كثيرا ما تؤنبه وتوبخه بعبارات شديدة يتقبلها بأدب جم.

فى ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٣٧ عين على ماهر رئيسا للديوان الملكى.

وقد كان على ماهر يشغل هذا المنصب سنة ١٩٣٥ فى عهد الملك فؤاد وظل يشغله إلى أن تولى الوزارة سنة ١٩٣٦، وبقى منصب رئيس الديوان شاغرا طيلة هذه المدة إلى أن أعيد تعيين على ماهر فيه.

إلا أن هذا التعيين جاء على غير رغبة وزارة مصطفى النحاس التى رأت فيه اعتداء عليها لأنه تم بغير استشارتها. وقد اعترضت عليه ثم أذعنت.

وفى خلال الفترة التى أعقبت ذلك تفاقمت الخلافات بين الوزارة والقصر إلى أن وجه الملك فاروق خطاب الاستقالة الشهير إلى مصطفى النحاس والذى وصفه السفير البريطانى فى مصر فى ذلك الوقت بأنه لم يقرأ خطابا أسوأ منه.

إقالة مصطفى النحاس

فى ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ أقيلت وزارة النحاس بموجب خطاب من الملك كان كاتبه هو مستشاره السياسى فى القصر على ماهر عدو الوفد الكبير والذى اعترض الوفد على تعيينه رئيسا للديوان. وكان نص الخطاب:

عزيزى مصطفى النحاس باشا

نظرا لما اجتمع لدينا من الأدلة على أن شعبنا لم يعد يؤيد طريقة الوزارة فى الحكم وأنه يأخذ عليها مجافاتها لروح الدستور، وبعدها عن احترام الحريات العامة وحمايتها، وتعذر إيجاد سبيل لإصلاح الأمور على يد الوزارة التى ترأسونها، لم يكن بد من إقالتها تمهيدا لإقامة حكم صالح يقوم على تعرف رأى الأمة لتستقر به السكينة والصفاء فى البلاد ويوجه سياستها خير وجه فى الظروف الدقيقة التى تجتازها ويحقق آمالنا العظيمة فى رقيها وعزتها. وإنى أشكر لمقامكم الرفيع ولحضرات زملائكم ما تم على أيديكم من الخير للبلاد وأصدرنا أمرنا هذا لمقامكم الرفيع بذلك».

ولم يكن فاروق عندما وقع هذا الخطاب قد بلغ الثامنة عشرة من عمره..

وهكذا.. فى تلك السن، وبهذا الأسلوب الغريب تمت إقالة رئيس الوزراء التى جاءت بانتخاب الشعب. فى هذا السن الصغيرة أيضا وقع الملك قرارا آخر بحل مجلس النواب..

وجرت انتخابات حصل فيها حزب الوفد على ١٢ مقعدا فقط من ٢٦٤ مقعدا أى بنسبة ٤,٥ فى المائة فقط!..

وإذا كنت أستعيد ذلك فلأبين إلى أى حد تمت الاستهانة بكل مقدسات مصر أمام ملك صغير لم يكن قد بلغ الثامنة عشرة بعد..

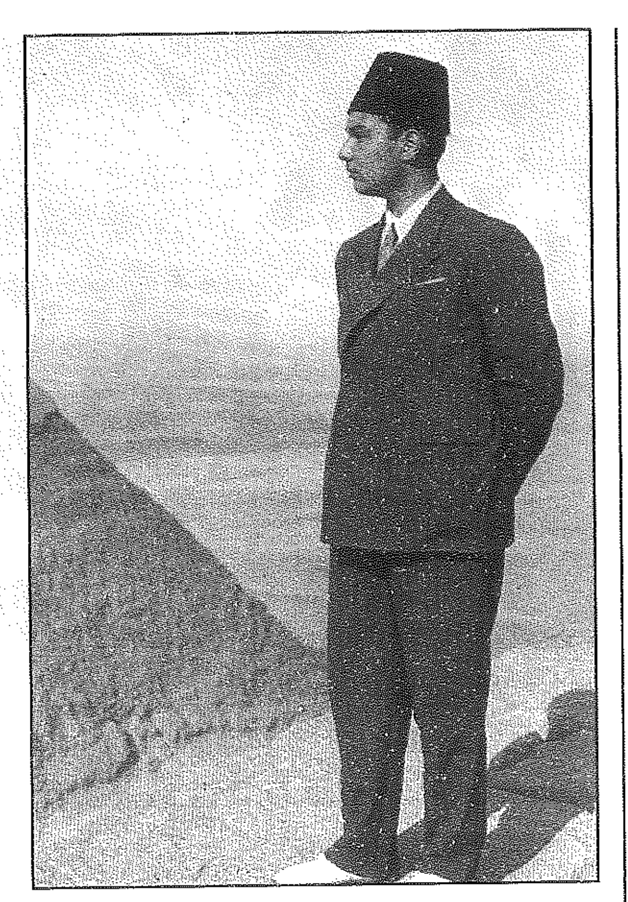
وهكذا كانت البداية التى كان لابد أن تنتهى إلى ما انتهت إليه.



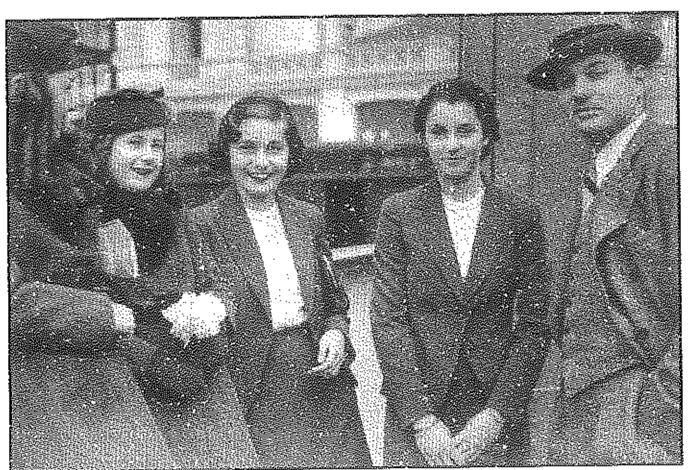
١ - الأمير فاروق مع شقيقاته.. واقتراب شديد في الطفولة .



٢ - هكذا كان كبار مصر ينحنون على يد فاروق الطفل بالقبلات التي أفسدته .



٣ - فاروق في شبابه بين الأهرامات .



٤ - فاروق وشقيقاته: فايزة، فوزية، فتحية، فايقة في باريس عام ١٩٣٩ .



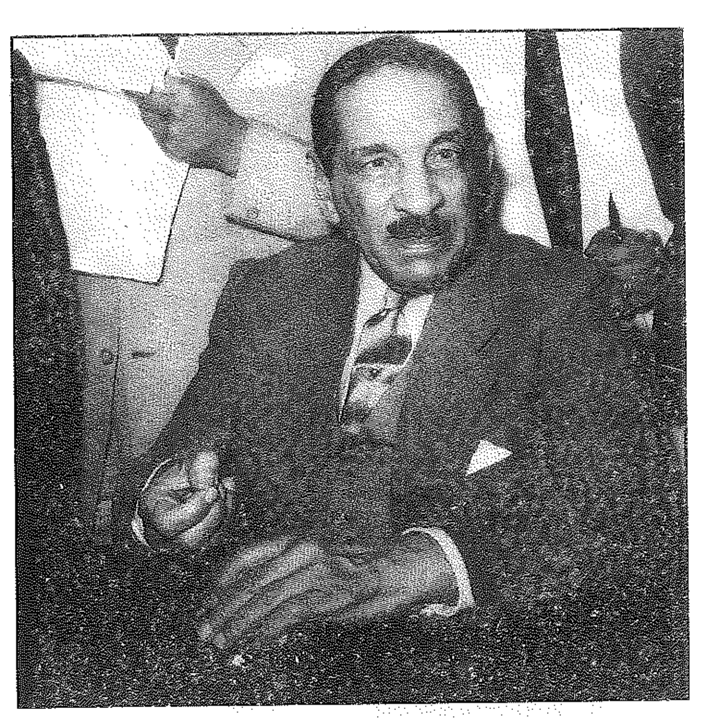
٥ – فاروق الشـاب عام ١٩٣٩، لم يكن قد وصل سن العشـرين عندما راح يقيل الـوزراء، والصـورة أثناء حضـوره احتفالا فـى دار الأوبـرا الملكيـة – كما كان اسمهـا فى ذلـك الوقت – وإلى جانبه على باشـا ماهر الذى كان رئيسـا للوزراء، وسعيد باشا ذو الفقار كبير الأمناء .



٦ – مصطفـى النحـاس باشا زعيم الأغلبية ورئيس الوزراء .



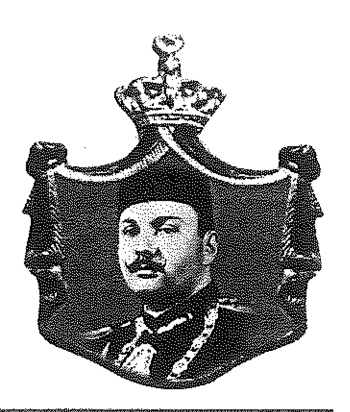
٧ – مصطفـى النحـاس باشا والسيدة حرمه .



٨ - على ماهر نعى الملك فؤاد ونادى بجلالة الملك فاروق .

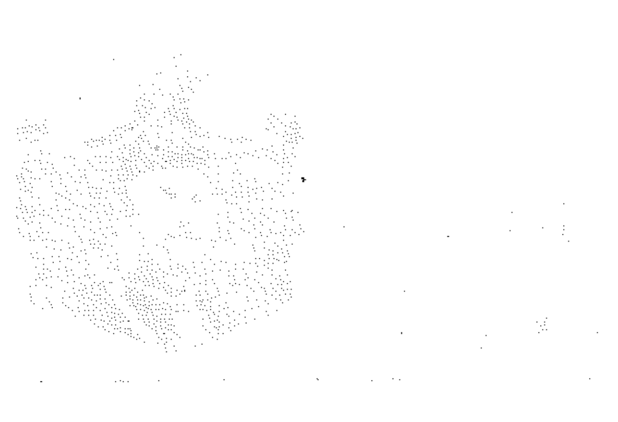


٩ - محمود فهمي النقراشي رئيس الوزراء.. مفاجأة في انتظاره على مائدة الملك في أسوان .



مات الملك..
عاش الملك

- فاروق يطلق فريدة بعد زواج عشر سنوات ويطلب فتوى بعدم زواجها من رجل آخر !
- لماذا سرق فاروق مذكرات شيخ الأزهر؟!
- سر اصطحاب فاروق لعدد كبير من النساء فى رحلاته !
- رجال الجيش يقولون لفاروق : نحن عبيد مولانا .



مات الملك.. عاش الملك..
إنه الهتاف التقليدى الذى يقال عادة بعد وفاة كل ملك.. وتولى ملك جديد العرش فى نفس اليوم..

ولكن فاروق لم يستقبله الشعب بهذا الهتاف.. لقد استقبله الشعب بالأغانى والأناشيد والحب والأعلام والصور، وأهم من ذلك كله المشاعر الصادقة تجاه هذا الشاب الصغير الذى كان كل أب يرى فيه صورة ابنه، وكل أم حلم ولدها، وكل فتى أو فتاة أنه أخ.

لقد خيل للكثيرين يوم عودة فاروق إلى مصر بعد وفاة أبيه أحمد فؤاد أن البلابل كانت تغرد فى أوكارها، وفوق أغصان الشجر، وأن أمواج النيل العظيم كانت تتدافع راقصة فى طرب.. ولكن ما هى إلا سنوات قليلة حتى كفت البلابل عن تغريدها، وماجت وهاجت أمواج النيل، واكفهر وجه الشمس من هول ما أصبح يصنعه طفل الأمس الجميل وصبيه ذو الوجه الباسم البرىء.

أين الأمس من الغد؟ ولماذا تغير الحال؟!

لقد كان يطل على الشعب من شرفات قصر عابدين فيخيل لهم أنه وجه ملاك، ما إن يرونه حتى تنشق حناجرهم من الهتاف وتدمى أكفهم من التصفيق.

ولكن ما هى إلا سنوات قليلة حتى جاء اليوم الذى يرون فيه وجه الشر يطل عليهم فتنحسر أبصارهم وتغار عيونهم أسفا وحزنا.

ومن المتناقضات أن فاروق لم يحاول استرجاع ما فقد.. وإنما على العكس اندفع فى عبثه غير عابئ بشعبه الذى أحبه متحديا مشاعره.

والسؤال: أية قوة كان يعتمد عليها فاروق فى تحديه؟

دون دخول فى تفاصيل كثيرة أقول بصراحة: إن أداة فاروق فى كل ممارساته وتحدياته لم تكن غير الجيش، نعم الجيش ممثلا فى فرقائه ولواءاته من كبار ضباطه وعلى رأسهم حيدر وعمر فتحى وعثمان المهدى.

كانوا يقولون لفاروق: نحن عبيد مولانا!

وكانوا يقولون: نحن نفديك بالروح يامليكنا!

وقد صدق فاروق بالفعل ما كان يسمعه منهم. وتخيل أن الجيش أصبح خاتما في إصبعه، وأنه مهما فعل وعبث فالقوة المسلحة سوف يستطيع بها أن يقمع أية حركة يقوم بها الشعب.

وحين كان يسمع عن حركة صغار الضباط ويسأل لواءاته كانوا يقولون له: يامولانا.. دول شوية أولاد.. أما الجيش فاطمئن فكله على أتم الولاء لجلالتكم.

وقد جعله هذا يزداد عبثا وتحديا لكل طبقة وعلى رأسهم الساسة الذين يحكم بهم مصر، يقيل تلك الوزارة، ويطرد ذلك الوزير، ومن حوله مستشار أو اثنان يزينان له طرد الوزارة وإقالتها.

وأنتم ماذا فعلتم ؟!

كان حال فاروق مع الجيش حال زوجة عابثة مستهترة لا تلوى في الغواية على شيء ولا تأبه بزوجها لأنها تظن أنه يحبها، وأنه مهما كثر كلام الناس عنها فإنه سيضرب بكلامهم عرض الحائط، ثم تمضي في فجورها حتى يجئ يوم يدخل عليها الزوج وفي يده قسيمة طلاق لا رجعة فيه طالبا منها أن تحزم حوائجها مشيرا إلى باب البيت كي تخرج منه ولا تعود أبدا.

لقد سئل المرحوم حسين هيكل الوزير السابق في المحاكمة التي أجرتها له محكمة الشعب: لماذا كنتم تسكتون أيها الساسة عن تصرفات فاروق؟

وكان رد هيكل باشا: لأننا كنا عاجزين أمام الجيش!

الهروب من عزيز المصري

لم يكن فاروق يأبه لما يدور من جدل حول السلوك الخاص بالرجال الذين يتولون مناصب عامة، وهل حياتهم الخاصة ملك لهم لا شأن للناس ولا للمجتمع بها، أو أن من تناط به أعباء عامة لا يملك حياته الخاصة، لأنها ملك للمجتمع، وعليه أن يسلك سلوكا بعيدًا عن الشائبات؟ وكان فاروق يرى أن من حقه أن يفعل ما يرضي شهوته علنًا أو سرًّا. وقد زيّن له ذلك وأفتى به المرحوم أحمد باشا حسنين رئيس ديوانه، وأباح له أن يذهب إلى نادى السيارات ليلعب الميسر، وإلى الأوبرج ليشاهد الراقصات ويجلس معهن، وكان هدف أحمد حسنين من ذلك أن

ينصرف الملك فاروق عن النظر في شئون الدولة لتكون في يده هو، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فهو يعلم أن فتواه تلك توافق هوى في نفس الملك فاروق.

وكان أحمد حسنين هو رائده في لندن حين كان ولى العهد، ورائده الآخر هو اللواء عزيز المصرى. أما هذا الأخير فكان عسكريًا صارمًا لا يسمح لفاروق بالعبث، ولكن أحمد حسنين وفاروق كانا ينتهزان نوم عزيز المصرى المبكر ليفرا من نافذة الفيلا، وليتوجها إلى المراقص ودور اللهو ويعودان مع الفجر قبل أن يصحو عزيز المصرى.

لقد انطلق فاروق في لهوه، وكان يشاهد في أغلب الأحوال بصحبة نساء، ودارت الشائعات عنه بأن فراشه لا يخلو ليلة من غانية، سواء أكانت راقصة أم غير راقصة. وغالت الشائعات حتى فاقت الخيال.

فهل كان فاروق ذئبًا فتاكًا؟!

لماذا طلبت فريدة الطلاق ؟!

في ٢٠ يناير ١٩٣٨ وكان فاروق في سن الثامنة عشرة تزوج الملكة فريدة. وقد أحب فاروق زوجته وأحبته، وظل زوجا يرعى حقوقه الزوجية زمنًا، ثم انحرف لأن حاشية السوء التى كانت تلازمه رأت فيه بعض الميل إلى الانطلاق من قيود الزوجية، فأقامت له علاقات تحببهم إليه، وصار فاروق يعود مع الفجر إلى قصره وزوجته الملكة في انتظاره، ولكن لم يكن يبالى حتى بالذهاب إلى غرفتها والاعتذار إليها، أو ليقول لها صباح الخير. وتمادى حتى إنها خرجت من حجرتها ذات ليلة لترى امرأة تعرفها تخرج من حجرته. وذات يوم كانت تلعب التنس في ملعب حديقة القصر، فدخل فاروق المكتب ومعه مطلقة أحد الأمراء، وجلس على كرسى وأجلس المطلقة على ركبته. وكانت هذه هى القشة التى قصمت ظهر البعير والنقطة التى فاضت منها الكأس. فطلبت الطلاق لأنها رأت أن التاج فوق رأسها لا قيمة له. إذا كان الرأس يعانى كل يوم صداع السهر في انتظار زوج يعود مع الفجر. وأن تاج الملك على رأسها قد تمرغ في وحل القصر وغطى الطين جواهره.

وكانت حاشية السوء بدأت تشير من طرف خفى وعبارات مبهمة إلى أن الزوجة بدورها أخذت لا تبالى وأخذوا يلصقون بها الاتهامات. وزاد من تأكيداتها أنها كانت عنيدة الطبع لا يهمها أن تدافع عن نفسها. كل ذلك أثر في فاروق. فانطلق بعد التخفى إلى العلانية. وإنى ليساورنى الشك فيما قيل من أن الملك فاروق لم يكن يحب زوجته. ولكن كيد الحاشية الخفى،

وخاصة إحدى وصيفات القصر التى كان لها دور كبير فى حياة الملك السياسية، أوغر صدر فاروق فمضى يتمادى فى علاقته النسائية ليكيد الملكة ويغيظها. وهى حال نشاهدها فى الشباب المترفين الجهلة الذين يتلمسون بطولة تعوضهم عن الجهل والرجولة الناقصة التى أفسدها الترف، إلى رجولة غزو المرأة بالمال أو الجاه كما هو الحال مع فاروق الذى كانت النساء يتهافتن عليه بحكم الطبيعة البشرية لكونه ملكا.

والمجد عند الغانيات رغيبة　　　يُهوى كما يهوى الجمال ويعشقُ

هل كان زير نساء ؟!

لم أكن أود التعرض لهذا الموضوع الدقيق لولا أن الاتهام الأول فى قائمة اتهام فاروق، والذى أدى إلى سقوطه عن العرش هو أنه زير نساء، والرجل فى هذه المنطقة من العالم، يسامح إذا كان قاتلا أو لصا أو تاجر مخدرات، لكنه لا يسامح إذا كان زير نساء. وقد فاضت الصحافة بعد عزل فاروق بمقالات دامت أشهرًا بل سنين عن فضائح فاروق الجنسية.

لكن الحقيقة المرة بالنسبة إلى فاروق أنه جلب على نفسه كل هذا البلاء من غير أن يكون زير النساء بمعنى الكلمة الحقيقى. لأن فاروق لم يكن كفئا أبدًا وقادرًا على إرضاء تلك المجموعة الكبيرة من النساء اللاتى كان يصاحبهن. فالبدانة المفاجئة التى طرأت عليه جلبت مضاعفات شديدة. وقد أجريت له فى مستشفى المواساة عملية جراحية لإصلاح عيبه الجنسى قام بها الدكتور عبدالرزاق النقيب بمساعدة جراح ألمانى شهير ولكن العملية فشلت.

ولشدّة ما يتألم الرجل حتى وهو فى مرحلة الشيخوخة أن يكون عاجزًا، وفاروق كان شابًا، فكان ألمه. وهنا كانت محاولاته اليائسة المكشوفة لتغطية ذلك العجز باصطحابه عددًا كبيرًا من النساء.

أقول ذلك وأنا أخوض موضوعا لم أكن أحب أن اتطرق إليه، ولكننى وجدته ضروريا فى ضوء الظروف والحكايات التى قيلت عن فاروق.

شرط غريب للطلاق !

لم يدم زواج فاروق بفريدة أكثر من عشر سنوات، فقد تم الطلاق بينهما فى نوفمبر ١٩٤٨ وقد أذاع ديوان الملك فى هذه المناسبة بيانا قال فيه:

«شاءت إرادة الله أحكم الحاكمين أن تنفصم عرى رابطة مقدسة بين زوجين كريمين فوجه حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول وحضرة صاحبة الجلالة الملكة فريدة

مع ما يشعران به من أسف إلى الرغبة في الانفصال بالطلاق وتحقيقا لهذه الرغبة فقد أصدر جلالة الملك الإشهار الشرعي بذلك في يوم الأربعاء ١٦ من المحرم ١٣٦٨ الموافق ١٧ نوفمبر ١٩٤٨. والديوان إذ يعلن هذا - ليرجو من الله جل وعلا أن يهيئ من فضله وكرمه لحضرة صاحب الجلالة الملك المعظم ما تقر به عين البلاد وتسعد».

وقبل ذلك حين أراد فاروق طلاق زوجته استدعى شيخ الأزهر الشيخ مصطفى المراغي - والدي - ودار بينهما الحوار التالي:

الملك: أود أن أخبرك أني أريد طلاق الملكة.

شيخ الأزهر: أرجو ألا يكون قرارك هذا عارض غضب مفاجئ قد يزول بعد التروي.

الملك: لا.. لا.. إن أسبابًا خطيرة تدفعني إلى هذا الطلاق؛ وقد انتهى تفكيري في أنه لا مفر منه.

شيخ الأزهر: إن الطلاق حق لكل شخص وحلال حسب الشريعة، ولو أنه أبغض الحلال.

الملك: قلت لك إن دوافع خطيرة دفعتني إلى اتخاذ القرار.

شيخ الأزهر: ما دمت جلالتك مصرًا وقد فكرت طويلا كما قلت، فلا الدين ولا أحد يمنعك من الطلاق.

الملك: لكن شيئا مهما أريد تحقيقه قبل الطلاق. وأرجو أن تساعدني عليه.

شيخ الأزهر: وما هو هذا الشيء يا صاحب الجلالة؟

الملك: أريد أن تصدر فتوى بأنه لا يجوز لها أن تتزوج رجلا آخر.

قال الشيخ المراغي وقد فوجئ بالطلب: كيف أصدر فتوى تخالف الشريعة؟! إن المرأة بعد طلاقها وانقضاء العدّة تستطيع أن تتزوج من تشاء. وهذا نص الشريعة.

الملك: ولكنها ليست امرأة عادية؛ إنها ملكة.

قال شيخ الأزهر: الدين لا يفرق بين ملكة وبين امرأة من عامة الناس.

قال الملك: ولكني مصر على أن تصدر الفتوى؛ لابد من معاقبة الملكة.

قال شيخ الأزهر: لا يمكنني يا صاحب الجلالة أن أصدر هذه الفتوى.

قال الملك: إذن سأبحث عن رجل دين آخر يصدرها.

قال شيخ الأزهر: اعتبرني من الآن مستقيلا حتى أمكنك من أن تجد شيخًا آخر يحل محلي ليعطيك تلك الفتوى.

وخرج شيخ الأزهر. وحاول الملك أن يجد أحدًا من رجال الدين يفتى له بما أراد، ولكن من عرض عليهم الأمر امتنعوا عن موافقته، وبقى شيخ الأزهر فى منصبه، وطلقت الملكة.

سرقة مذكرات الشيخ المراغى

هناك حكاية خاصة لابد أن أشير إليها هنا. فبعد فترة من طلاق فاروق للملكة فريدة دخل شيخ الأزهر مستشفى المواساة للعلاج من مرض القلب. وأخذ يكتب مذكراته فى غرفته فى المستشفى. وكان فيها الكثير عن الملك فاروق والسياسة المصرية. وكان مدير المستشفى يعتبر من حاشية فاروق. ثم مات شيخ الأزهر فجأة بعد أن أنهى آخر سطر من مذكراته.

وكنا - نحن أولاده - نعلم بنبأ هذه المذكرات ولكن كانت مفاجأة لنا أننا اكتشفنا اختفاءها من أوراقه. وقد سألت عنها مدير المستشفى وأطباءه. فأنكروا علمهم بأى شىء عنها. ولكننى علمت أن فاروق حين تم إبلاغه بالوفاة أسرع إلى المستشفى ودخل غرفة والدى بحجة الصلاة والترحم على روحه؛ وأغلق الباب عليه مع أحد مرافقيه، وخرجا ثم اختفت المذكرات.

وكان والدى أثناء إقامته فى المستشفى قد خرج مرة للنزهة عاد فى المساء إلى المستشفى فوجد فناء المستشفى مملوءًا بالمرضات الألمان؛ وكن كلهنَّ شقراوات يرتدين جميعًا ملابس السهرة بدلا من ثوب التمريض أزرق اللون، وكان معهنَّ مدير المستشفى الذى تقدم لتحيته؛ فسأله والدى عن سبب لبسهن ملابس السهرة!

فرد مدير المستشفى باستحياء بأنهن مدعوات إلى القصر الملكى لحضور حفلة ساهرة أقامها الملك. حزت هذه الحادثة كثيرا فى قلب شيخ الأزهر؛ فكتب استقالة أرسلها إلى القصر من المستشفى لكنها ظلت معلقة إلى أن مات.

فؤاد والحاشية

ما السبب الذى جعل فاروق يختار حاشيته التى تلازمه فى رحلاته وسهراته من الأجانب دون المصريين، وكذلك أصدقاءه الذين يذهب إلى منازلهم للعب الورق أو السمر؟!

فى رأيى أن السبب يعود إلى البيئة التى نما فيها فاروق. لأن موظفى القصر أيام والده الملك فؤاد كانوا من الأجانب ومن الإيطاليين على الأخص. ولم يكن الملك فؤاد موفقًا مع المصريين، لأن الانجليز جاءوا به لتولى العرش سنة ١٩١٩، وهى سنة الثورة ضد الانجليز، ومع أنه قبل العرش بعد أن رفض جميع الأمراء قبوله، خشية أن ينفذ الانجليز تهديدهم بإحضار الأغاخان لتولى عرش مصر، فإن المصريين كانوا يهتفون بسقوطه لأنه عميل انجليزى. وعلى

رغم محاولاته الكثيرة للتفاهم مع زعماء ثورة مصر وعلى رأسـهم سعد زغلول باشا الذى كان رجلا قوى الشكيمة يأبى الخضوع لإرادة الملك، فإنه لم ينجح فى اكتساب ثقة المصريين، وكان يضيق ذرعا بالحياة الدستورية ويريد إيقاف الدستور، حتى إن نائبًا من حزب زغلول وقف ليقول: إذا حاول أكبر رأس أن يحطم الدستور فإننا سنحطم رأسه.

لقد كان فاروق يسـمع فى طفولته أباه وهو يصيح بأن المصريين خنازير ولايصلح معهم إلا الكرباج، فترسـبت فى نفسـه هذه الفكرة عن المصريين، وزاد الطين بلة، أن والده لم يلحقه بمدرسـة مصرية، ولم يحاول أن يدخل القصر أطفالا فى سـن ولى عهـده يخالطونه ويلعبون معه، وحين بلغ الرابعة عشرة أرسله إلى انجلترا. لذلك كان فاروق بعيدًا عن البيئة المصرية، وحين عـاد وجد القصر مملوءًا بالأجانـب وأغلبهم من الإيطاليـين. وكان الملك فاروق مغرمًا بالسـيارات وقيادتها؛ وكان جراج القصر يدار بميكانيكيين أجانب، وكذلك عمال الكهرباء فـى القصر، والحلاق كان إيطاليًا. فاختلط بهـم فاروق، وكان يطيب له ما يراه فيهم من مرح وحـب للفكاهة، بعكس حاشـية القصر من المصريين الذيـن كان يتملكهم الاحترام التقليدى المـوروث عن الأتراك، ويفرض عليهم كآبة التزمت وطابـع الانحناء المبالغ فيه عند التحية. وفـاروق كان ذا روح مرحة لعله ورثها عن والدتــه، وكان يضيق بالتزمت والانحناء ويحب النكتـة ويضحك لها من قلبـه، وكان الأجانب فى القصر يحفظون قـدرا كبيرا من النكات، وكذلـك المصريون، لكنهم لم يكونوا يَجْرُؤون على إلقائها جرأة الأجانب. وأكثر النكات التى كان يحبهـا فاروق كانت من النوع الذى يبعث الحمرة فى وجوه السـيدات. ولم يكن يتحرز من إلقاء هذه النكات فى حضورهن وخاصة فى نادى السـيارات وكان يحكى بنفسه لأصدقائه النكات التى يطلقها الشعب عليه وعلى تصرفاته ويسترسل فى الضحك.

□□□



١ - زفاف الملك فاروق وفريدة .



٢ - الملك فاروق وفريدة وابنتهما .



٣ – ظل الأمير محمد علي ولي العهد والوصي على العرش يحلم بمنصب الملك.. ولكنه كان محدود الخبرة السياسية .



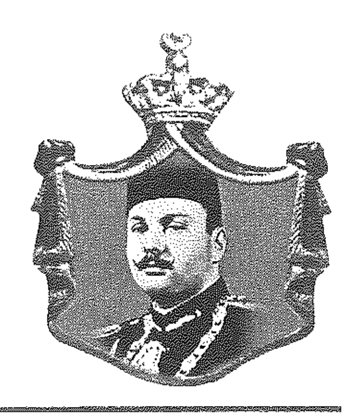
٤ – الملك فاروق مع شيخ الأزهر الأسبق محمد مصطفى المراغي .



٥ – الملك فاروق فى شرفة قصر عابدين يوم عيد الأضحى المبارك عام ١٩٣٧ .



٦ – أحمد حسنين باشا .



عقدة ٤ فبراير

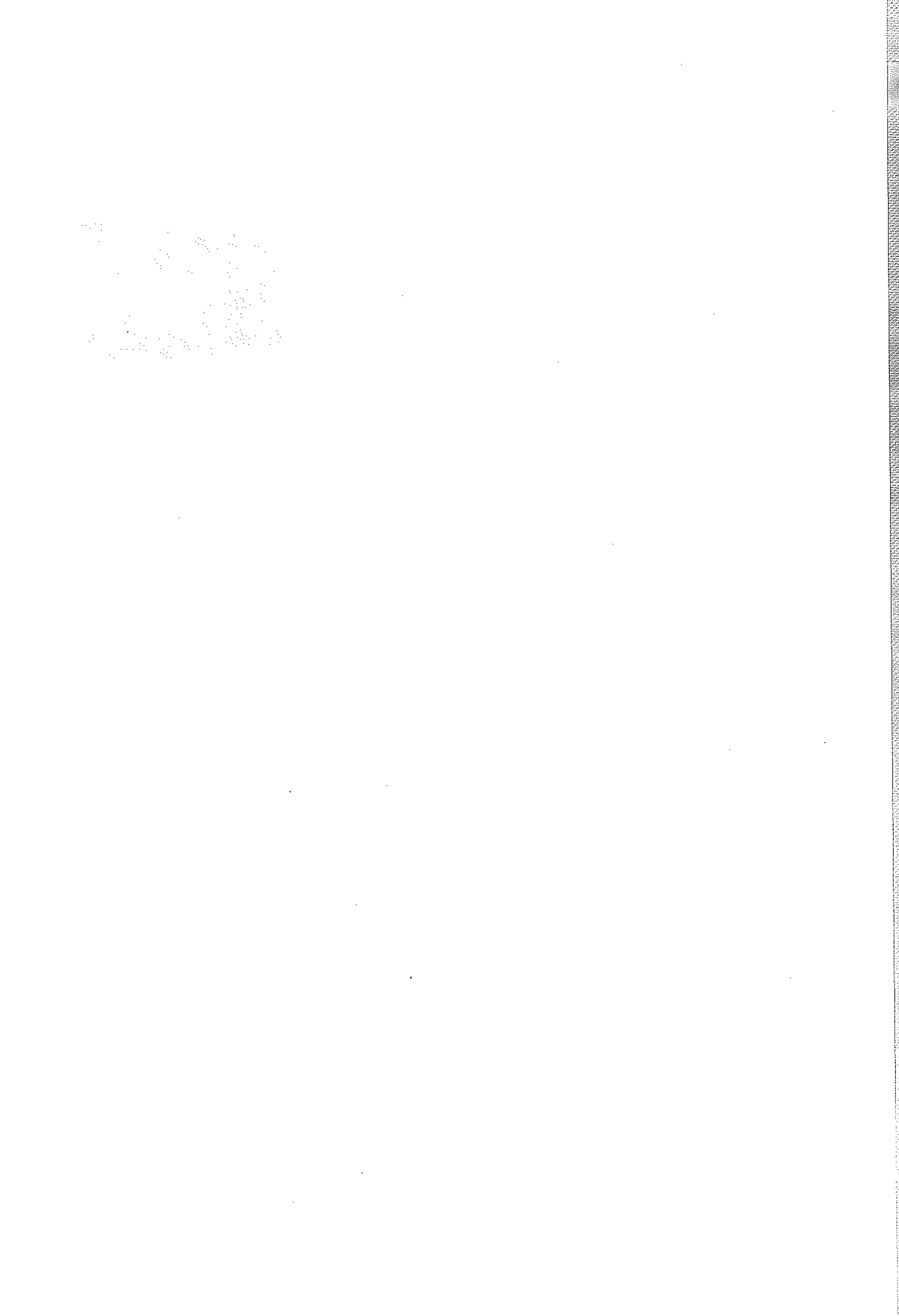
■ عندما اقتحم السفير البريطانى مكتب فاروق وطلب إليه التنازل عن العرش.

■ قال الملك لفريدة يوم ٤ فبراير: ستعجبين لرد فعل الشعب.

■ شيخ الأزهر يعلن أن مصر لن تدخل حربا لا ناقة لها فيها ولا جمل.

■ مصطفى النحاس: من أجل مصر وقعت المعاهدة ومن أجل مصر أطالبكم بإلغائها.

■ حسن صبرى سقط ميتا وهو يلقى خطاب العرش أمام البرلمان.



تنبأ البريطانيون منذ عام ١٩٣٥ بأن مصر بموقعها الاستراتيجى سوف تكون ميدانا هاما من الميادين الرئيسية فى الحرب التى تدور بينهم وبين الألمان.

ولما كان الملك فؤاد قد سبق له إلغاء الدستور فإنهم عرضوا عليه ملحين ضرورة إعادة هذا الدستور حتى يبدو أن البلاد تُحكمْ سليما وحتى يتسنى إجراء انتخابات برلمانية تأتى بحزب الأغلبية برياسة مصطفى النحاس باشا إلى الحكم.

ولم يكن فى الواقع حبا لمصر وإنما حبا لمصالحهم وهدفهم فى وجود حكومة تستند إلى غالبية شعبية يستطيعون أن يعقدوا معها معاهدة تحالف وصداقة تضمن لهم فى الحرب القادمة التى يتوقعونها كل التسهيلات الحربية وسبل المواصلات التى كانوا يتمتعون بها من خلال موقع مصر.

وبالفعل تم ما كانوا يسعون إليه وجرت انتخابات برلمانية فاز بها الوفد كما كان متوقعا. وإثر عودة الوفد فى عام ١٩٣٦ عقد مع انجلترا معاهدة تحالف وتصادق وهى المعاهدة التى ألغاها الوفد أيضا فى أكتوبر ١٩٥١ بعد ١٥ عاما وقال مصطفى النحاس يومها عبارته الشهيرة وهو يعرض مشروع إلغاء هذه المعاهد على البرلمان «من أجل مصر وقعت معاهدة ١٩٣٦، ومن أجل مصر أطالبكم اليوم بإلغائها».

كان من أهم ما تضمنته معاهدة ١٩٣٦ انتقال القوات العسكرية البريطانية من الأماكن التى تحتلها فى ذلك الوقت إلى منطقة قناة السويس بشرط ألا يتم هذا الانتقال إلا بعد أن تقوم مصر ببناء الثكنات والمنشآت الصالحة وفقا لاحدث النظم لاقامة القوات البرية والجوية وعددها عشرة آلاف جندى و٤٠٠ طيار و٤٠٠ مستخدم مدنى.

كما قضت أيضا المعاهدة بإنشاء عدة طرق جديدة منها طريق بورسعيد الاسماعيلية السويس وهو الطريق الذى ظل مدونا مدة سنوات طويلة باسم طريق المعاهدة.

وقد استثنت من عملية الانتقال القوات البريطانية الموجودة فى الإسكندرية وضواحيها ونص على أن تبقى هذه القوات هناك ثمانى سنوات من تاريخ البدء بتنفيذ المعاهدة.

حسين سرى رئيسا للوزارة

وكما ذكرت من قبل فلقد كانت حكومة الوفد فى الحكم عند وفاة فؤاد، وعقب ذلك عاد فاروق الذى كان فى الخارج وتولى مجلس الوصاية الحكم فترة شهور قليلة إلى أن جاءت الفتوى بتولى فاروق سلطات الملك عند بلوغ سن الثامنة عشرة هجرية.

ولم يستطع الوفد أن يعمل مع فاروق طويلا، وكانت الإقالة الشهيرة بالغة الوقاحة التى وجهها فاروق قبل أن يبلغ سن الثامنة عشرة من عمره إلى رئيس أقوى حزب فى مصر.

وعندما قامت الحرب بين انجلترا وحليفاتها من جهة، وألمانيا وإيطاليا من جهة أخرى، كانت إيطاليا تحتل ليبيا المجاورة لمصر وتهدد مواصلات انجلترا فى البحر الأبيض المتوسط.

وفى خلال ذلك كان على ماهر قد عاد إلى موقعه رئيسا لديوان الملك وهو الذى أوضح له طريق إقالة النحاس، ولكن على ماهر كان يطمح فى الوصول إلى رئاسة الوزارة، وقد حاول ذلك بالفعل، ولكن «فاروق» اختار لرئاسة الوزارة صهره حسين باشا سرى وكان مهندسا.

أزمة بسبب خطبة!!

أخذت القوات الألمانية تجتاح أوربا، واحتلت بلجيكا وهولندا وفرنسا. وتحطمت القوات الانجليزية فى دنكرك، واستولت إيطاليا على أريتريا والصومال، ودخلت اليابان الحرب واستولت على ماليزيا وبورما وسنغافورة. ولم يبق مجال للشك فى خاطر على ماهر مستشار الملك فى أن الحرب وشيكة الانتهاء بانتصار محور ألمانيا - إيطاليا على انجلترا وحلفائها. وكانت ميول الملك فاروق واضحة وكان يردد فى النوادى التى يرتادها ملاحظات كلها سخرية من بريطانيا وحلفائها. وزاد الأمر سوءا أنه كان بالقصر حاشية كبيرة من الايطاليين قيل إنهم يعملون جواسيس للمحور، ويرسلون رسائل لاسلكية بالشفرة إلى إيطاليا عن مواقع قوات الحلفاء وتحركاتها. وقد طلبت الحكومة البريطانية من الملك فاروق إبعاد الايطاليين عن القصر، لكنه رفض وازدادت بذلك العلاقة معهم سوءا. ولكن كانت هناك أيضا وجهة نظر أخرى من رجال بارزين ذوى نفوذ لهم كلمة مسموعة لدى القصر. هؤلاء الرجال كانوا يرون أن الوقت قد حان لمطالبة الحكومة البريطانية بأن تعلن رسمياً الاعتراف باستقلال مصر على أثر انتهاء الحرب، وجلاء القوات البريطانية عنها، وقام شيخ الأزهر فى ذلك الوقت الشيخ مصطفى المراغى (والدى) بأول حملة إذ أعلن من منبر الأزهر عقب صلاة الجمعة أن مصر لا تستطيع الدخول فى حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل. وطلب أن تعلن القاهرة مدينة مفتوحة لكثرة الأماكن المقدسة فيها، فلا تغير عليها طائرات المحور.

ولقد استجاب المحور فوراً لذلك النداء، وأعلن راديو برلين وباري موافقة الحكومتين الألمانية والايطالية على جعل القاهرة مدينة مفتوحة، وفي اعتقادي، أنه وإن كان المحور قد تلقى كسباً سياسياً من هذا الاعلان، إلا أن تصديقها كان يعد سذاجة تامة، فقد كانت القاهرة المركز الرئيسي لتلقى الإمدادات العسكرية التي تصل إلى ميناء السويس تفاديا من دخول قوافل التموين البحر الأبيض المتوسط. وكانت محطة القاهرة تتلقى ليل نهار القطارات الناقلة للدبابات والمدافع والذخائر والمؤن، وترسلها إلى جبهة القتال في الصحراء الغربية. ولو أن محطة سكة حديد القاهرة ضربت وعطلت للاقى البريطانيون عناء شديدا من تمويل جيش الصحراء الغربية، وعلى رغم كل ذلك ذهب السفير البريطاني مايلز لامبسون إلى رئيس الوزراء سرى باشا يحتج على خطبة شيخ الأزهر وطلب رئيس الوزراء مقابلة شيخ الأزهر وعاتبه على الخطبة التي قيلت من دون عرضها على الحكومة المصرية، ودار بينهما الحوار التالي:

قال حسين سري: يا سيدنا الشيخ، هل تعلم أن السفير البريطاني حضر اليوم إليّ محتجا على خطابك في الجامع الأزهر؟

قال شيخ الأزهر: لا أعلم ولكن لمَ يحتج؟

قال رئيس الوزراء: لأنك قلتَ: إن مصر يجب ألا تدخل في حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل.

يطلب إليه الاستقالة

قال شيخ الأزهر: وماذا كان ردك عليه؟

قال رئيس الوزراء: قلت له إني سأستوضحك عن هذا الخطاب.

قال شيخ الأزهر: اسمع يا سري باشا. إنك مارست السياسة منذ عهد قريب جدا ولم تعركها وتسبر أغوارها. ولكن بدل أن تقول للسفير البريطاني إنك ستستوضحني، أما كان الأولى بك أن تقول له باسم الحكومة المصرية إن مصر لا مصلحة لها في إعلان الحرب على المحور من غير إعطائها تعهدا صريحاً بالاستقلال عن بريطانيا ووعدا بجلاء القوات البريطانية.

قال رئيس الوزراء: يا سيدنا الشيخ، أنت تعلم أن الحلفاء في مأزق، وهم في حالة تقرب من الهزيمة. فهل من اللياقة والإنسانية أن نحرجهم. وهم في هذه الحالة السيئة؟

قال شيخ الأزهر: قلت لك إنك لم تعرك السياسة.

قال رئيس الوزراء: إنني لا أسمح بهذا الكلام.

قال شيخ الأزهر: تسمح أو لا تسمح سيان. يجب أن أقول لك إن السياسي الذي في يده مصير أمة يجب ألا يكون عاطفيا يرعى شعور المحتل الذي يجثم على صدره، وإنما يجب أن يكون واقعياً ينتهز الفرصة الملائمة ليحصل على ما يريد لأمته، بل ليحصل على أقصى ما يمكن. إن البريطانيين حين كانوا أقوياء طالبناهم مرارا باستقلال مصر باسم العدالة وحرية الشعوب، فلم يأبهوا لنا ولم يعطونا شيئا. وهذه الآن هي الفرصة الوحيدة التي يجب الضرب فيها على الحديد الساخن للحصول على استقلالنا. اذهب اليوم إلى السفير البريطاني واطلب منه تعهدا باستقلال مصر، فإذا أعطاك إياه فقل لي، وستجدني ذاهبا إلى الجامع الأزهر واقفا على منبره لأقول للمصلين وشعب مصر: إن لنا في هذه الحرب ألف ناقة وألف جمل، وادخلوها على بركة الله.

قال حسين سري: إنني لا أستطيع أن أطلب منه ذلك.

قال الشيخ المراغي: وماذا تريد مني إذن؟

قال رئيس الوزراء: أن تنفي أنك تريد إحراج الإنجليز.

قال شيخ الأزهر: وهو يقوم من مقعده ويتكىء على عصاه: لن أفعل ذلك أبدا، وإذا أردت أن تقيلني من وظيفتي فافعل، ولكن لي نصيحة لك، وهي أن تترك رئاسة الحكومة لشخص يستطيع أن يطلب التعهد من بريطانيا بإعطاء مصر استقلالها.

واستقال حسين سري بالفعل، وبدت الفرصة كبيرة لعلي ماهر الطامع في رئاسة الوزارة فشكل وعين صالح باشا حرب وزيرا للحربية وكان يكره بريطانيا، وقام بتصرفات أثارت ثائرتهم.

منذ أقال فاروق مصطفى النحاس في ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ وحتى فبراير ١٩٤٢ تعاقب على الوزارة أربعة رؤساء هم محمد محمود باشا (من ديسمبر ٣٧ إلى أغسطس ٣٩)، ثم علي ماهر (من أغسطس ٣٩ إلى يونيو ٤٠) ثم حسن صبري (من يونيو ٤٠ إلى نوفمبر من نفس العام)، ثم حسين سري (من نوفمبر ٤٠ إلى فبراير ٤٢).

والملاحظ أن حسن صبري لم يستمر غير حوالي خمسة أشهر وذلك بسبب النهاية الدرامية التي انتهت بها حياته، فقد حدث يوم ١٤ نوفمبر ١٩٤٠ وفي أثناء افتتاح دورة البرلمان وفي حضور فاروق، وأثناء قيام حسن صبري بتلاوة خطبة العرش تلجلج لسانه وبدا عليه الإجهاد فتوقف عن إلقاء الخطاب، وحاول الجلوس لكنه لم يستطع وسقط على الأرض مغشيا عليه. وبسرعة تم نقله إلى حجرة رئيس المجلس لكنه فارق الحياة.

كانت الصدمة بالغة ولكن تم التغلب عليها وقام رئيس البرلمان محمد محمود بإكمال الخطبة..

تقدم يا روميل..

كانت المعارك بين القوات الانجليزية وقوات المحور فى الصحراء الغربية فى ذلك الوقت على أشدها وقد بدأت تسير فى غير صالح الانجليز.

وكانت مصر اعتبارا من نهاية عام ١٩٤٠ قد بدأت تعيش حالة حرب وتتعرض للغارات الجوية التى اشتدت على مدينة الإسكندرية والقاهرة وقد اضطر الألوف للهرب منهما إلى الريف فى الوقت الذى قامت فيه الحكومة بإنشاء عدد كبير من المخابئ فى القاهرة والاسكندرية ليلجأ إليها المواطنون عند الغارات. ولأن الموقف العسكرى قد بدأ يتطور لصالح قوات الألمان بقيادة روميل فقد شهدت القاهرة فى الأسبوع الأخير من يناير ٤٢ مظاهرات نادى فيها المتظاهرون بسقوط الإنجليز وترددت هتافات تعلن: تقدم يا روميل.. تقدم يا روميل. ولم تكن هذه النداءات حبا فى روميل أو الألمان وإنما كراهية الذين يحتلون مصر والذين بسببهم واجهت البلاد حالة الحرب والغارات.

النحاس يرفض

أزعجت هذه المظاهرات الإنجليز، وقرروا اتخاذ إجراءات تؤمن لهم ظهرهم فى داخل مصر. وانتهى رأيهم إلى إسناد تشكيل الوزارة إلى رئيس وزراء له أغلبية شعبية تحبه الجماهير حتى تستقطب مشاعرهم المشتتة.

وبالطبع لم يكن هناك من يملك هذا غير مصطفى النحاس رئيس حزب الوفد.

وقام السفير البريطانى سيرمايلز لامبسون (وقد اشتهر باسم لورد كليون) بإبلاغ فاروق رغبة بلاده فى أن يتولى النحاس رئاسة الوزراء. وفى يوم ٣ فبراير ١٩٤٢ استدعى فاروق النحاس على أساس أن يطلب منه تشكيل الوزارة ولكنه بدلا من أن يطلب إليه رئاسة وزارة وفدية فإنه طلب إليه تشكيل حكومة ائتلافية تضم مجموعة الأحزاب الموجودة فى ذلك الوقت، ولكن النحاس رفض عرض فاروق وخرج من القصر معلناً رفضه أن يرأس وزارة تضم عناصر غير وفدية.

وفى اليوم التالى استدعى السفير البريطانى رئيس الديوان الملكى أحمد حسنين وسلمه إنذارا جاء فيه «إذا لم أسمع قبل الساعة السادسة مساء أن النحاس باشا قد دعى لتأليف وزارة فإن جلالة الملك فاروق يجب أن يتحمل ما يترتب على ذلك من نتائج».

لم يحدد الإنجليز فى الإنذار ما إذا كانت الوزارة وفدية أم لا، وإنما ذكروا فقط كلمة «وزارة» فالمهم هو أن يكون النحاس رئيس هذه الوزارة.

وأمام هذا الإنذار استدعى الملك رؤساء الأحزاب وكبار الشخصيات السياسية لاجتماع تم فى الساعة الرابعة مساء نفس اليوم (الأربعاء ٤ فبراير) وعرض عليهم الإنذار فأعلنوا احتجاجهم وطلبوا إلى النحاس باشا الذى كان حاضراً الاجتماع قبول تأليف وزارة قومية، ولكنه أصر على موقفه بعدم قبول تشكيل أية وزارة غير وفدية. فما كان منهم إلا أن كتبوا احتجاجا أعلنوا فيه أن توجيه الإنذار البريطانى إلى فاروق يمثل اعتداء على استقلال البلاد، وأنه يجب على الملك ألا يقبل ما يمس استقلال البلاد.

يقتحم مكتب الملك

حمل أحمد حسنين باشا رئيس الديوان نص الاحتجاج إلى السفير البريطانى فأجابه السفير بعد أن نظر إليه بأنه لا يعتبر ذلك رداً، وأنه سيحضر بنفسه لمقابلة الملك فى تمام التاسعة مساء.

وقبل دقائق من وصول السفير البريطانى اخترق شوارع القاهرة طابور من الدبابات البريطانية اتجهت إلى ميدان عابدين -حيث يقيم فاروق- وأحاطت بالقصر.

ومن بين الدبابات التى تولت عملية الحصار اقتحمت دبابة أحد أبواب القصر المغلق وخلعته، وانساب وراءها عدد آخر من الدبابات أخذت مكانها داخل فناء القصر.

وبعد قليل دخلت من البوابة المخلوعة عربة السفير البريطانى مستر مايلز لامبسون يصحبه مستر ليتلتون وزير الدولة البريطانى والجنرال ستون قائد القوات البريطانية.

وبسرعة بالغة انطلق الثلاثة إلى حيث مكتب الملك، وبقدمه اليمنى ضرب السفير البريطانى باب غرفة المكتب فى عملية اقتحام واضحة.

أرجوك: أعطينى فرصة أخرى

كان فاروق واقفا فى الحجرة يطل من نافذة على فناء القصر يشاهد تحركات الدبابات.. وعلى صوت الباب الذى اقتحمه السفير البريطانى وضربه بقدمه التفت فاروق ليجد مستر لامبسون يتقدم نحوه قائلا:

– لقد كلفتنى الحكومة البريطانية أن أطلب منك التخلى عن العرش فوراً وأن تجمع حقائبك للسفر.

قال فاروق فى خوف: إلى أين؟

قال السفير: جنوب أفريقيا..!

كان فاروق فى ذلك الوقت فى سن الثالثة والعشرين .. وقد فوجئ بما حدث، بل لعله صعق لهول المفاجأة وانعقد لسانه، ومضت لحظات صمت لم يستطع أن يقول فيها شيئاً، وأخيرا نظر إلى السفير البريطانى قائلا:

– سير مايلز لامبسون، إننى مستعد لاقالة على ماهر وسأجمع الزعماء المصريين على الفور لاختيار رئيس جديد للوزارة.

قال لامبسون بكل كبرياء:

– إن المسألة الآن ليست مسألة تعيين رئيس وزراء، إنها مسألة تخليك عن العرش..

عاد الملك فاروق إلى الصمت .. وأخذ ينظر إلى رئيس ديوانه أحمد حسنين متوسلا إليه أن يجيبه، ولكن هذا الأخير ظل صامتا..

وبعد نحو دقيقة نظر فاروق إلى مستر لامبسون فى توسل بالغ يقول له:

– سير لامبسون – إننى أرجو التنازل عن طلب التخلى عن العرش، وأن تعطينى فرصة أخرى، وسأجيب جميع طلباتك.

قال لامبسون: لا .. ليس هناك فرصة أخرى يجب أن توقع الآن ورقة التنازل عن العرش.

وظل فاروق واجما.. ومرت عليه لحظة رهيبة لم يلاحظ فيها أن المستر ليتلتون تقدم نحو السفير وأخذ بيده إلى ركن من الحجرة وتبادلا الكلام همسا..

وكما أصبح معروفا فإن ليتلتون أمام مشهد فاروق طلب إلى السفير البريطانى إعطاء فاروق فرصة أخرى مادام سيجيب طلباته. وأجابه مستر لامبسون بأن مثل هذا القرار يجب أن يعود فيه إلى رئيس وزراء بريطانيا مستر تشرشل الذى كان واضحا أنه طلب إلى السفير إقصاء فاروق عن العرش.

وتم الاتفاق بين السفير والوزير البريطانى على إرسال برقية لرئيس الوزراء تشرشل..

وجاءت موافقة تشرشل مؤيدة رأى ليتلتون..

ونجا فاروق من التنازل عن العرش وعين النحاس رئيسا للوزارة وفى نفس اليوم ذهب فاروق إلى زوجته الملكة فريدة فروى لها ما جرى مع السفير البريطانى .. وأخذ يبكى بكاء شديداً.

قالت له الملكة: خلاص .. لم يعد لنا مجال للبقاء فى مصر وخير لنا أن نرحل عنها.

قـال فاروق: أبـداً.. إنك سـوف تريْن غداً كيف سـتكون ثورة الشـعب ومظاهراته ضد الإنجليز..

وعندمـا جاء الغد فوجئ فاروق بقيام المظاهرات .. ولكنها بدلا من أن تثور على الإنجليز راحت تهتف بحياة النحاس وحياة مستر لامبسون..

وعندما ذهب السفير البريطانى إلى مجلس الوزراء لتهنئة النحاس باشا حمله المتظاهرون على الأكتاف!!

عقدة ٤ فبراير وفاروق

ولدت حادثة ٤ فبراير فى نفس فاروق إحساسا بالغ الأثر، وتركت فى قلبه جرحا عميقا وكراهية مثلثه الأطراف ..

- كراهية نحو الإنجليز الذين أهانوه وجعلوه يتوسل إليهم لإبقائه فوق العرش.
- وكراهية نحو الشعب المصرى الذى كان ينتظر أن يهب لمساعدته ولكنه يهتف للسفير البريطانى الذى أهانه ويحمله على الاكتاف.
- وكراهيـة نحـو مصطفى النحاس الـذى كان يتوقـع أن يرفض قبول رئاسـة الوزارة ويحرج الإنجليز، ولكن النحاس لم يكن قد نسـى الجرح الكبير الذى وجهه له فاروق عندما أقالـه بخطاب وقح قبل ٦ سـنوات، وقد جاءته الفرصة لرد اللطمـة إلى فاروق ولم يتردد فى انتهازها.

وقرر فاروق أن ينتقم وأن يكون انتقامه على طريقة أسـلافه من الأسـرة العلوية.. بالدم، وليس بغير الدم.. ووضع فاروق بنفسه قائمة الدم، وحدد على رأسها سحق:

- مصطفى النحاس.
- وأمين عثمان..

أما مصطفى النحاس فأمره معروف، وعداؤه له أسبابه واضحة.. أما أمين عثمان فإنه كان موظفا كبيرا فى وزارة المالية..

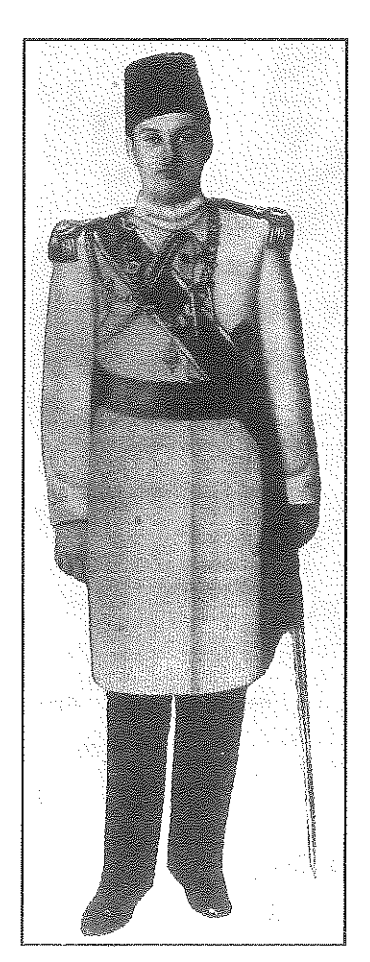
وقد كانت له علاقة وثيقة بالسفارة البريطانية تعود إلى فترة الدراسة عندما كان طالباً فى كلية فيكتوريا بالإسكندرية التى تخرج منها.

وقد ظل همزة الوصل بين الوفد والسـفارة البريطانية وقام بدور كبير فى إقالة على ماهر وإعادة النحاس إلى الحكم.. وقد اختاره النحاس وزيرا للمالية.

وبذلك وصفه الملك فاروق فى قائمة الذين سوف يحاربهم بالدم ..!

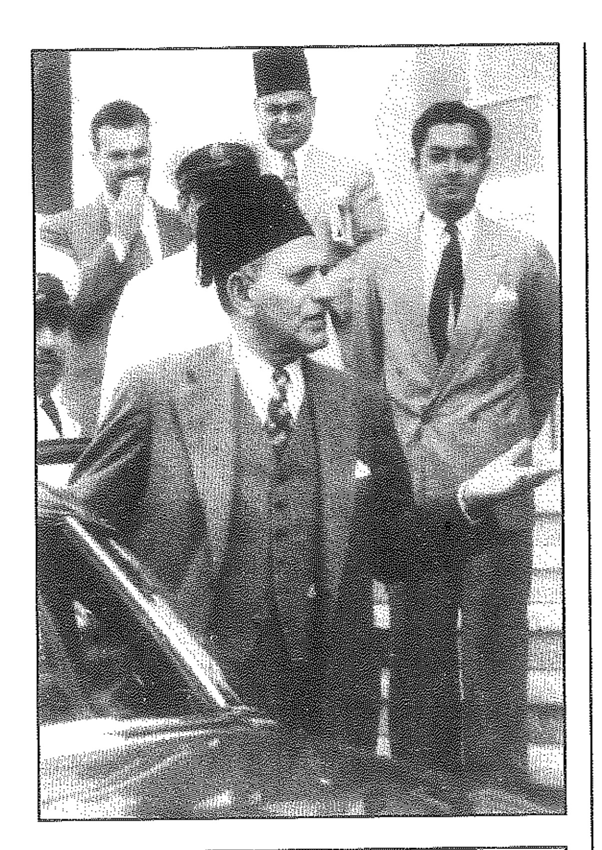


١ – الملك فاروق .



٢ – حديث بين الملك فاروق وعلى ماهر، عندما شكل الوزارة الوحيدة فى بداية حكم الملك .





٣ – مصطفى باشا النحاس رئيس الوزراء وقتئذ يتحدث إلى الصحفيين في بوكلي بالإسكندرية ووقف إلى جواره سعيد سنبل صيف عام ١٩٥١ .



٤ – حسين سرى باشا صهر الملك فاروق فاز بالوزارة بعد أن أعدها على ماهر لنفسه .



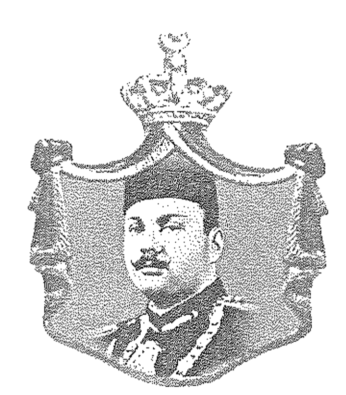
٥ - حسن صبرى باشا سقط ميتا وهو يلقى خطاب العرش أمام البرلمان .



٦ - أحمد حسنين باشا تسلم الإنذار البريطانى بضرورة تنفيذ رغبة بريطانيا قبل السادسة مساء .

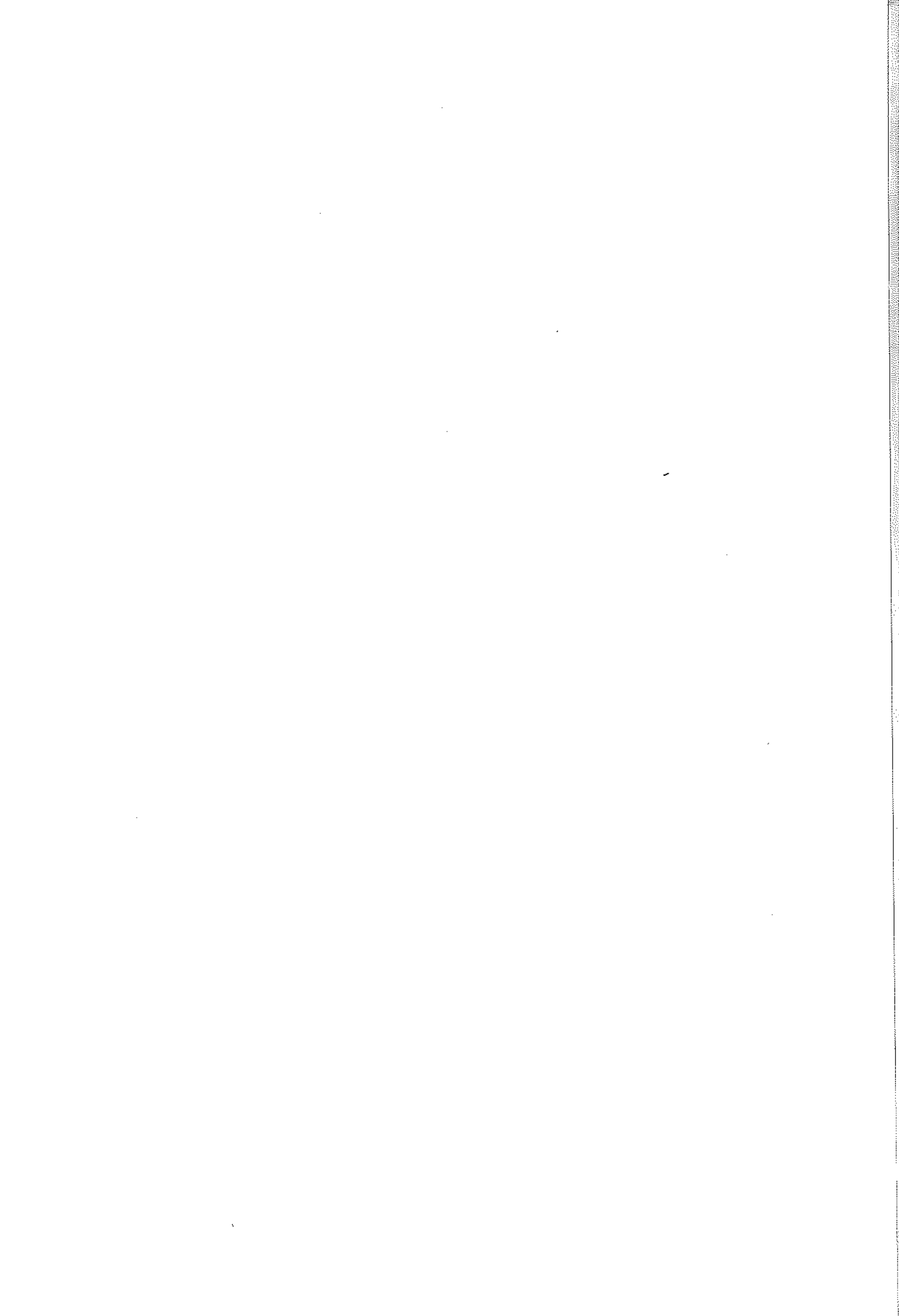


٧ - من اليمين إسماعيل تيمور كبير الأمناء، عمر فتحي، حيدر باشا، والشيخ المراغي يتوسطهم فاروق بمسبحته التي كانت تلازمه دائما عقب أدائه فريضة الحج .



لقاء مع
يوسف رشاد وزوجته

- عندما نظر فاروق إلى بطة اصطادها وقال: تمنيت لو كانت مصطفى النحاس.
- مايلز لامبسون كان فاروق يتمنى قتله لكنه خاف من الإنجليز.
- أمين عثمان كان قتله أمنية من أمنيات فاروق.
- حادث في القصاصين ولقاء مع يوسف رشاد وزوجته.



في حوالى الساعة الرابعة من مساء يوم الاثنين ١٥ نوفمبر ١٩٤٣ كان فاروق- وكانت إحدى هواياته قيادة السيارات وبسرعة - يمارس هواية على طريق الإسماعيلية عندما اصطدمت سيارته بسيارة لورى تابعة للجيش البريطانى، فتحطمت سيارة فاروق وأصيب بكسر فى ضلوع الحوض وتم نقله إلى أحد مستشفيات الجيش البريطانى القريبة من مكان الحادث عند مدينة القصاصين فى حالة خطيرة.

ولابد للأمانة أن أقرر أن الجماهير خشيت على فاروق وقلقت عليه وسارت مظاهرات إلى القصاصين تعبر عن مشاعرها لملك مصر.

وقد ظل فاروق فى المستشفى ثلاثة أسابيع نجا خلالها من الموت بأعجوبة بسبب شبابه وقوة احتماله.

ولأن المستشفى البريطانى الذى كان يعالج فيه فاروق يضم أطباء كلهم إنجليز، فلقد انتدب للإشراف على علاج ملك مصر طبيب مصرى متخصص اسمه يوسف رشاد كان يعمل فى سلاح البحرية. وكان يوسف رشاد قويا مفتول العضلات، وهى صفات كانت مطلوبة لمن يتولى الإشراف على علاج فاروق الذى كان فى حاجة فعلا إلى من يحمله من سريره ليضعه فوق كرسى ممدود نهارا، ثم يعيده إلى السرير ليلا.. ولأن مظاهر البدانة والسمنة قد بدأت تظهر على فاروق فى ذلك الوقت فقد كان فى حاجة فعلا إلى طبيب مثل يوسف رشاد أدى مهمته الشاقة ببراعة وسهولة أراحت الملك. ومكافأة له.. أمر فاروق بنقل يوسف رشاد من سلاح البحرية الذى كان يعمل به إلى القصر ليصبح واحدا من حاشية الملك.

ظهور ناهد رشاد

ولم يكن يوسف رشاد وحده هو الذى استولى على إعجاب الملك، فقد شاركته فى هذا الإعجاب أيضا زوجته ناهد التى اشتهرت باسم ناهد رشاد، وكانت فى ذلك الوقت سيدة صغيرة شقراء ذات عينين سوداوين كعيون نساء المغول.

وتنحدر السيدة ناهد من أصل شركسي. وكانت مثل معظم نساء الشركس جميلة.. وقد قرر فاروق أن يلحقها هي الأخرى بالقصر وتصبح وصيفة شقيقته فايزة.

ولكن فيما بعد أصبحت ناهد رشاد من أقرب النساء إلى قلب فاروق وأكثر الشخصيات تأثيرا عليه.

رهان على بطة..!

كان يوسف رشاد قد أصبح واحدا من حاشية الملك الذى يرافقه فى رحلاته، ومنها رحلة قام بها فاروق إلى بحيرة قارون فى الفيوم لعيد البط وقد صحبه فيها عدد من أعضاء نادى الصيد الملكى «الذين يتميزون بإجادة الرماية».

وكان فاروق أيضا من الصيادين الماهرين، وقد استطاع أن يسقط فى هذا اليوم عددا كبيرا من البط.

وكانت العادة أن يجتمع الصيادون بعد انتهاء ساعات الصيد فى الاستراحة الخاصة لفاروق فى الفيوم، ومع كل منهم صيده - وكان أكبر صيد فى ذلك اليوم هو الذى اصطاده الملك. وقد تقدم إليه أحد أفراد حاشيته مهنئا على مهارته، ولكن فاروق بعد كلمة شكر تنهد قائلا وهو يشير إلى البط الملقى على الأرض:

وددت لو كان هذا البط رجالا!

سمع الحاضرون جملة فاروق وقد سادهم الصمت الممزوج بدهشة إلى أن ضحك فاروق قائلا: انظروا إلى هذه البطة الكبيرة، وأشار إليها بإصبعه، أتدرون من وددت أن تكون؟

ولما لم يستمع الملك إلى إجابة أحد منهم فإنه استمر ضاحكا:

وددت لو كانت مصطفى النحاس!

وعاد فاروق يشير إلى بطة أخرى ويسأل: هل يستطيع أحدكم أن يقول من أريد بديلا عن هذه البطة؟

وهنا صاح أحد الحاضرين قائلا: أنا أعرف من هو يامولاى؟

قال فاروق متحديا: إذن سأعطيك ريالا إذا قلت من هو

قال الرجل وكان يعرف كراهية فاروق للأمير محمد على:

إنه ولى العهد الأمير محمد على.

قال الملك: أبدا لقد خسرت الرهان. إنه أمين عثمان.. هل تعرف من هو أمين عثمان.. إنه الخائن عميل الإنجليز!

هدية لناهد رشاد

دخل يوسف على زوجته حاملا صيده وألقى بحمله عند مدخل الباب لتفاجأ به ناهد وقد نظرت إلى الطيور الكثيرة قائلة: ما حسبتك ماهرا إلى هذا الحد. كيف استطعت اصطياد كل هذا البط؟

قال يوسف: لم أصطده كله، لقد أعطاني الملك بعض ما اصطاده قائلا إنه هدية لزوجتك.

واكتسى وجه ناهد بالحمرة لهذه العبارات ثم قالت لزوجها:

ولكن ماذا سنفعل بكل هذه الطيور؟

قال يوسف: نقيم وليمة ندعو إليها أصدقاءنا.

وذهب يوسف: إلى غرفة نومه وخلع ملابسه واستحم ثم عاد إلى الصالون وتناول غليونه وأشعله وطلب من زوجته أن تفرغ له قدحا من الويسكى أخذ يرشفه فى تراخ ثم ما لبث أن ضحك.

قالت ناهد تسأله: ما الذى يضحكك يا يوسف؟

قال يوسف: ماحدث فى رحلة الصيد وما قاله الملك خلال هذه الرحلة.

وحكى لها تسمية الملك لبطة باسم مصطفى النحاس وأخرى باسم أمين عثمان.

لم تضحك ناهد بل استغرقت فى تفكير عميق قطعه يوسف بقوله: ظننت أن هذه القصة سوف تضحكك.

قالت ناهد: هل استخلصت مما قاله الملك شيئا غير السخرية؟

قال يوسف: لم استخلص شيئا غير أنه يحب العبث والفكاهة.

قالت ناهد: لا إن ما قاله هو ترديد للألم والمهانة التى أصابته من مصطفى النحاس وأمين عثمان، ورغبة خفية فى نفسه بالانتقام منهما.

قال يوسف: لا تبالغين

وابتلعت ناهد أفكارها فى صمت ولم ترد عليه.

لقاء بين ناهد ومصطفى

دعا يوسف بعض أصدقائه إلى مأدبة طبقها الرئيسى بط الصيد، وكانوا ستة: أربعة منهم من صغار ضباط الجيش والخامس ضابط مطافىء والسادس من صغار الموظفين. وكانت أعمارهم تتراوح بين الخامسة والعشرين والثلاثين.

ولما اكتمل شملهم جلسوا في حجرة الصالون يحتسون الويسكي ويدخنون حتى امتلأت الحجرة بسحب من الدخان اضطرت ناهد إلى فتح النوافذ. ولم تكن ناهد تضيق بالدخان لأنها كانت شرهة إلى التدخين، لكنها خافت أن يؤثر الدخان على الستائر الجديدة البيضاء المشغولة بالدانتيلا. وقد اشترت هذه الستائر في البيت المتواضع الذى تعيش فيه بمشقة، لأن مرتب زوجها كان ضئيلا.

أخذت ناهد تتطلع بعينيها السوداوين إلى وجوه المدعوين. واسترعى انتباهها أحد الضباط. كان وسيما طويلا جرئ النظرة، شاربه مقصوص بعناية، يرتشف الويسكي بشراهة ثم يتوجه إثر فراغ الكأس إلى البار الصغير ليملأه مرة أخرى. لم يكن قد سبق له دخول منزلها، فقد كانت أول مرة يزور هذا البيت وعلى رغم ذلك كان مصطفى وهذا هو اسمه الأول لا يشعر بأية كلفة وكأنه صديق قديم. ورأته يحدق فيها ويطيل التحديق ويجلس على «الفوتوى» مسترخيًا ومادًا ساقيه ويضحك لأية نكتة يسمعها أو يقولها بصوت عال.

لم تكن ناهد متعودة أن تستقبل في منزلها هذا النوع الغوغائي الذى يتكلم بلهجة الطبقات الدنيا. إنها وصيفة في القصر لا تسمع بين الجدران إلا الهمس وعابرى الأروقة يمشون على أطراف أقدامهم. وهي إذا خوطبت فبالتبجيل التركي ياهانم ويا أفندم، ولكن هاهو ذا شخص في بيتها يطرقع صوته العالي ويهز أرجاء البيت.

وبعد انتهاء العشاء وشرب القهوة في ساعة متأخرة من الليل، قام المدعون وسلموا على ربة البيت باحترام، إلا الضابط مصطفى الذى شد على يدها بقوة وكأنه يصافح رجلا قائلا: أشكرك على المأدبة الحافلة يا ست ناهد..!

وخرجوا وهي تسمع خلف الباب صوت مصطفى وهو يصيح ضاحكًا في انتظار المصعد. وصعد الدم إلى رأسها من الغضب. خشية مما يقوله الجيران عن عربدة ضيوفها في ساعة متأخرة من الليل.

ودخلت مع زوجها غرفة النوم متجهمة، فسألها ما بها.

صاحت في وجهه: حتى أصدقاؤك لا تعرف كيف تحسن اختيارهم.

قال يوسف: هل تعنين مصطفى؟

قالت ناهد: كيف تدخل منزلنا عربيدًا بمثل ذلك الخلق؟

قال يوسف: إنه ليس صديقي ولكن اصطحبه صديقي فهمي.

قالت ناهد: غريبة أن يصاحب شخص على دماثة أخلاق فهمي مثل مصطفى.

رد يوسف: ليس ضروريا أن تكون مشارب الأصحاب متفقة وأمضت ناهد ليلتها بالتأكيد تفكر في هذه الشخصية الغريبة التي اسمها مصطفى كمال صدقي.

تحقيق ملكي

ذهب يوسف إلى مكتبه في القصر في اليوم الثاني، وكان في انتظاره بعض ذوي الحاجات يرجون وساطة لقضاء مصالحهم. إنه قبل حادث القصاصين كان طبيبًا مغمورًا التحق بالبحرية لأنه فتح عيادة في القاهرة لم يكن يرتادها إلا الفقراء ممن يرجونه خفض أتعابه إلى الربع وكان طبيب القلب لا يساوم بل كان يدفع من جيبه أحيانًا ثمن الدواء.

وقام يوسف فعلا باتصالات تليفونية للتوسط لزواره.

ونظرا لما يعرفه المسئولون عن حظوته لدى الملك كان رجاؤه منهم دائما محل اعتبار كبير.

مرت ساعة ودق جرس تليفونه. وكان المتحدث مكتب الملك يدعوه لمقابلته. فاستأذن زواره وذهب إلى مكتب الملك، حيث أدخل عليه فورًا. وتلقاه فاروق بابتسامة عريضة، لكنه تركه واقفًا أمامه.

قال فاروق: ها يا يوسف. كيف حال ناهد؟

أجاب يوسف: بخير يامولانا.

قال الملك: وماذا فعلتم بالبط؟

قال يوسف: أقمنا وليمة لبعض الأصدقاء.

سأل الملك: هل أستطيع أن أعرف من هم؟

قال يوسف: إنهم أربعة ضباط في الجيش وضابط مطافيء وموظف يامولاي.

سأل الملك: أربعة ضباط. هل هم من رتب كبيرة أو صغيرة؟

قال يوسف: اثنان برتبة يوزباشي واثنان برتبة ملازم أول، وضابط المطافيء برتبة ملازم.

سأل الملك: هل تعرفهم منذ زمن؟

أجاب يوسف: ثلاثة من أيام الدراسة الثانوية. أما الرابع فلم أعرفه إلا الأمس.

قال الملك: وكيف كانت الوليمة؟

أجاب يوسف: بصراحة لقد انتهت يامولاي بغضب ناهد مني.

وروى يوسف للملك ماحدث من عربدة مصطفى.

أغرق الملك في الضحك لكنه فاجأ يوسف بقوله: تعرف أنا يعجبني هذا النوع من الناس. إن مصطفى هذا شخص خفيف الظل وأنا أكره الثقلاء. أدعه إلى منزلك، وقل لناهد هذه رغبتي.

ثم سكت قليلا وقال: على فكرة وطد علاقتك بهؤلاء الأصدقاء وأعطني بيانًا كاملا بأسمائهم ورتبهم في الجيش والحكومة، ثم تمتم بعبارة خافية: لعلي أكون يومًا ما بحاجة إليهم.

حشيش في منزل ناهد!

أقام يوسف مأدبة عشاء للأصدقاء أنفسهم الستة: مصطفى وخالد وفهمي وحسن وإبراهيم وتوفيق. وانتهى تناول الطعام وجلسوا في الصالون يحتسون القهوة ويدخنون وفجأة أخرج مصطفى علبة من معدن أبيض فتحها وكان فيها دخان وورق للف السجائر. بدأت ناهد تراقبه وهو يضع الدخان في اللفافة. وزادت دهشتها عندما رأته يخرج من جيبه صرة صغيرة من القماش ويخرج منها حبة بنية غامقة فركها ونثرها على الدخان، وأخذ يلف الورقة ببطء، ثم بلها بطرف لسانه وألصقها وأشعل السيجارة وألقى بعود الثقاب على البساط، ثم اجتذب نفسا طويلا لم يخرجه وهو مغمض العينين، وانبعثت مع الدخان رائحة عطرية.

قلبت ناهد نظرتها بين زوجها ومصطفى. وسمعت فهمي يقول لمصطفى: باين عليك الليلة دي معمر يا ابن.. عمر لي واحدة معاك!

وقال خالد وفهمي وحسن: واحنا كمان معاك..

قال مصطفى صائحا وهو ينظر إلى يوسف رشاد: وانت كمان يا يوسف.

ولكن يوسف هز رأسه معتذرا..

ولدهشة ناهد رأته يقول لها.. وانتي ياست..!

تدخل زوجها على الفور قائلا: لا يا مصطفى ناهد مش بتاعة الحاجات دي.

قال مصطفى بطبيعته الغريبة: والله لو خدت نفس واحد ياست حاتنسي الدنيا واللي فيها.

ونظر مصطفى إلى يوسف زوجها قائلا: أصل ده ماركة فاروق، أحسن صنف حشيش في السوق كله، أنا بادفع نصف مرتبي علشان اشتري أوقية!

احمر وجه ناهد ونظرت إلى زوجها ولكن نظرة منه أفهمتها أن عليها أن تضبط أعصابها.

أخذ الآخرون بعد أن دخنوا الحشيش يصيحون كما يصيح مصطفى ويضحكون ضحكات بلهاء.

وفكرت ناهد فى أمرهم، وانتهى تفكيرها إلى أن عربدة مصطفى عربدة غير متكلفة، بينما دماثة الآخرين ورقة حاشيتهم طلاء ينحسر لهبة بسيطة.

سأكلفهم بمهمة خطيرة

أصبح يوسف يلازم منزله دائمًا. وإذا خرج إلى مكان فعليه أن يترك نمرة تليفون المكان الذى يتوجه إليه أو العنوان. وكانت هذه أوامر الملك. وفى عصر يوم كان فى منزله عندما تلقى مكالمة تليفونية للتوجه إلى القصر وبصحبته زوجته ناهد. فركبا السيارة ووصلا إلى مكتب الملك الذى قام إلى وسط الغرفة وأخذ بيد ناهد قائلا: أراك تزدادين جمالا. احمر وجهها، شكرته بصوت خافت ثم أشار إليها بالجلوس وسأل يوسف: ها يا يوسف ماذا يقول الناس عنى؟

قال يوسف: يقولون كل الخير.

رفع الملك يده معترضا وهو يقول: بل كل شىء إلا.. الخير.. على كل حال تعودت ذلك وأصبح لايهمنى أمرهم. لقد طلبتكما للتحدث عن أصدقائكما، لأنى كنت طلبت إجراء تحريات عنهم أسفرت عن أنه لاغبار على خمسة منهم. أما مصطفى فقد تبين أنه يعتنق المذهب التروتسكى الذى يرى أن ستالين يخون المذهب الشيوعى، وأنه عضو بارز فى جماعة التروتسكيين فى مصر. وهو يشرب الخمر بشراهة ويدمن تعاطى الحشيش.

رد يوسف بأنه لايعلم عن مصطفى اعتناق المبدأ التروتسكى، لكنه يعلم أنه يتعاطى الحشيش من المأدبة التى أقامها أخيرا. وقصّ على الملك قصة لف سجائر الحشيش.

فضحك الملك قائلا:

إذن فلقد أصبح منزلكم غرزة حشيش.

واستمر قائلا: وعلى كل حال فالتقرير المقدم يقول: إنه لا يحضر بانتظام اجتماعات لجنة التروتسكيين، وإنه يعتبر فى نظرهم هاويًا أكثر منه ممارسًا، وإنه يحلم بالشهرة، وتدور فى رأسه خيالات بطولة وزعامة، يمد الحشيش حبالها وآفاقها. وإنه يحب أن يلبس بدلة جميلة التفصيل، ويحب الطعام الجيد والخمر المعتق والنساء.

وهنا صوب الملك نظرة نحو ناهد التى أحمر وجهها، ولم تفت النظرة ومعناها يوسف. وقال:

إنه لو توفر له المال لنسي تروتسكي. وفوق ذلك فهو ضابط في أحد الألوية المرابطة في الصحراء، ويطيب له الانتقال إلى القاهرة. أما الضباط الثلاثة الآخرون فواحد يريد أن يلتحق بالمخابرات العسكرية، وآخر بسلاح الفرسان والثالث يريد الالتحاق بالحرس الملكي. وضابط المطافيء يريد رتبة ملازم أول. والموظف يريد الترقية إلى الدرجة الخامسة. إنك ترى يابوسف أن لهم أطماعًا. وسكت فاروق قليلا ثم قال كأنه أستاذ خبير: وصاحب الأطماع تسهل مساومته. هل تدركين يا ناهد ما أريده؟ إنني أعلم أنك ذكية؟

تذكرت ناهد مبلغ غضبه للإهانة التي لحقته يوم ٤ فبراير ودار في خاطرها هل ترى أنه يريد منا أن نطلب من هؤلاء الضباط عملا ضد من أهانوه؟ ولكي تعبر عن هذا الخاطر سألته ببراعة:

- مولاي! هل تطلب تكليفهم عملا خطيرًا.

قال الملك: نعم وخطير جدًا.

قالت ناهد: إلى أي حد؟

قال الملك: إلى أبعد الحدود. إلى حد القتل. سأصارحكما مباشرة وبلا لف أو دوران. أريد قتل النحاس وأمين عثمان انتقامًا من الإهانة التي لحقت بي. وكنت أود قتل السفير البريطاني مايلز لامبسون. ولكن كل الأصابع ستشير نحوي بأنني المحرض على قتله. ولن أنجو من الخلع عن عرشي. أما النحاس وأمين عثمان فكل ما سيفعله الإنجليز أن تقوم جريدة التايمز برثائهما وتعداد مزاياهما.

ولكن سأصبر على النحاس حتى أتمكن من إقالته هو وأمين عثمان من منصبيهما ليصبحا مقصوصي الجناح يسهل اصطيادهما. ولن تكون أداة التحقيق نشيطة في البحث عن الفاعل كما لو كان على رأس الحكومة.

قالت ناهد: ولكنني لا أرى يا مولاي إنهم يصلحون للقيام بهذه المهمة الخطيرة.

قال الملك: لماذا لا يصلحون؟

قالت ناهد: لأنهم يتعاطون الحشيش.

قال الملك: بالعكس إن المخدر يسلب العقل تقدير مغبة المخاطرة، ويسلب المرء التمييز بين الخير والشر. ألم تسمعي قصة الصَّبَّاح الذي ألف طائفة الحشاشين أو الإسماعيلية في دمشق، وكان إذا أراد قتل أحد خصومه خدر رجلا وأرسله إليه؟ اسمع يا يوسف. أمامك وقت

لتشكيل أصدقائك في جماعة. فتول هذه العملية ولك مني شيك على بياض باعطائهم أي شيء يرغبون فيه.

□□□

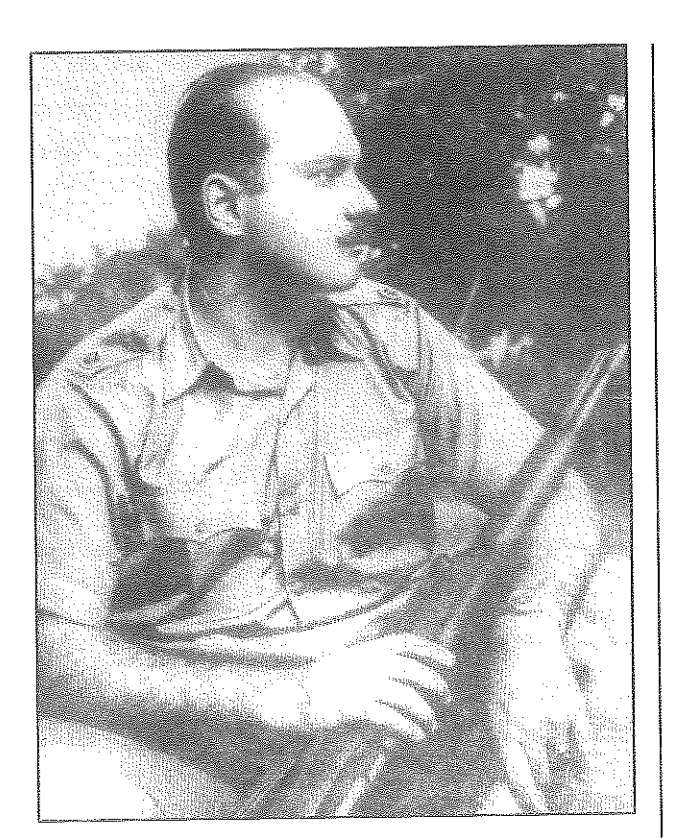
انصرف الزوجان وهما يشعران بثقل المهمة التي يلقيها الملك على عاتقهما وخطورتها البالغة.

إن ناهد نشأت في بيت بسيط يسوده الحب والحنان. كان أبوها استاذًا جامعيًا لطيف المعشر، وأمها وصيفة في القصر لا تفارق الابتسامة والكلمة الحلوة شفتيها ويوسف كان مغمورا بحب والده الذي لم يكن يعنفه على سقوطه في الامتحان ومغامراته النسائية. وصبر عليه حتى نال شهادة الطب بعد أن تعدى الثلاثين من عمره. فأي قدر يريد أن يرميهما في هذه المصيبة؟ ولكن الملك يريد ذلك فإذا لم يطيعا أمره فسيعود يوسف الطبيب المغمور وينتقل من مكتب القصر إلى عيادة في أحد الأحياء الفقيرة في القاهرة. وناهد لن تحضر إليها سيارة القصر. ولن تلبس البشمك الأبيض الذي تتميز به بأنها من سيدات القصر.

هذه الخواطر وغيرها تبادلاها حين عادا إلى البيت ووجد يوسف لنفسه مخرجا لقبول عرض الملك فقال لناهد: لو رفضنا طلب الملك لتشكيل الجماعة فإنه يستطيع قتلنا حتى لا نفضح سره. وسلمت ناهد بهذا الرأي.

لا إيمانا منها بما قاله زوجها ولكن لأن حبها لحياة القصر كانت أكثر كثيرا من حبها لحياتها بعيدا عن الأضواء.

□□□



١ - فاروق في ملابس الصيد الذى يهواه .



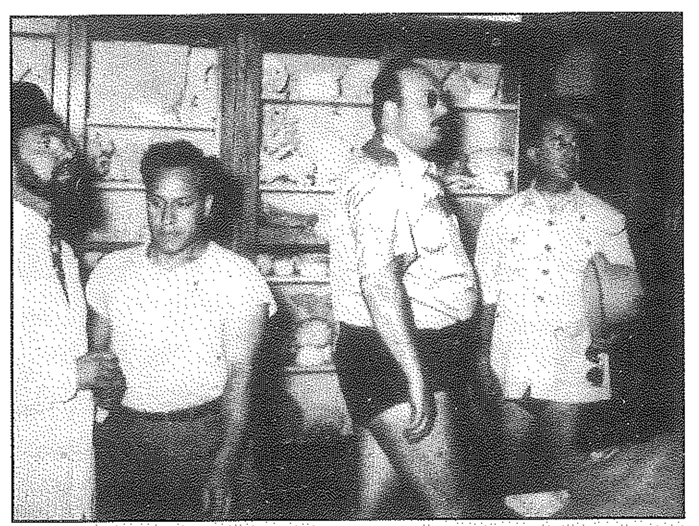
٢ - أمين عثمان ، كان قتله أمنية من أمنيات فاروق.



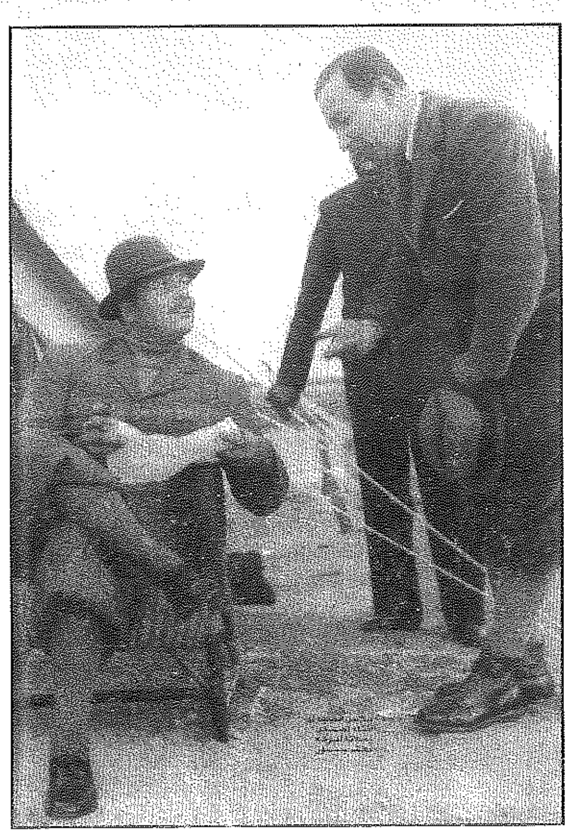
٣ - دكتور يوسف رشاد في ١٩٥٤ بعد عشر سنوات كاملة من أول لقاء له مع فاروق في القصاصين وانضمامه إلى حاشيته .



٤ - السيدة ناهد رشاد ، أصل شركسي ، وجمال استحوذ إعجاب فاروق .



٥ – فـى نادى الصيد مع بوللى الـذى تركه فى مصر حين غادرهـا وكان يبكيه دون دموع .



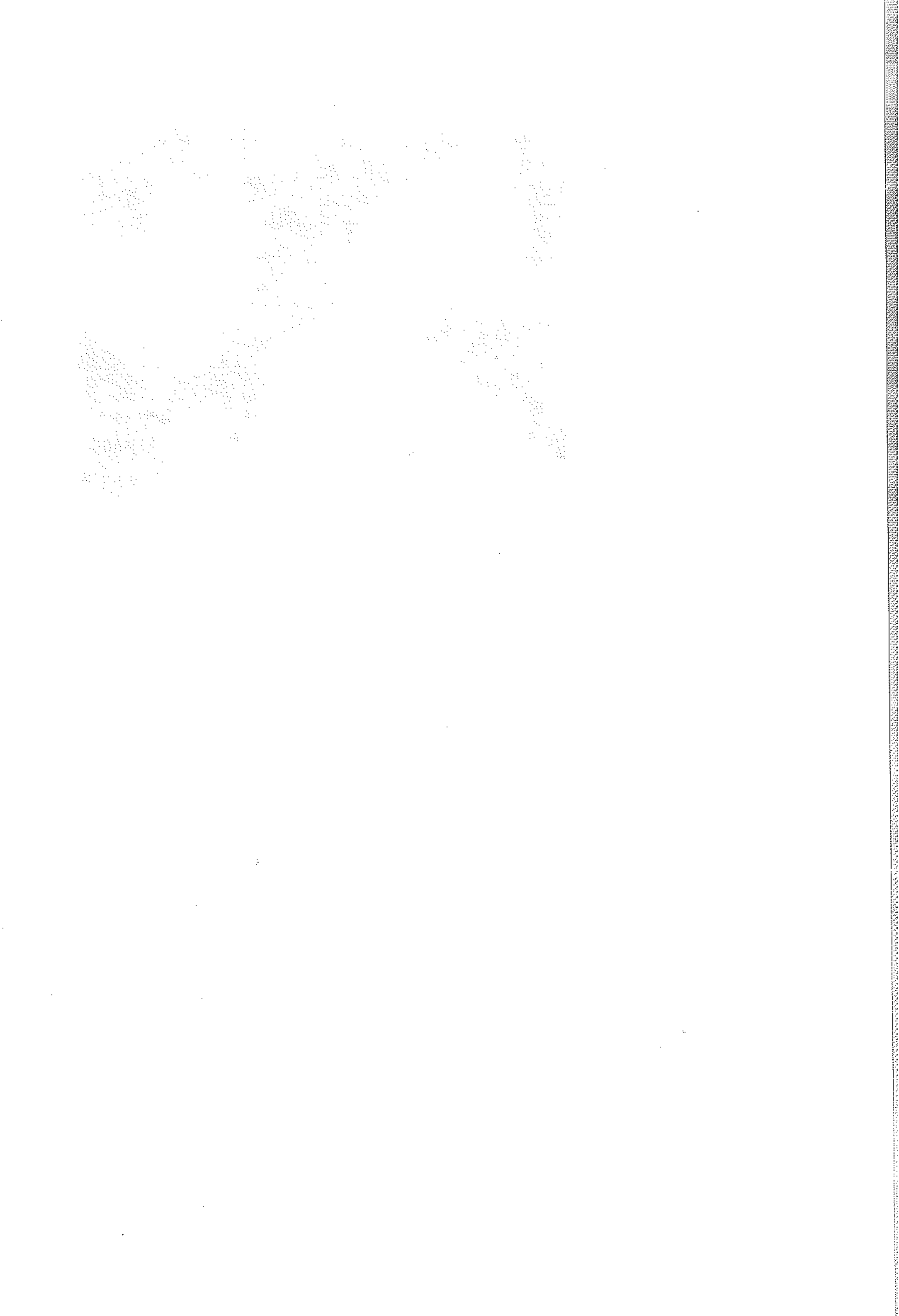
٦ – بملابـس الصيـد أثناء إحدى رحلاته لبركة دهشور .

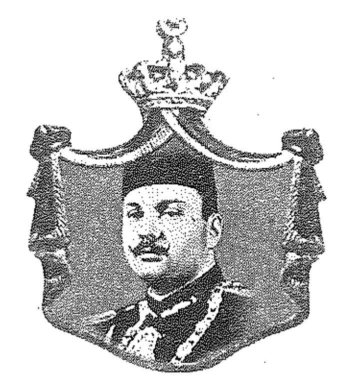


٧ – الجميلة ناهد رشاد علـى المائدة الملكيـة ، وقد جلس عـن يسـارها بوللي وعن يمينها كريم ثابت ..



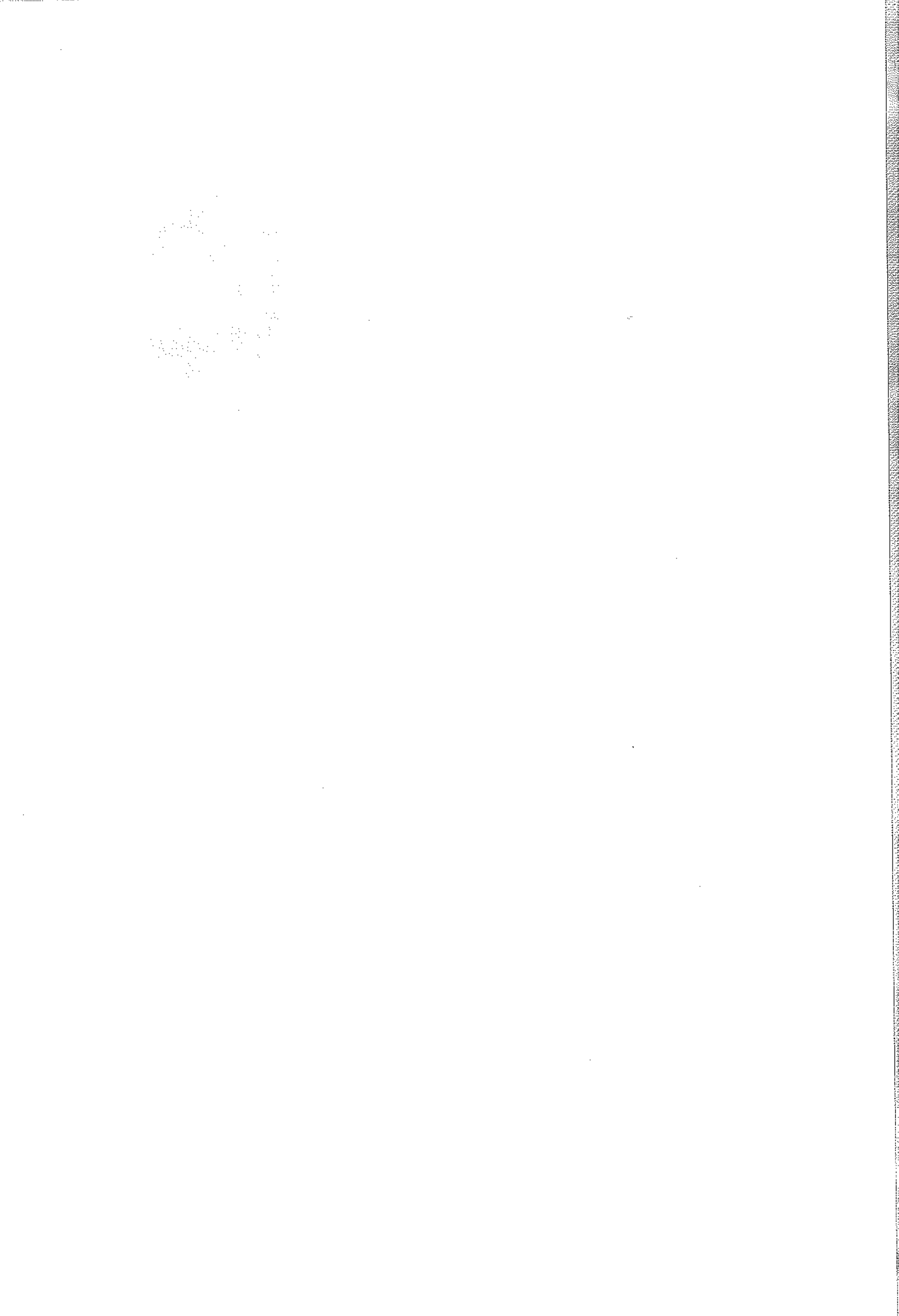
٨ – خلاف بين النحاس وسراج الدين حول التطهير بعـد عودتهمـا مـن أوربا والاسـتقبال الفاتـر فـي القيادة .





رسالة في نصف الليل

- الحرس الحديدى نجح فى قتل أمين عثمان وفشل فى اغتيال النحاس .
- مؤامرة انجليزية بارعة لتخلى فاروق عن السودان .
- لماذا أحرق فاروق مخازن السلاح بالقلعة ؟



كان لقاء الملك فاروق بالدكتور يوسف رشاد في حادث القصاصين خطوة لها ما بعدها. فقد أصبح يوسف رشاد منذ هذا اليوم في نوفمبر عام ١٩٤٣ شريكا دائما في الحاشية التي تحيط بفاروق في تنقلاته. وكذلك تم تعيين السيدة ناهد رشاد زوجته وصيفة في قصر عابدين للأميرة فايزة.

وقد كان ليوسف رشاد الدور الأكبر في تشكيل ما اشتهر باسم الحرس الحديدي وهو اسم اختاره فاروق لنفسه من بعض الضباط الذين كان ريد منهم أن ينفذوا رغباته في قتل من يريد قتلهم من الذين يحمل لهم كراهية شديدة. وكان على رأس هؤلاء الذين كرههم فاروق مصطفى النحاس لأنه ساعد على اهانته أمام الإنجليز وجعله يتوسل إليهم لإبقائه على العرش يوم ٤ فبراير ٤٢، وأمين عثمان الذي كان يمثل جسر العلاقات الإنجليزية مع الوفد وذهب البعض إلى حد اعتباره انجليزيا أكثر منه مصريا.

كان يوسف رشاد قد أبلغ الملك بمجموعة الأصدقاء الذين بدأ يدعوهم في بيته وعلى رأسهم مصطفى كمال صدقي، وخالد وفهمي وحسن وإبراهيم وتوفيق. وقد طلب منه الملك توثيق علاقته بهم حتى يكونوا مستعدين لتنفيذ ما يطلبه منهم. وفي إحدى الليالي وبعد مأدبة عشاء لمجموعة الأصدقاء التفت يوسف إليهم يسألهم: مارأيكم في حادث ٤ فبراير؟. وبحماسة شديدة قال مصطفى كمال صدقي: آخر ندالة من الإنجليز.

قال يوسف: وطيب وأيه رأيك في النحاس وأمين عثمان؟

قال مصطفى بنفس انفعاله: خونة.

قال يوسف: طيب وإيه جزاء الخائنين؟

أجاب مصطفى: ضرب الرصاص والقتل.

قال يوسف رشاد بهدوء وهو يلتفت إلى الآخرين حتى يشتركوا في الحوار: يعني أنتم موافقين على الكلام ده؟

قالوا جميعا بصوت تبدو فيه رائحة الخمر: كل اللي يقوله مصطفى احنا موافقين عليه.

قال يوسف: يعنى انت مستعد يا مصطفى تضرب رصاص وتقتل؟

أجاب مصطفى كمال صدقى: عندك شك يا أبو حجاج؟!.. إذا كنت عاوزنى أقوم دلوقتى أنا جاهز ومستعد.

قال يوسف رشاد وقد أطمأن إلى سيطرته عليهم: لأ.. خلى ده للوقت المناسب.. المهم أننا نكون جاهزين نحلف ومستعدين ننتقم لإهانة الوطن فى ٤ فبراير.

قالوا جميعا: تمام كل اللى بتقوله مضبوط.

وبعد أسبوع من هذه الليلة تم نقل مصطفى إلى سلاح الفرسان وفهمى إلى الحرس الملكى، وخالد إلى المخابرات الحربية، ورقى إبراهيم إلى رتبة ملازم أول، وتوفيق إلى الدرجة الخامسة، واختار لهم فاروق اسم الحرس الحديدى.

اغتيال عثمان وإقالة النحاس

دفع الملك إلى يوسف رشاد مبلغا كبيرا من المال لشراء ثلاث سيارات مستعملة ولكن فى حالة جيدة، وقد اشتريت باسماء مستعارة، وأعدت لها نمر مزيفة. كما تم شراء عدة بنادق رشاشة وقنابل يدوية وديناميت.

وكانت أول مهمة قامت بها المجموعة اغتيال أمين عثمان وقد نجحوا فيها. فقد تربص له توفيق وحسن حين توجه إلى مكتبه الخاص وانتظروا خروجه.

كان توفيق يريد قتله فى المصعد وأن يغطى حسن هروبه، ولكن أمين عثمان نزل من السلم فجرى وراءه وأطلق عليه الرصاص؛ وحاول الفرار ولكن قبض عليه.

وجاء الأمر باغتيال مصطفى النحاس وكان فاروق قد تربص به واستثمر الآثار الاقتصادية التى انعكست فى صورة غلاء ووجه إليه خطابا عنيفا أقاله فيه يوم ٨ أكتوبر ١٩٤٤. وكان الإنجليز قد ضمنوا الانتصار فى الحرب فلم يعد يهمهم الإبقاء على النحاس.

كانت هذه ثالث إقالة للنحاس باشا، وفى تاريخ الوفد فقد رأس النحاس قبل ثورة يوليو ٥٢ خمس وزارات انتهت جميعا بالإقالة.

وكان نص خطاب الإقالة الذى وجهه فاروق إلى النحاس يوم ٨ أكتوبر ١٩٤٤ والذى يعكس ويعبر عن روح الكراهية التى يكنها فاروق للنحاس ما يلى:

عزيزى مصطفى النحاس باشا

لما كنت حريصا على أن تحكم بلادى وزارة ديمقراطية تعمل للوطن وتطبق أحكام الدستور نصا وروحا، وتسوى بين المصريين جميعا فى الحقوق والواجبات وتقوم بتوفير الغذاء والكساء

لطبقات الشعب. فقد رأينا أن نقيلكم من منصبكم وأصدرنا أمرنا هذا لمقامكم الرفيع شاكرين لكم ولحضرات الوزراء زملائكم ما أمكنكم أداؤه من الخدمات أثناء قيامكم بمهمتكم.

وفشلت محاولتان لاغتيال النحاس

لم يرض فاروق اغتيال النحاس باشا سياسيا فأراد اغتياله ماديا وأعطى الإشارة لمجموعة الحرس الحديدى بتنفيذ المهمة.

تربص مصطفى كمال صدقي وفهمي وإبراهيم لمصطفى النحاس وكانوا قد علموا أنه سيذهب إلى مأتم أحد أصدقائه. وخرج النحاس من داره وأمامه حارسان فأطلقوا عليه مدفعا رشاشا.

لم يصب النحاس.. فقد جرح الحارسان جروحا بالغة أما النحاس فلم يصب بخدش؛ ولكن عندما أطلق عليه مصطفى وفهمى وابراهيم الرصاص فإنهم هربوا دون أن يعرفوا نتيجة ما فعلوه.

لقد ذهب كل منهم إلى منزله، فيما عدا فهمي الذى ذهب إلى منزل يوسف رشاد.

ظل الاثنان يقطعان غرف المنزل ذهابا وايابا وهما فى حالة قلق، لم يستطيعا الجلوس أو تبادل كلمة واحدة.

وكان الملك جالسا في غرفة مكتبه لم يغادره كعادته يوميا إلى نادى السيارات يدخن سيجاره الذى كان قد أدمنه وينفخ الدخان بعصبية بالغة.

وفى الساعة العاشرة مساء دق التليفون فى منزل يوسف رشاد، وكانت ناهد أسبق الجميع لالتقاط السماعة، وحين سمعها مصطفى كمال صدقي الذى كان يتحدث قال لها على الفور: مبروك يا مدام.. انتهى أمر الخائن!..

قالت ناهد: أنت متأكد؟

أجاب مصطفى: أنا رأيته يسقط أمام عيني دون أن يقول كلمة واحدة.

قالت ناهد: متشكرة قوى.. وصاحبنا سيقدر لكم ذلك.. والمكافأة ستكون كبيرة.

وبسرعة أدارت ناهد رقم تليفون الملك الخاص وعندما سمعت صوته صاحت: مبروك يا مولاى.. انتهى كل شئ وحققنا لك رغبتك.

ولكن فاروق كان قد علم أن النحاس قد نجا فصرخ فى وجهها: لعنة الله عليك وعلى أصحابك.. هم كانوا حاشيين الرشاشات إيه؟! شكولاته.. النحاس حى ومافيش خدش أصابه!

وصرخت ناهد من المفاجأة ووقعت السماعة من يدها!

وعاد الحرس الحديدى مرة أخرى إلى النحاس باشا. ذهبوا فى سيارة مملوءة بالديناميت، وأوقفوها أمام منزله وتركوها، وركبوا سيارة أخرى، وبعد ربع ساعة انفجرت فى السيارة قنبلة موقوتة وتطايرت الشظايا، وحطمت سور منزله ودخلت شظية غرفة نومه، ولكن النحاس لم يصب بأذى.

وقال أهل مصر: إن النحاس باشا من أولياء الله.

وبعد هاتين الحادثتين ضعفت ثقة الملك فى الحرس الحديدى الذى كونه يوسف وناهد. وفكر فى أن ينشىء بنفسه حرسا حديديا آخر. واستدعى أحد رجال حاشيته ممن يثق بأنه على صلة بمهربى الحشيش، وطلب منه البحث عن جماعة تقوم باصطياد الرءوس، فطلب رجل الحاشية إمهاله بعض الوقت، وبعد بضعة أيام عاد إلى الملك قائلا:

مولاى وجدت لك قاتل قتلة.

ضحك الملك وقال: من هو؟

قال: إنه ضابط كبير فى البوليس كان يقتل المجرمين من دون أن يقبض عليهم، وحتى لمجرد الشبهة كان يقتلهم وبذلك قطع دابر الإجرام فى المقاطعة التى كان يتولى فيها رئاسة الشرطة.

قال الملك: ولكن النحاس وغيره من خصومى من رجال السياسة ليسوا من طبقة أولئك المجرمين.

قال رجل الحاشية مبتسما: إنى واثق يا مولاى من إقناعه بأنهم مجرمون وخصوصا إذا عرف أنك تريد ذلك.

مفاجأة مزعجة

كان يحضر إلى مكتبى فى وزارة الداخلية فى أثناء توليى منصب مدير الأمن العام، السكرتير الأول للسفارة البريطانية المستر لانسديل لمراجعة مسائل الإقامة والجوازات للرعايا البريطانيين أو لإجراء تسهيلات لسفنهم الحربية، وكان شابا مرحا طروبا لا يحمل الطابع الفكتورى المحافظ. ولكن الشك كان يراودنى فى أنه يحمل خلف مظهره المَرِح مهمة رجل المخابرات متسترًا بعدم المبالاة وبسذاجة محببة لا ترقى إلى مرتبة الغباوة أو البله ليعرف حقيقة ما يدور فى الدوائر الحكومية والأوساط الاجتماعية، وكان له أصدقاء كثيرون يدعونه إلى بيوتهم ويدعوهم بدوره وينفق عن سعة، لأنه كان من أسرة غنية وكان وثيق الصلة بكثير من رجال القصر.

وفى ليلة من ليالى عام ١٩٤٨ عدت إلى منزلى وكنت متعبا، فخلعت ملابسى واستلقيت على فراشي واستسلمت إلى سبات عميق، ولم أدر كم ساعة مرت حين أخذت أصحو ببطء على رنين التليفون. ومددت يدى فى الظلام أتلمس المصباح الكهربائى حتى عثرت على زر المصباح وأضأته ورددت على التليفون، وإذا بصوت يقول بالإنجليزية: هل أنت نائم؟

قلت : لعنة الله عليك؛ أتوقظنى لتسألنى إذا كنت نائما.

فضحك المتكلم وقال: هل تعرف من أنا؟!

قلت: كل ما أعرفه أنك سخيف..

فزاد ضحكة وقال: أنا لانسديل. وإنى آسف على إزعاجك فى هذه الساعة.

وعندئذ تطلعت إلى الساعة فوجدتها الواحدة صباحا. قلت: وماذا تريد؟

قال: إنى أكلمك فى هذه الساعة المتأخرة لأمر هام.

قلت: أما استطعت إرجاءه إلى الغد؟!

قال: لا.. إنى أرجوك أن تمكنى من مقابلتك الآن، سأحضر إلى منزلك بعد ربع ساعة.

وبعد ربع ساعة كان قد وصل إلى بيتى، ودخل وكرر الاعتذار وكان وجهه يبدو كوجه طفل ارتكب ذنبًا مع ابتسامة خجولة.

قلت: لا عليك، ولكن أرجو أن تعجل بشرح سبب هذه المفاجأة.

أخرج علبة سجائر وأشعل منها سيجارة، ثم أخرج ورقة مكتوبة على الآلة الكاتبة وقال: هذا ما دعانى إلى الحضور، أرجو أن تقرأها.

كنت لا أزال تحت تأثير النعاس أغالب التثاؤب، فأخذت افتح عينى لأقرأ الورقة، وأخذت حواجبى ترتفع دهشة وأنا أمضى فى قراءتها. وانتهيت والدهشة أخذت منى كل مأخذ إذ كان مضمونها:

«تلقى السفير البريطانى فى الساعة العاشرة مساء برقية من وزارة الخارجية البريطانية (وكان وزيرها هو المستر بيفن) فحواها أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية تتشرف بإبلاغ صاحب الجلالة ملك مصر أنها على استعداد لتقديم كل معونة تطلبها حكومة جلالته لتزويد الجيش المصرى بالمعدات الحربية التى يحتاج إليها من دبابات وسيارات مدرعة وسيارات نقل ومدافع ورشاشات وبنادق وقنابل وطائرات، وأنها فى سبيل تنفيذ ذلك ستطلب من القائد العام للقوات البريطانية أن يفتح مخازن الأسلحة فى منطقة قناة السويس للقوات المسلحة المصرية لتأخذ منها ما تحتاج إليه، وأن حكومة صاحب الجلالة البريطانية تطلب نظير ذلك

مـن صاحب الجلالة الملك فـاروق أن يتنازل عن المطالبة بضم السـودان إلى مصر، وتبعا لذلك يتنازل عن لقب ملك السودان (كان ملك مصر يلقب بملك مصر والسودان وصاحب النوبة)».

أرجوك أبلغها للملك

انتهيـت من قـراءة المذكرة وأكاد لا اصدق بصرى، وظننتنـى أحلم وذهب بى الظن إلى أن السكرتير الأول ثمل، وبينما أنا فى تفكيرى قطعه على بقوله:

أود أن أعلمك بأن هذه المذكرة شـفوية، وخاصة لجلالة الملك، وأنها بمثابة اقتراح يعرض عليه، فإن قبله وأمكن تنفيذه فإن الاقتراح سيأخذ مجراه السياسى.

رحت أفكر بسـرعة ووجدتنى أقول لسـكرتير السـفارة البريطانية: ولكن ما شأنى وأنا موظـف بدرجة مدير أمن عام بمذكرة بهذه الأهمية البالغة تحمل عواقب ذات خطورة بالغة بالنسبة إلى الموقف العسكرى السياسى؟

قال: نحن نعلم أنك عضو فى لجنة شـكلها الملك عقب حرب فلسـطين للنظر فيما يجب عملـه واتخـاذه من إجـراءات عقب هذه الحرب، وأنت تسـتطيع أن تقدمهـا إلى الملك حين تجتمع اللجنة.

قلت له: لأفترض أنك جاد فماذا تريد منى؟

قال: أريد أن تحمل هذه الرسالة إلى جلالة الملك، إنك شاب نعرف عنك أنك لاتتردد فى عمل ما تقتنع به.

قلـت: ولماذا لا يحملها السـفير – وكان قـد أصبح رونالد كامبـل – إلى رئيس الحكومة النقراشى باشا أو وزير الخارجية، وهذا هو الوضع الدبلوماسى الطبيعى!

قال: أوافقك على أن هذا هو الوضع الطبيعى، إلا أن السفير واثق من أن النقراشى سيرفض الاقتراح والعرض، لأن السـفير حاول معه من قبل أن تتخلـى الحكومة المصرية عن المطالبة بالسودان، ولكن النقراشى كان مبدؤه كمبدأ مصطفى النحاس «تقطع يدى ولا ينفصل السودان عن مصر» ولهذا رأى السفير أن توجه المذكرة إلى الملك وأن تكون شفوية وخاصة.

وقلت: وهل تظن أنى أسـتطيع إقناع الملك بالتخلى عن السودان، وهو يباهٍ دائما بأنه ملك مصر والسودان.

قال: هل تستطيع أن تتصور الفوائد التى يجنيها الملك فاروق من هذا العرض؟ إن الجيش المصرى بتمكينه من الاستيلاء على هذه الأسلحة التى لن يستطيع أن يشتريها من أى بلد آخر

فـى العالم يمكنه أن يدخل مع القوات الإسـرائيلية فى معركة حاسمة، وأن يهزمها ويصبح الملك فاروق ملك العالم العربى بأسره.

ثم ابتسـم ابتسـامة خبيثة وقال: لعل تسـليح الجيش المصرى الآن يغطى الفضيحة التى تفوح روائحها عن الأسلحة الفاسدة.

وبدا لى على الفور أنها مؤامرة انجليزية بارعة، لأن مركز الملك فاروق أصبح مفضوحًا على أثر معرفة الشـعب بما جرى من صفقات مريبة وشـراء أسلحة فاسدة للجيش بواسطة عملاء ينتسبون إلى حاشية القصر.

قلت: وما هذا الحرص البالغ من الحكومة البريطانية لإبعاد السودان عن مصر، ودفع هذا الثمن الغالى مقابل ذلك؟!

قال: إن لبريطانيا مصالح استراتيجية واقتصادية كبيرة فى السودان، ولأن غالبية السودان لاتريد الارتباط بمصر والاندماج تحت علمها.

وهنا بدا الجد على وجهه ولم أره فى حياتى يعبس جادا وقال: أرجوك بل أتوسـل إليك أن توصل هذه الرسـالة إلى الملك. إنى على يقين من أنك تسـتطيع إيصالها، ونحن نريد عليها ردا عاجلا.

قلت: إنك سـتوقعنى فى ورطة شـديدة مع رئيس الحكومة، لأنى واثق أن الملك سيبلغه مضمون الرسالة ويخبره بأنى أنا الذى نقلتها.

قـال: إن السـفير وأنا لنا أمل كبير فى أن يقتنع الملـك باقتراحات وزير الخارجية، وأن جلالته إذا اقتنع فسيفرض على رئيس الوزراء قبولها.

قلت: ألا ترى أنها من ناحيتكم مغامرة دبلوماسـية قد تؤدى فى حالة الفشـل إلى سـوء العلاقات مع الحكومة المصرية.

قال ضاحكًا: إن المستر بيفن دائما يغامر ويكسب.

أخذت أفكر وأقلب الأمر، وتذكرت أن أغلب طفولتى أمضيتها فى السودان، وكنت طالبا فى كلية غوردون ولى صلات وثيقة بكثير من إخواننا السودانيين، وقد لمست أن أهل السودان، ولو كانت تجمعهم بأهل مصر روابط الدين بل روابط قرابة ونسـب فإن الحكم المصرى الإنجليزى خلف آثارا سـيئة فى نفوسهم وهم يريدون سيادة لوطنهم والبعد عن أية سيطرة، وكان لقب مصر والسـودان لقبا خلعته الحكومة البريطانية على ملك مصر ولم تمنحه السودان. والفوائد التى تجنيها الحكومة المصرية من تسـليح جيشـها فوائد بالغة الخطر ولا تقدر بثمن بينما السيادة على السودان مسالة أقرب إلى الأمانى والأحلام.

وأستفقت من تفكيرى وقلت للسكرتير الأول:

سأقدم المذكرة غدا إلى الملك فاروق مصحوبة برأيي.

فشكرني وانصرف.

لماذا رفض النقراشي؟

وفي الغد توجهت إلى القصر وقدمت المذكرة مصحوبة برأيي بالموافقة عليها. ولكن صدق حدسي. فقد أرسل الملك فاروق المذكرة إلى النقراشي باشا الذى طلب مقابلة عاجلة من الملك فاروق. وتمكن أن يقنعه بعدم قبولها بعد أن صور له الأمر على أنه خدعة بريطانية ليتخلى عن السودان، ووقعت أزمة بين الحكومة المصرية والحكومة البريطانية لتقديم المذكرة عن غير الطريق الدبلوماسي. وجرت بين النقراشي وبيني مشادة عنيفة قدمت إليه فيها استقالتي، ولكنه لم يقبلها، وانتهى الأمر بأن انفصل السودان عن مصر فعلا وأصبح فيها بلدا تام السيادة، وإسرائيل أصبحت مسلحة من قدمها إلى رأسها وبقيت مصر بغير تسليح حتى عام ١٩٥٥.

أخذت أفكر في الأسباب التي أدت بالملك فاروق إلى رفض هذه الفرصة الغالية الى وضعت بين يديه. وانتهى بى التفكير إلى حاشية القصر الذين قاموا قبل حرب ١٩٤٨ وبعدها بعمليات واسعة لشراء الأسلحة بواسطة عملاء مشبوهين وأثروا ثراء فاحشا وذهب جزء كبير منه إلى خزينة القصر. هل قامت تلك الحاشية بإقناع الملك برفض العرض لأن سوقهم الذهبية ستبور إذا تسلح الجيش المصرى من مخازن الجيش البريطاني؟ وهل نصيحة الحاشية له لقيت قبولا منه لأنها توافق مصلحته الشخصية؟ والنقراشي لم كان رفضه القاطع؟ هل لما عرف عنه من أنه عنيد وذو كبرياء وأن الحكومة البريطانية تجاهلته وتقدمت إلى الملك؟

انفجار مخزن الذخائر فى القلعة

في أمسية حارة من صيف عام ١٩٤٩، كنت جالسا في شرفة منزلى أتناول طعام العشاء، وشرفات المنازل المحيطة بى مملوءة بالسكان الذين يستروحون النسمات الضنينة عليهم، والآذان تملؤها صيحات الأطفال المرحة وعبثم الضاحك الذى يقابله آباؤهم بنهرات حنونة أو صارخة حين يضيقون بعبثهم، وكانت السماء صافية والقمر بدرا تماما والنجوم تخفق كأنها قلوب العاشقين، وإذا بانفجار مروع يدوى هز المائدة المنصوبة أمامي بأطباقها وأكوابها. وخيم صمت رهيب سكتت فيه أصوات الأطفال، وبدأ نباح الكلاب ثم أعقبه انفجار آخر أقوى، وبدأ

الأطفـال يصيحون وهم يتطلعون إلى السـماء، إذ انبثقت أضواء قويـة لعلهم ظنوا أنها ألعاب نارية، ولكن ما لبثوا أن كفوا عن الصياح حين دوى انفجار ثالث عنيف اهتزت له الشـرفات والنوافذ، وأخذ الأطفال يبكون ويصرخون واشتد نباح الكلاب.

توجهت مسـرعا إلى التليفون، واتصلت بوزارة الداخلية فى قسـم الأمن. فقال لى الضابط المنوب: إنه سمع الانفجار ولا يعرف سـببه، فطلبت منه اسـتيضاح الأمر وإبلاغى، وعدت إلى الشـرفة أتطلع إلى السـماء وهى تضىء وتدوى من انفجار يعقبه انفجار. ثم سمعت جرس التليفون يدق، فاسـرعت إليه، وإذا بالضابط يخبرنى أن انفجارا وقع فى مخزن الذخائر فى القلعة وأن رجال الإطفاء سارعوا إلى المكان.

تركت عشائى ونزلت مسرعا وقدت سيارتى إلى القلعة. ولما وصلت إلى مركز البوليس وهو يقع فى السـفح وتقع القلعة فوقه فى الجبل، رأيت جموعا كبيرة من الناس تفر من منازلها إلى الشـوارع وهى فى حالة يأس من الذعر والهلع، وأخـذت تخف حدة الانفجارات نتيجة السرعة الفائقة التى انتقل فيها رجال المطافىء. وروح المخاطرة والبسالة التى أبدوها فى عزل بعض مخازن الذخيرة التى وقع فيها الانفجار. وقد أصيب بعضهم بجروح بالغة.

ولما أصبح مؤكدا أن رجال الإطفاء سيطروا على الموقف. انتقلت أنا وكبار رجال الشرطة إلى مـكان الانفجار، وأخبرت أنه تبقى مخزن للقنابل كان يحوى كمية ضخمة جدا منها، لو أن النيران اتصلت به لوقعت كارثة محققة وبدأ التحقيق. ولكن لم نجد أحدًا نحقق معه.

أين ضابط المستودع؟ أين حراس المستودع؟ لم نر أحدا منهم، ظننا أنهم قتلوا. ولكن حجرة الحراسة قرب باب المستودع لم تتهدم، وإنما تحطمت أبوابها ونوافذها، وعند باب المستودع الكبير لم نشاهد جثة الحارس.

وفى فترة تعجبنا هذا، رأيت ضابطًا يحاول دخول الباب، فأوقفه رجال الشرطة، وسأله أحدهم عن هويته. فقال أنه قائد المستودع.

قال له ضابط الشرطة: وأين كنت وقت الانفجار؟

قال قائد المستودع: كنت فى منزلى.

سأل ضابط الشرطة: ومن تركت بدلا منك؟

قال قائد المستودع: تركت ضابطًا برتبة ملازم.

- وما اسم ذلك الضابط؟

- اسمه الملازم عبد الصبور.

- وأين هذا الملازم؟

- ربما يكون داخل المستودع.
- وكم عدد أفراد القوة التى تقوم على حراسة المستودع؟
- إنهم خمسون بين ضابط وجندى.
- وأين هم؟
- لابد إنهم داخل المستودع.

وبما أننا لم نر أحدا منهم بدأنا نخشى أن يكونوا قد ماتوا أو جرحوا. فأرسلنا رجال المطافئ تفتش عليهم. وعادوا وقالوا إنهم لم يجدوا أحدا.

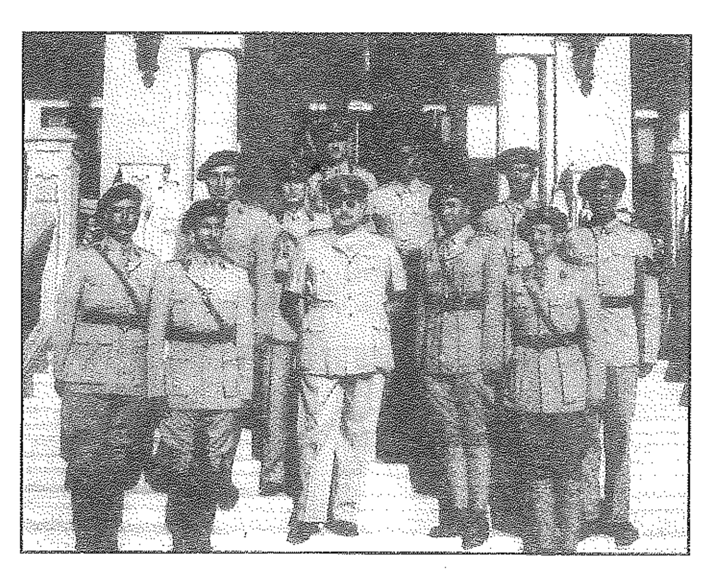
مرت على ذلك نصف ساعة وجاء ضابط برتبة ملازم يحاول الدخول فاستوقف وسئل عن اسمه. فقال أنه الملازم عبدالصبور. وسئل عبدالصبور:

- أين كنت؟
- ذهبت إلى منزلى لأنه قيل لى إن والدى مريض، ثم أخذ الجنود يتوافدون علينا. حتى بلغ عددهم خمسين جنديًا وأخذت الدهشة البالغة تستولى علينا. كيف ترك القائد والملازم والجنود المستودع جميعا قبل الانفجار. ولماذا تركوا المكان؟!

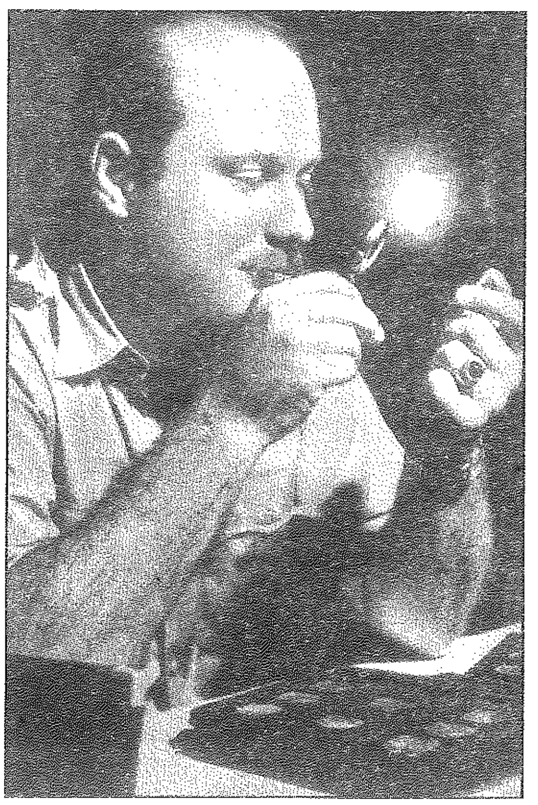
وحضر رئيس نيابة القاهرة ومعه وكيلان لبدء التحقيق. ولكن قائد المعسكر رفض أن يواجه بالتحقيق. وأمر جنوده بأن يتبعوه فى ذلك محتجًا بأن التحقيق معه يجب أن يجرى بواسطة سلطات الجيش. وبدأنا نحن تحرياتنا الخاصة. وتبين أن الانفجار دبر بوضع قنبلة زمنية داخل المستودع دست بين المواد المتفجرة، وأن الحراس تركوا المعسكر فى وقت يكفى أن يكونوا فيه فى أمان من التعرض لخطر الانفجار. ولم يبق مجال للشك فى أن القصر هو الذى دبر الانفجار هادفًا إلى محو آثار فضيحة الأسلحة الفاسدة التى كانت مثار تحقيق السلطات القضائية.

وقد قيل فعلا لهذه السلطات بعد الانفجار: إن الأسلحة التى تريدون التحقيق بشأنها قد دمرت عن آخرها، وذهبت هباء، وبذلك ضاعت معالم الجريمة.. وغطى الحادث بستار رهيب، وتوصل القصر إلى تحقيق مآربه فأقفلت النيابة باب التحقيق. ودفنت قضية الأسلحة الفاسدة فى قبر عميق. ولو أن روائح الجثة العفنة ظلت تفوح زمنًا طويلاً.

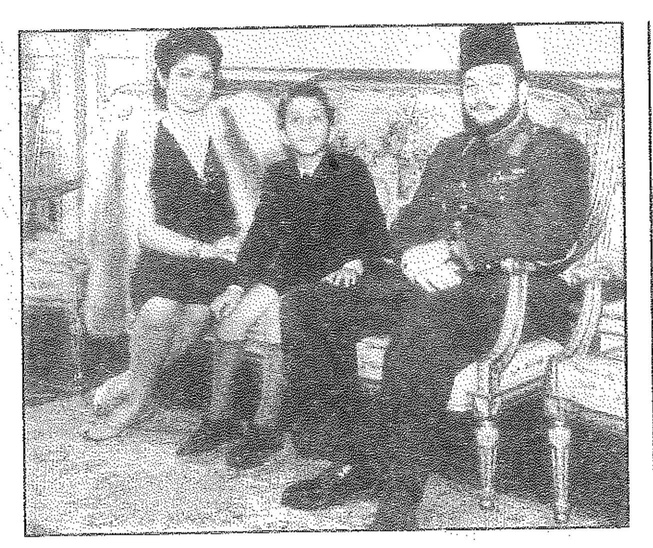
ولكن فى هذه المناسبة يجب علىَّ أن أوضح أن الأسلحة الفاسدة لم تكن بالكثرة التى كتب عنها. وأنه بولغ كثيرا بشأنها وقامت ضجة كبرى لم تكن بحجم الفضيحة. ولكن القصر خشى العواقب ونقمة الرأى العام. فلجأ إلى تلك الوسيلة من التغطية مما زاد فى البلبلة والاتهام.



١ - الملك فاروق مع ضباط الجيش .



٢ - كان يمتلك مجموعة نادرة من أندر العملات المعدنية في العالم ، وفي الصورة يفحص أحد القطع بالعدسة المكبرة .



٣ - فيصل الثانى ملك العراق ، الذى كان يتلقى تعليمه في مصر بصحبة فاروق وفريدة .



٤ - ترى ما سر هذه الضحكة الجماعية بين الملك والنقراشى ، والدسوقى أباظة .



٥ - فاروق بصحبة البيجوم والحاشية الملكية أثناء زيارته لودفيل عام ١٩٥٠ من اليسار: إلهامى حسين ، البيجوم ، الملك ، مدام كجيل ، كريم ثابت .




٦ - فاروق مع أعضاء الصليب الأحمر الأمريكي .



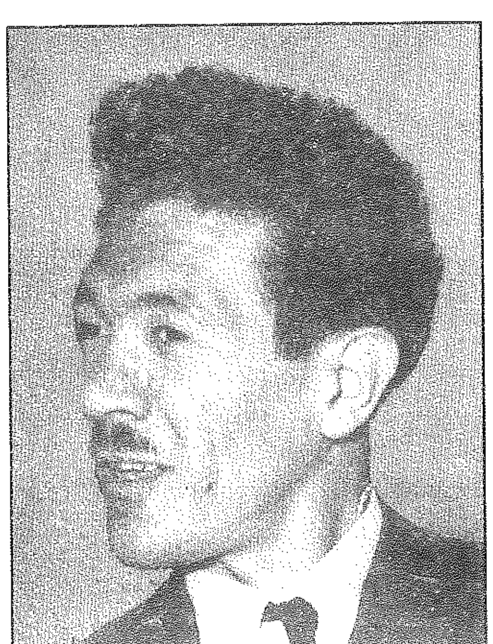
٧ - النحاس باشا ، وابراهيم عبد الهادى .



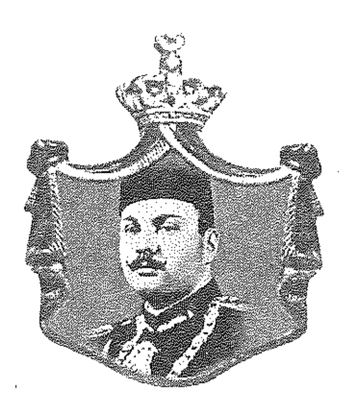
٨ - أمين عثمان اغتيل في أول مهمة أسندها الملك إلى حرسه الحديدى الذى شكله يوسف رشاد .



٩ – النقراشي باشا أثناء اعتقاله في ثكنات قصر النيل البريطانية لقيامه بأعمال فدائية ضد الاحتلال .

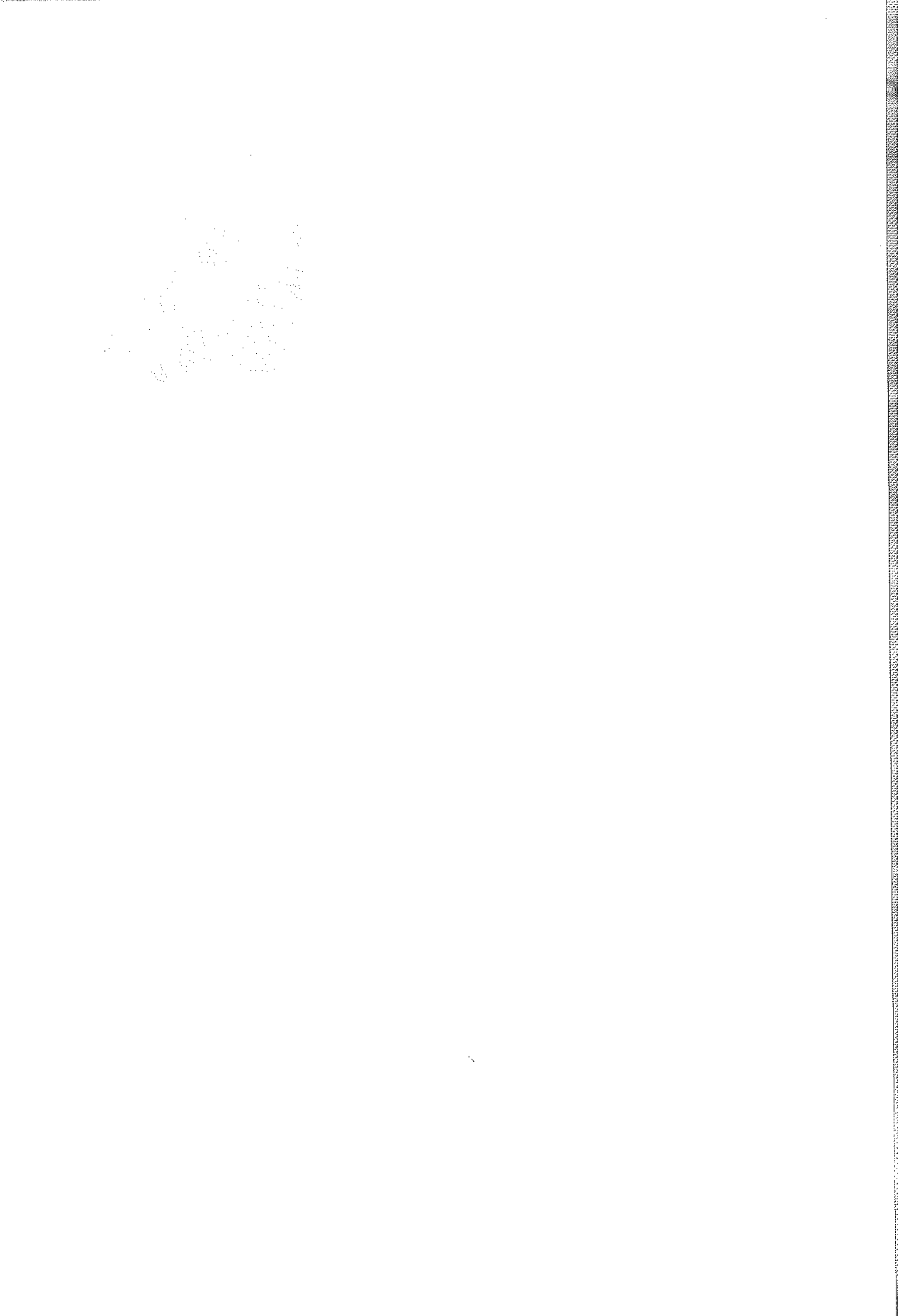


١٠ – حسين توفيق شارك في اغتيال أمين عثمان .



ملكة مصر المقبلة تحلم

- المرأة التى استولت على فاروق وحجبت عنه رؤية الثورة قال لها: أريد أن أتزوجك ثم طلب منها أن تكون وصيفة ناريمان!
- عبد الهادى يستدعى عبد الناصر ويسأله عن الضباط الأحرار.
- هل كان موقع السادات إلى جانب يوسف رشاد هدفا من أهداف الحركة؟



ليس الغرض من هذه المذكرات أو الذكريات التى عشت الكثير من أحداثها، وكنت بحكم موقعى قريبا من الذين كانوا أبطالها، أن أعتلى صهوة بطولة أو أرتدى قناعا لأحدا لأدوار أو أحكى حكايات تثير شبهة التعريض بأحد .. لقد أصبح الماضى بأبطاله ونجومه بما فيهم الأحياء فى ذمة التاريخ.. وليست لى مصلحة شخصية فى تشويه تاريخ ما قبل الثورة، فأنا شخصيا أنتمى إلى هذا التاريخ، فقد انقطعت علاقتى بالأضواء والمناصب مع فجر الثالث والعشرين من يوليو ٥٢، بل أصبحت فى نظر البعض كما اتهمنى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر شخصا متآمرا لقلب نظام الحكم .. وعلى أساس اتهام وجهه إلى الرئيس الراحل احلت إلى المحكمة الغيابية.

ولعلها المرة الأولى فى التاريخ الذى يحول فيه شخص إلى المحكمة بناء على ما ورد فى خطبة الزعيم جمال عبد الناصر..!

هذا حدث فعلا، فالرئيس جمال عبد الناصر اتهمنى فى خطاب القاه فى مدينة بورسعيد بأننى أتآمر عليه، وقد حكم علىَّ عام ٥٢ بالأشغال الشاقة، وهذه الحكاية سوف أتعرض لها تفصيلا فى حلقات قادمة، لكن غرضى من ذكرها اليوم الإشارة إلى المعنى الذى أقصده، وهو أنه إذا كان لى انتماء فهو إلى تاريخ ما قبل الثورة .. لكن ليس معنى هذا الانتماء أن «أجَمِّل» تاريخا خلا من الجمال، وأن أخترع مواقف مغايرة لما شهدت، وحكايات وقصصا وأبطال غير الذين شاهدتهم وعشت معهم واستمعت إليهم وعنهم.

إن انتمائى الأول والأخير هو إلى مصر التى أرى من حق أبنائها أن يعرفوا تاريخ بلادهم من مختلف الزوايا والاتجاهات. وإذا كان القدر قد حتم على أن أتحدث عن بعض «النساء» فليس ذلك بقصد التشهير أو الشهرة.. بل يعلم الله أننى ما كنت أود أن أتحدث عن مثل هذه الموضوعات، ولكن بالنسبة لبعض الشخصيات بالذات لا يمكن إطلاقا الهروب من الحديث عنها، وقد كان لها ما كان من تأثير على شخصية فاروق، وعلى تاريخ مصر بالتالى. إن إحدى الشخصيات التى لعبت دورا مؤثرا فى تاريخ مصر واستسمح القارئ فى أن أشير لها باسم غير

اسمها السيدة «نهى» فبعد طلاق فاروق لزوجته الملكة فريدة أصبحت «نهى» وصيفة في القصر بلا ملكة. لقد دخلت رسميا مقاصير «جمع مقصورة» الحريم الملكي وصارت أحب الشخصيات إلى فاروق لجمالها وذكائها وجرأتها.

كانت نظرة واحدة منها إلى الملك تكفيها لتعرف ما يجول في خاطره، وعلمت من تجاربها في القصر أن الملق الزائد وإن كان غير بغيض إلى قلبه. فإنه يجعل المتزلف عنده شخصا عديم القيمــة لا يأبه به، فأقامت خليطا كيماويــاً متعادلا بين الملق وجرأة المصارحة .. فهي تتملق بمقدار بسيط يرضى غروره.

كأن تقــول: إنـــه ذكي أو جميل ثم تصارحه بما لا يصل إلى التحدي أو الاســتهتار، ولكن يقف عند حد النصيحة المخلصة، وانجذب الملك إلى أنوثتها وعقلها ولم يعد يفارقها.

كان يصحبها إلى رحلات الصيد في مصر. وإلى الكوت دازور في فرنسا وكابري في إيطاليا وقــبرص ورودس على تخته الصغير المســمى «فخــر البحار» وقد طلب منها أن تســافر معه بغــير زوجها، ولكنها أبت ونصحته ألا يفعل حتى لا ينكشــف الأمــر وتصبح العلاقة مثار الأحاديث والشائعات.

ولكن الأمر كان مكشوفا بعد أن صارت صحبتها (على رغم وجود زوجها) للملك غير منطقية. وكانت في مصر تصاحب الملك إلى نادي الســيارات وتظل إلى جانبه وهو يلعب الميســر حتى مطلع الفجر. والزوج المسكين كان يذهب إلى إحدى الصالونات ويتوسد كنبة ينام عليها حتى يوقظه أحد خــدم النادي منبها إلى أن الملك بدأ في الانصراف. وكانت تدعى مع الملك جميع الدعوات الخاصة التي توجه إليه من أصدقائه الأثرياء. وكان هؤلاء الأثرياء يقدمون إليها هدايا نفيسة، لقد أحبها الملك كما لم يكن يحب امرأة أخرى من قبل. وأصبحت نهى ذات تأثير بالغ عليه، وخصوصا بعد أن اقتنــع بأنها الشــخص الوحيد الذي يقول له الحقيقة وأنهـــا لا تكذب عليه لكن الحقيقة أنها لم تكــن صادقة، ولم تكن أيضــا كاذبة. لقد كانت حريصة في بعــض المواقف جريئة في بعضها الأخــر. وفي جميعها كانت تعرف كيف تختارها. لقد جر عليه هذا الاقتناع بصدقها وإخلاصها وبالا كبيرا. وكانت نهى أحد العوامل التي حجبت عن الملك الثورة التي أطاحت بعرشه.

جرأة كبيرة من مصطفى

وانتقلت نهى وزوجها من شقتها المتواضعة في أحد أحياء القاهرة إلى شقة فخمة في حي الأثرياء. ودخل منزلهما الجديد أثاث فاخر خليط بين صالون من طراز لويس الرابع عشــر، إلى قاعة الطعام من طراز انجليزي قديم، إلى غرفة للنوم كل ما فيها وردي اللون.

وبعد أسبوع زارهما مصطفى، وما أن دخل الصالون حتى اصفر دهشة وإعجابا. وطلب أن يرى بقية الغرف وهو يقول: إيه العظمة دى إيه العز ده. ثم عاد إلى الصالون وجلس على مقعد وثير، ونظر إلى نهى ومط شفتيه وقال: بيقولوا يا ست نهى إن العز بهدلة، كلام فارغ العز عز والفقر بهدلة أخذت نهى بل بهتت لهذه الوقاحة الساخرة. ولكن لم يتملكها شعور بالغضب، وإنما شعرت بالضعف أمام ذلك الرجل. فإنها امرأة جريئة أمام الملك، وكبار القوم يقبلون يدها وينحنون وتسيل لها عبارات الإطراء والملق من أفواههم، أما هذا المخلوق الضابط صغير الرتبة فإنه يغمزها ويلمزها أخذت تحس بأنه أقوى منها. وأنها أضعف منه والمرأة بحكم ضعفها تشعر بالحاجة إلى العيش تحت جناح الرجل القوى، وأحست بانجذاب غريب نحو الشاب الجرئ الوقح. وكان وجهها يحمر كلما التقى نظرها بنظره.

انفردت نهى بنفسها بعد انصرافه وهزت رأسها كأنما تريد أن تنفض عنه تفكيرها في مصطفى. وهي في هذه الحالة قطع التفكير رنين جرس التليفون في غرفة نومها، كان المتكلم الملك. سألها كيف حالها. شكرته بغير حماسة، اعتذر لها عن عدم تمكنه لمصاحبتها هذه الليلة، لأنه مشغول. قالت له: ما عليك. وهنا قال الملك: إن شخصا يود الكلام معها. وسمعت صوتا نسائيا يقول بالفرنسية: كيف حالك يا نهى هل حزرت من أنا؟

وكانت تعرف الصوت ولكن سألت: من أنت؟

قالت صاحبة الصوت: أنا فاطمة (وكانت المتحدثة هي الأميرة فاطمة طوسون -وهو اسم حقيقي- زوجة أحد افراد الأسرة المالكة التي أصبحت أرملة بعد وفاة زوجها).

كاد التليفون يسقط من يد نهى. ولكنها تمالكت نفسها وبادلت فاطمة المجاملات. طار من رأسها خيال مصطفى وطارت جاذبيته على أثر الصدمة. فكرت وهي ترتعد: إن فاطمة جميلة فهي ستحل محلها في قلب الملك. ونظرت في أرجاء غرفة النوم الوردية بهلع: هل يزول هذا العز وتذهب النعمة أدراج الرياح؟ ولم تنم ليلتها. وتوجهت إلى القصر لتؤدى وظيفتها الخيالية (وصيفة بلا ملكة) وكان الصباح أشد كآبة من الليل، إذ إن الملك لم يستدعها إلى جناحه كعادته. وعادت إلى منزلها ومرت ليلة حالكة السواد. ثم مضت ثلاثة أيام لا ترى الملك. ولم تنقطع فيها عن التدخين وشرب الخمر. وظلت سكرى هذه الأيام الثلاثة وزوجها يعجب وإن كان يحدس السبب، وفي المساء التالى للأيام الثلاثة دق جرس التليفون كما هى العادة في غرفة النوم. وكانت نصف نائمة ونصف سكرى. سمعت صوت الملك. أفاقت تماما وتظاهرت بعدم المبالاة. ولكن قلبها يكاد يفر من ضلوعها. طلب الملك منها أن تتوجه إلى

جناحه في الصباح. ولما جاء الصباح أكملت زينتها ولبست الثوب الذى يروقه ودخلت عليه. فلم تجد أن شوقه إليها بـرد. بل قبلها بحـرارة وداعبها وأطرى جمالهـا ولكنها وضعت إصبعها بدلال على شفته قائلة: مبروك يامولانا.

قال الملك: مبروك على ماذا؟

قالت نهى: على خطوبتك لفاطمة.

قال الملك صارخا: خطوبتى لفاطمة من أين سمعت هذا؟

قالـت نهى: إن كثيريـن يتكلمون عن هـذه الخطوبة (لم يكن هذا صحيحـا وإنما قالته لتعرف الحقيقة).

قال الملك: لم يخطر ببالى أن أتزوج فاطمة. إنها مجرد صداقة.

قالت نهى: إنى أعرف نوع الصداقة التى تمارسها يا مولاى.

وغمزت بعينها وضحكت.

ضحك الملك قائلا: أرك اليوم غيورة ولكن اطمئنى لن أتزوج فاطمة.

قالت نهى: ولكن يا مولاى، يجب أن تتزوج. إن العرش يجب ألاَّ يكون كرسـيا واحداً. وأنت لم تنجب ذكراً ليكون وليا للعهد.

قال الملك: إننى أريد أن أتزوج فعلا يا نهى.

سألت نهى: ومن هى تلك السعيدة يا مولاى ؟

قال الملك وهو ينظر إليها بوله: المشكلة أنها متزوجة.

قالت نهى: وهل بين جميع نساء مصر لا تجد إلا متزوجة لتكون ملكة؟

قال الملك: لأنى احبها. ولأنها بذكائها وجمالها تصلح أن تكون ملكة.

قالت نهى: وماذا ستصنع بزوجها ؟

الملك: حين اعتزم سأطلب منه أن يطلقها.

نهى: هل أنت واثق من قبوله؟

الملك: أنا متأكد.

نهى: هل أعرف من هذه السيدة؟

قال الملك (وهو ينظر إليها نظرة حنان وبصوت يتهدج): أنت يا نهى.

احتبست أنفاسها وكادت تسقط مغشيا عليها. وضعت يدها على قلبها وقالت: يا إلهى!

ولكنها التفتت إليه وتمالكت ثم قالت: إنك تسخر منى يا مولاى.

قال فاروق: إننى لا أسخر. ولكن ليكن حديثى معك سرا لا يعرفه أحد حتى أقرر الأمر.

وخرجت من جناحه وهى تقول لنفسها: هل هو حلم؟

وذهبت إلى غرفة نومها وأقفلت الباب ونظرت إلى المرآة وقالت: هذه هى ملكة مصر المقبلة. وأخذت أمام المرآة أوضاعا مختلفة. الملكة تبتسم. الملكة تحيى. الملكة تفكر. وصارت تضحك وتقفز وتروح وتجئ، ثم مدت جسدها على السرير تفكر فى زوجها المسكين. إنه قَبِلَ مُكْرَهًا أن أكون عشيقة الملك ليعيش من جاه ملوث، فهل يقبل طلاقى ليمضى حياته فى ركن سحيق من النسيان. لا لن أنساه سأطلب من الملك أن يكافئه بمنصب كبير.

وصارت أيامها بلون الورد. تمشى وكأن قدميها لا تمسان الأرض.

ولكنها لم تركب الغرور. وظلت فى بساطتها المعتادة مع أصدقائها. ورجال القصر. ومضى عام وهى تتنقل كالفراشة بين زهور أحلامها حتى استدعاها الملك من منزلها فى يوم مطير قائلا:

أرجو أن تحضرى على عجل. إن الأمر هام.

فى تلك الليلة تزينت كما لم تتزين من قبل. إن يومها المرتقب قد جاء. سيزف الملك إليها نبأ خطبته لها. وقالت لنفسها: ولكن عندما أعود ماذ أقول للزوج. تبًّاله. ماذا يهمنى من أمره. سأقول له طلقنى. إن الملك يريد أن يتزوجنى. قد يبكى، سأكفكف دموعه. وأعتقد أنه سيسر للوظيفة الكبيرة التى سينالها!

هذه يا نهى زوجتى المقبلة!

دخلت نهى على الملك الذى نظر إليها مليا. وألقى عبارة إطراء. لاحظت أن إطراءه كان أجوف وأنه أشار إليها بالجلوس على فوتوى لا على الكنبة التى كان يلتصق معها فيها. بدأت نهى توجس شرا، وخصوصا لأنه لم يقبلها كعادته. جلست تراقبه بعينيها. ومرت دقائق وهو ساكن يدخن سيجاره. ثم دس يده فى جيبه وأخرج مظروفا أبيض ثم مد يده بالمظروف إليها. واضطرت أن تتقدم نحوه لتتناوله.

قالت: ما هذا يا مولاى؟

– افتحيه.

فتحت نهى المظروف وأخرجت منه صورة فوتوغرافية.

كانت صورة فتاة صغيرة السن ذات وجه سانج أشبه بوجه الطفل. نظرت نهى إلى الملك قائلة:

من هذه الفتاة؟

قال الملك: هل تعجبك؟

قالت نهى: لا بأس بها. وإن كانت صغيرة جدا. ولكن من هى؟

قال الملك: هل كل حكمك عليها أنه لا بأس بها؟ ألا ترين أنها جميلة؟

قالت نهى: وهل تراها أنت جميلة؟

أجاب الملك: نعم.

قالت نهى: مادمت تراها كذلك. فلا بد أنها تعجبك.

ولكن لم تقل لى من هى؟

قال الملك: إنها زوجتى المقبلة!!

ابدئي فورا ما أمرتك به!

أمسكت نهى بمسند الفوتوى. دار رأسها قليلا. خيل إليها أن الملك يسمع دقات قلبها. والملك يحدق فيها ولا تبدو عليه أية نظرة إشفاق ورثاء لها. وقطع الملك فترة الألم قائلا: إنى طلبت منك الحضور لأنى أريد أن تعينيها على أشياء كثيرة. إنها طالبة فى أولى مراحل التعليم الثانوى. لم تدخل الحياة بعد. وهى من أسرة متواضعة. أود أن تختارى لها أجمل الملابس من أكبر دور الأزياء، لأنى أعلم أن ذوقك رفيع، وأن تعلميها كيف تخاطب الناس. علميها آداب السلوك على المائدة بل علميها كيف تمشى وكيف تجلس. لقد كنت وصيفة بلا ملكة وأصبحت الآن وصيفة ملكة. ولا شك أن ذلك سيسعدك.

تعطلت حواس نهى. ومضت فترة لمح خلالها الملك مدى الألم الذى تعانيه. ولكنه بقلبه الصخرى كان أشبه بقائد كتيبة يطلب من جنده اقتحام حقل ألغام.

أفاقت نهى من ألمها على صوت الملك يقول: إن السيارة تنتظرك لتقلك إلى منزلها. لتبدئى على الفور ما أمرتك به.

يا إلهى لأول مرة تسمع منه عبارة: ما أمرتك به.

قالت نهى: سأذهب غدا يا مولاى. إنى متعبة الآن وأرجو أن تعذرنى.

قال الملك: لا بأس. ولكن اذهبى فى الصباح الباكر. إن اسمها ناريمان.. ناريمان صدقى!

سأنتقم منك يا فاروق وأسقيك الخديعة

عادت نهى إلى منزلها. توجهت إلى البار المتنقل وأخذت منه زجاجة من الويسكى وكوبا فارغا. فتحت الزجاجة وذهبت إلىلغرفة نومها وأغلقتها وأخذت تفرغ الويسكى فى الكوب وترسله في حلقها وتعود لتملأه وتشربه حتى انتهت نصف الزجاجة فى دقائق. وأصيبت بسكر شديد وبدأ تصيح وتبكي وتقذف على الأرض والحائط بكل ما تستطيع يدها المرتعشة أن تناله. وسمعت خادمتها صوت صراخها ولم يكن زوجها قد حضر بعد. فأخذت تدق الباب. ولكن نهى لم تكن تسمع أو تعى شيئا، كانت ملقاة على الفراش بغير شعور. ومرت ساعة وحضر زوجها. وأخبرته الخادمة بما حصل فأخذ يدق الباب بعنف. وكلما لم يسمع ردا زاد دقه على الباب وصراخه حتى أفاقت نهى وقامت بحركة لا إرادية، وهى تترنح صوب الباب، وقفت وراءه قائلة بصوت متلعثم من السكر: ماذا تريد؟

قال الزوج: افتحى.

قالت له: اتركنى لحالى.

قال الزوج: افتحى وإلا حطمت الباب.

فتحت نهى الباب بعد لأى وتوجهت مترنحة نحو السرير وارتمت عليه واضعة الوسادة فوق رأسها. وجلس الزوج على حافة السرير وأمسك بيدها.

فصرخت: أغرب عن وجهى يا نحس، اذهب.

قال الزوج مذهولا: ماذا بك؟

أجابته: قلت لك أذهب فلو لم أتزوجك لكنت اليوم ملكة مصر. وأخذت تهز ساقيها وتبكى!

قال الزوج مهدئا ثورتها: أنت سكرى يا نهى.. ما هذا الهذيان؟

قالت وقد زاد بكاؤها: دعنى لا أريد أحدًا. اخرج حالا وإلا ألقيت بنفسى من النافذة. وخرج المسكين. وذهب إلى الصالون وجلس يدخن غليونه.

أفاقت نهى وأخذت تتلفت حولها. ونظرت إلى نفسها فىالمرآة وصرخت: يا إلهى أهذا وجهى. إنه وجه امرأة مسنة مشوهة. وأشعلت سيجارة. وقالت بصوت يكاد يسمع: لقد حطمتنى يا فاروق وخدعتنى. ولكنى سوف أنتقم منك. سأخدعك على مهل. سأسقيك الخديعة جرعة جرعة. حتى أقضى عليك. والأيام بيننا.

فى بيت ملكة مصر الحقيقية

ذهبت نهى فى الصباح إلى منزل خطيبة الملك. وكان أثاث المنزل متواضعا. واستقبلتها أم الخطيبة بترحيب الطبقة المتوسطة البسيطة الجميل.

ثم جاءت الخطيبة تسير فى خجل وحياء. وقبلتها نهى، ولاحظت احمرار وجهها وأنها تغض من بصرها. وأطرت نهى جمالها (كذبا طبعا). فشكرتها أمها لأن ابنتها من الحياء لم تقل شيئا. وبدأت نهى تشرح مهمتها.

وقالت الوالدة: الله يخليه مولانا دا شرف كبير. وانت كمان شرفتينا والبركة فيك نحن طوع أمرك.

وأقبلت نهى بحماسة غريبة على خدمة الملكة المقبلة. وأخذت تصاحبها إلى أكبر دور للأزياء. وإلى متجر العطور وتذهب إلى متاجر الأحذية والقبعات. وتطلب منهم التوجه إلى منزل الخطيبة. وكانت تأخذها إلى الحلاق وتشير إليه بما يجب أن يصفف عليه شعرها. فعلت ذلك لأنها تريد أن تبقى موضع ثقة الملك. لو تركت القصر فلن تستطيع أن تنفذ خطة الانتقام. وأن الذى يريد أن يخرب يجب أن يكون فى الداخل لا فى الخارج. وكانت هذه خطة انتقام العقل. واندفعت نهى إلى أحضان مصطفى وأصبحت عشيقته. وهذا انتقام القلب.

عبد الهادى يستدعى عبد الناصر

كان الحرس الحديدى كما قلت مكونا من خمسة ضباط ومدنى واحد فى أول الأمر. ثم أخذ يتسع وخصوصا بطائفة صغار الضباط. فلماذا انضم هؤلاء الضباط إلى الحرس الحديدى.

وهل هناك دوافع غير حب التنقل إلى القاهرة أو الترقية إلى رتبة أعلى؟ أو أن التقرب من حاشية الملك هو الذى دفعهم إلى ذلك؟

إن بدء تكوين الحرس الحديدى كان فى عام ١٩٤٣. ولم يكن مصطفى وخالد فهمى وحسن قد دخلوه. وإن كان قد دخله ضابطان آخران كانا على صلة وثيقة بالدكتور يوسف رشاد الذى تعرف إليه فاروق فى حادث القصاصين وقد قدم الدكتور يوسف رشاد إلى هذين الضابطين خدمات جمة إلى أن جاءت حرب ١٩٤٨ وقامت على أثر انتهائها حركة الضباط الأحرار كانت دوافعها إرسال الجيش إلى الحرب ضد إسرائيل بغير استعداد وتحت قيادة هزيلة وبأسلحة فاسدة.

ولم تكن حركة الضباط الاحرار خافية على الحكومة، وقد عرف بقيامها إبراهيم عبد الهادى رئيس الوزراء، بل هو عرف أن المرحوم جمال عبد الناصر كان على رأس الحركة فأرسل يستدعيه بحضور الفريق محمد حيدر وزير الحربية وقائد الجيش.

ولما دخل عبد الناصر أدى التحية العسكرية. وظل واقفا. فنظر إليه ابراهيم عبد الهادى وقال: أتعرف لماذا استدعيتك؟

قال عبد الناصر بهدوء: لا أعرف.

قال عبد الهادى: بلغنى أنك تقود حركة تسمى نفسها الضباط الأحرار.

فهل هذا صحيح؟

قال عبد الناصر بنفس الهدوء: غير صحيح.

قال عبد الهادى: ألا تجتمع بالضباط؟

أجاب عبد الناصر: أجتمع بأصدقائى كأى مواطن أليس لى الحق؟

قال عبد الهادى: هل تقسم بأنك لا تكون حركة.

وتردد عبد الناصر لحظات ثم أقسم.

قال الفريق حيدر: يا دولة الريس أظن أن ما بلغك مبالغ فيه وعادة الضباط أن يجتمعوا مع بعض ويدردشون ويمزحون وأحيانا يلعبون الورق. قالها ضاحكا.

قال عبد الهادى: على كل حال إنى أطلب منك الابتعاد عن القيام بأية حركة.

ولقد كانت هذه المحادثة إنذارًا لعبد الناصر بأن يأخذ حذره وأن يعمل تحت طى الكتمان الشديد. وأصبح الشخص المتهم أمام الحكومة والذى تلوك اسمه الألسن ليس عبد الناصر ولكنه اسم آخر. هو اسم أنور السادات: كان اسم السادات هو الذى يتردد على أنه زعيم الضباط الاحرار، باعتبار أنه كان مع عزيز المصرى يؤيد المحور ضد الإنجليز سنة ١٩٤٢. وقد فصل من الجيش، لذلك لم يعد إلا سنة ١٩٤٨. وقد اعتقل فى سجن المنيا سنة ١٩٤٢. اعتقلته حكومة الوفد بإيعاز من الإنجليز. كل هذه الأحداث جعلت اسمه بارزا كضابط ثائر وما دامت هناك حركة ثوار فلا بد أن يكون السادات على رأسها. وكانت أغلب تقارير البوليس إذا تناولت حركة الضباط الأحرار رددت اسم البكباشى أنور السادات، ولم يظهر اسم جمال عبد الناصر وأعضاء مجلس قيادة الثورة إلا متأخراً عام ١٩٥٢.

ورأيى أن الثورة قد انتفعت كثيرا من كون واجهة السادات حجبت واجهة الآخرين. فراحت تعمل فى الخفاء والعيون تراقب السادات ولا تراقب الباقين إلى لحظة متأخرة قبل قيام الثورة.

كما استفادت حركة الضباط الأحرار أيضا من صداقته للدكتور يوسف رشاد الذى اقنع فاروق بإعادة السادات إلى الجيش فى عام ١٩٤٨ بعد أن فصل منه. وقد قيل كثيرا: إن

السادات أصبح عضوا في الحرس الحديدى، ومعلوم أنه اتهم بقتل أمين عثمان وبرئ، ولو أن السادات لم يفكر يوما أنه شارك في قتل أمين عثمان. والضابط مصطفى قال: إن السادات كان يصحبه في السيارة التى وقفت أمام دار النحاس وفجر فيها قنبلة.

ولنعد إلى مصطفى وخالد فهمي وحسن من أعضاء الحرس الحديدى. فمصطفى كان تروتسكيا من جماعة من أبرز الجماعات الشيوعية فى مصر. وكانت حركتهم تسمى (حدتو) كما سأتحدث بعد ذلك وكان مصطفى يسمى نفسه رئيس الجيش الجمهورى. فهل اندس في الحرس الحديدى لإشباع رغباته المادية فقط، أو أن جماعة (حدتو) هى التى دفعته إلى ذلك ليكون محيطا بأسرار القصر؟ وكذلك فهمي و خالد وحسن الذين كانوا من الصف الثانى من طبقة الضباط الأحرار وتولوا جميعا مناصب سفراء بعد الثورة. هل دخلوا الحرس الحديدى لأطماعهم الشخصية أو دخلوها بإيعاز من زعماء الحركة؟ وإننى أرجح الرأى الأخير. لأنهم بالتصاقهم بالحرس الحديدى وبالدكتور يوسف رشاد أمكنهم أن يحموا إلى حد كبير ظهر الثورة من تحرك الحكومة.

□□□



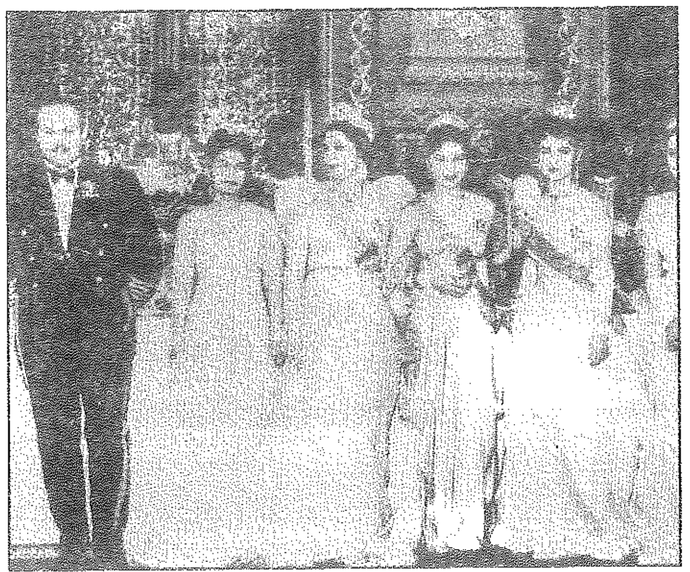

١ – الملك فاروق يوم زفافه إلى فريدة .



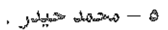
٢ – الملك فاروق والملكة فريدة ..



٣ – الملك فاروق والملكة ناريمان .



٤ – صورة عائلية للملك فاروق وإلى جانبه الأميرة شرف أخت صهره شاه إيران فوالدته الملكة نازلي فشقيقته فوزية فالملكة فريدة فشقيقاته فايزة وفائقة وفتحية .

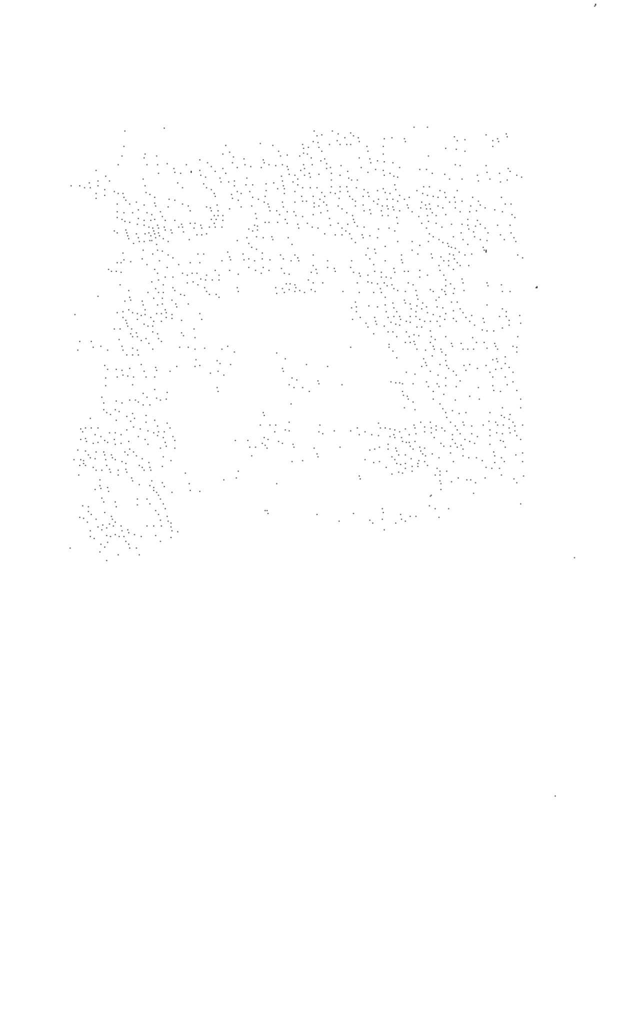


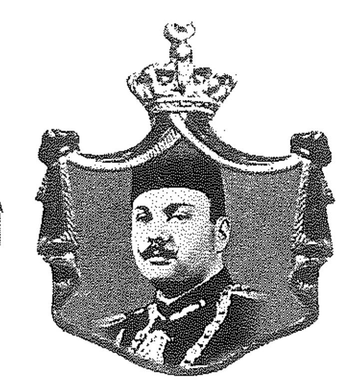
٥ – محمد حيدر .



٦ – جمال عبد الناصر .

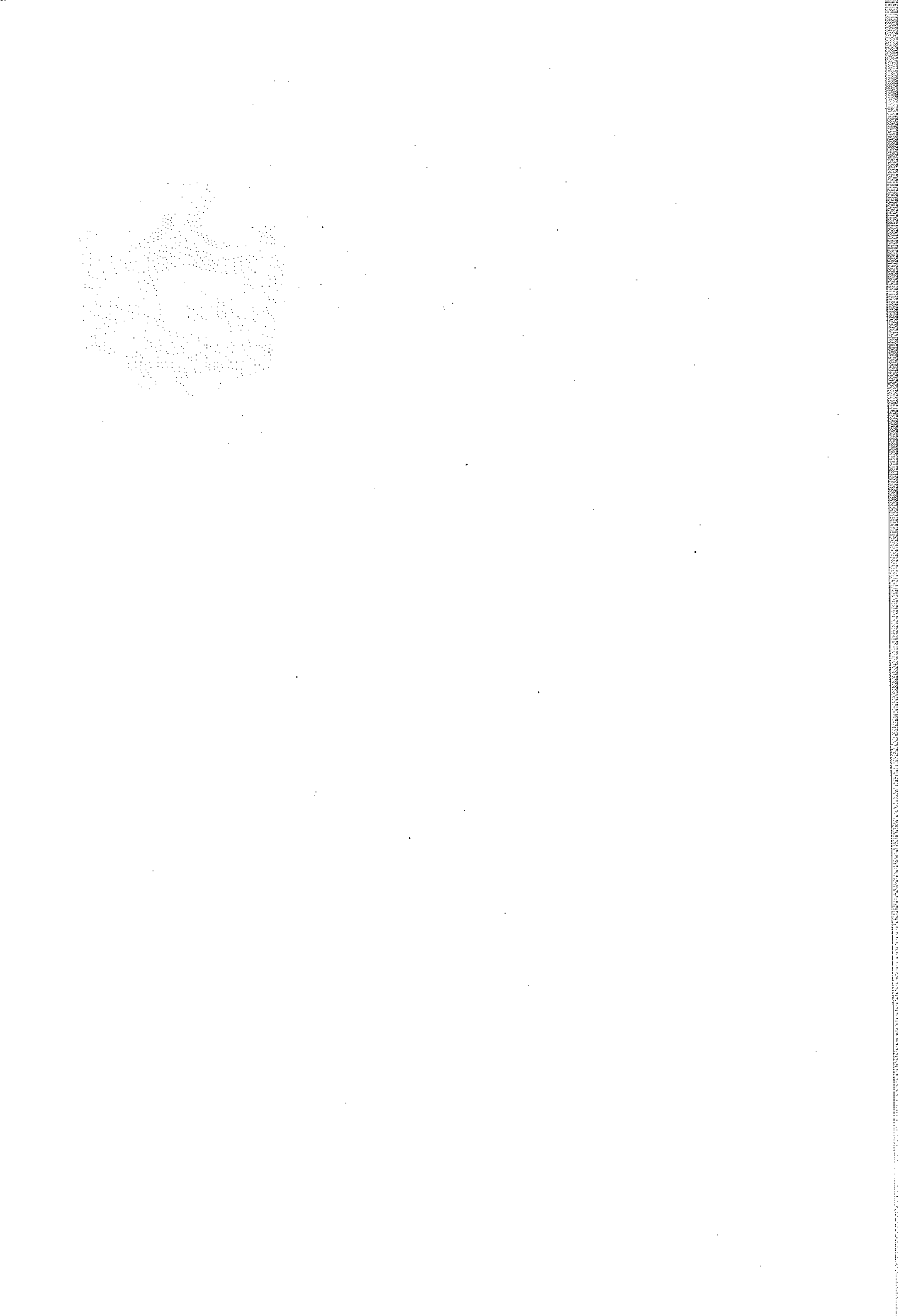






لقاء مع فاروق في مكتبه

- عندما قال لى فاروق: أنا أعلم أن الشعب يكرهنى ولكنى لا أخافه لأن الجيش معى.
- خدم الملك يكتبون تقارير عن الشيوعية وفاروق يطلب من الوزارة الأخذ بها.
- فاروق: أعلم عن كل ضابط ما لا يعلمه عنه أبوه أو أمه.
- هل كان فاروق يسهر الليل والنهار من أجل عمله ؟



قبل غـروب الشـمس من يوم حار من شـهر مايوم عـام ١٩٤٩ - وكنت أعمل وكيلا لوزارة الداخلية - كنت جالسًا فى شرفة نادى المعادى الرياضى أحتسى قدحًا من الشاى، وأسرح الطرف فى بساط سندسى ممتد أمامى تحيط به أشجار السنديان الباسـقة، ملقيًـا عن كاهلى عبء يوم مـن العمل أمضيته فى الـوزارة (الداخلية) فى مكتب تتكـدس فيه الملفـات حتى تكاد تخفينى عمن يجلس. حوله أضابـير «الحزمة من الصحف» تنقبض نفسى لرؤيتها، لأنى كلما دخلت ورأيتها أسائل نفسـى كيف أستطيع البتّ فيها، حتى لو جلسـت إلى المكتب أربعًا وعشرين ساعة كل يوم وتكون النتيجة أن أبت فيها معتمدًا علـى التلخيص الذى يكتبه آخر مديـر إدارة يطلع على الملف. وقد يكون تلخيصًا غير وافٍ، حجبـت فيه بعض الحقائق إما عمدًا وإما إهمالاً. ولكن هناك الملفات المحظوظة التى يتابعها ذو شأن كوزير أو نائب، فهذه تلاقى عناية كبيرة من التلخيص خشية المسئولية.

وأرجو مخلصًا مع تقدم العلم، أن يتناول العقل الالكترونى سير الإدارة الحكومية المعقدة بعناية. وبذلك رأس الوزير أو كيل الوزارة بالعقل الالكترونى الذى لا يشك إنسان فى تحيزه وصدق نواياه.

أعود إلى جلسـتى على شرفة النادى وتأملاتى ورشـفى ببطء الشاى الذى وجدت له طعمًا شـهيًا لم أكن أشـعر به وأنا أتناوله فى مكتبى. وأدركت أن الذى طيب طعمه هو تلك الخلوة الجميلة مع الطبيعة التى تحتضن نفسـى. إن كل شـىء يصبح ذا طعم حين تصفو حواس المرء وتنطلـق النفس من قيود المدينة لتركب جنـاح الطبيعة، وتطير فوق اللامنتهى من أجوائها. وقلت لنفسـى ليت الساسـة الذين يبتون فى مصير الأمم يختلون مع أنفسهم فى أحضان تلك الأم الحنـون، حـين يريدون أن يتخذوا قرارًا خطيرًا، وليـت مجالس الوزارة تجتمع تحت ظلال وارفة من الخمائل بدلا من تلك المائدة المسورة بأربعة جدران، تخيم عليها وعلى عقول الجالسين فيها سحبا كثيفة مقبضة من دخان السجائر والسيجار، وليت الوزراء يتطلعون إلى رؤية الزهور والأشجار بدلا من أن يتطلعوا داخل الحجرة إلى صور كئيبة معلقة على الجدران

للملوك والرؤساء السابقين والحاليين منهم. وبينما أنا فى تأملاتى حضر عامل التليفون وقال: إنى مطلوب. فقلت: له فى ملل وضيق:

– أرجو أن تخبرهم بأنى غير موجود.

فتردد قليلا وقال: سيدى إن الذى يطلبك هو القصر الملكى، وقد أخبرتهم بأنك موجود.

ذهب وتناولت سماعة التليفون، وكان المتكلم السكرتير الخاص للملك فاروق. وبعد التحية أخبرنى أن الملك يريد أن أتوجه فورًا إلى القصر لمقابلته.

قلت: وكيف علمت أنى فى النادى ؟

فضحك وقال: لست أنا الذى علمت، إنه جلالة الملك أرأيت أن جلالة الملك، يعرف كل شيء عن عاداتك؟!

واستطرد ضاحكًا يقول: بل إنه يعرف كل شيء عن عادات كل موظفى الدولة.

فقلت له: أمهلنى نصف ساعة حتى أصل إلى القصر.

ورجعت أتأمل فى ذلك الذى يعرف كل شىء. لكننى تذكرت أن جلالته كان قد حضر إلى النادى منذ أسبوع ورآنى جالسًا على الشرفة نفسها، وسألنى عن سبب وجودى. فأخبرته أنا بين الحين والحين أحضر إلى النادى لألعب مباراة تنس أروِّح بها عن نفسى عناء العمل.

وحين وصلت إلى قصر القبة رأيت سكرتير الملك فى انتظارى، فقادنى فورًا إلى مكتبه. وكان جلالته جالسًا على كرسى مكتبه. ولأول وهلة بدا لى أنه غير مستريح فى جلسته. فالكرسى المصنوع من خشب الماهوجنى الثمين كان يبدو ضيقًا بعض الشىء على جسده الضخم المترهل. وكان يرتدى بدلة فيلد مارشال (مشير) لأننا كنا لانزال فى حالة حرب مع إسرائيل، وكانت سترة البدلة مفككة الأزرار وكذلك أزرار قميصه الكاكى، وربطة العنق متدلية. وكان وجهه يتصبب عرقًا على رغم المراوح الكهربائية وجهاز تبريد الغرفة. حيَّانى بأن قام نصف قومة بشىء من العناء، وأشار إلىَّ بالجلوس. كان يلبس نظارة بيضاء على غير عادته. ولاحظت أنه على الجانب من المكتب الذى أجلس إليه، أباجور ضخم ذو مصباح كهربائى قوى كاد يبهر نظرى. ولم يكن فى جانبه أى مصابيح، وقد أدركت أنه يفعل ذلك ليرى بوضوح وجه الجالس أمامه وتعبيراته وانفعالاته من غير أن يستطيع الجالس أن يتبين ملامحه هو وتعبيراته وانفعالاته. ظل فاروق صامتًا لحظات سألنى بعدها:

– هل تلعب التنس جيدًا ؟

فقلت: يا صاحب الجلالة لا أدعى أنى بطل، ولكن اعتقد أنى أجيد اللعبة.

فضحك ساخرًا، وقال: إنه متأكد أنه لو لاعبنى لهزمنى، وأنه يستطيع أن يكون بطلا لو مارس اللعب بانتظام، ولكن مشاغله تحول دون ذلك (علمًا بأن وزن جلالته كان فوق مائة الكيلو جرام، وأن نظره كان ضعيفًا جدًا، ولاعب التنس لابد أن يكون نحيفًا حتى يتحرك بسرعة، ولابد أن يكون حاد النظر لالتقاط الكرة).. ولكنها أوهام الملوك!

أنا أسهر الليل والوزير يلعب

وأخذ الملك يحدق إلى ورقة أمامه ثم تناول قلمًا أحمر خطط به سطرًا تحت إحدى فقراتها، ومدَّ يده بالورقة وناولنى إياها قائلا بصوته الذى كان يقارب الفحيح:

- خذ هذه الورقة واقرأها.

تناولتها وبدأت القراءة. وفى هذه الأثناء دخل خادم نوبى بملابسه المزركشة يحمل صينية فيها إبريق ضخم من الكريستال مملوء بعصير البرتقال وفنجان فيه القهوة. وضع الإبريق أمام الملك وفنجان القهوة أمامى.

أخذت أقرأ الورقة. وأخذ جلالته يشرب البرتقال ويدخن سيجارًا ضخمًا. كانت الورقة تقريرًا مكتوبًا بالآلة الكاتبة عن النشاط الشيوعى فى مصر، وأنه يزداد ازديادًا شديدًا فى أوساط المتعلمين، سواء فى الجامعة أم المدارس العليا أم الثانوية فى الفصول الأخيرة منها. وذكر التقرير بعض أسماء الجماعات الشيوعية كجماعة (حدتو). وهو اسم لحركة شيوعية ترمز حروفه إلى أنها نحو حركة ديمقراطية تقدميه وطنية. كما ذكر أسماء أساتذة من الجامعة ومدرسين فى المدارس وطلبة وضباط جيش وأعضاء فى نقابات العمال. ولما انتهيت من قراءة الورقة، رأيت الملك ينظر إلىَّ من وراء نظارته بعينيه الزرقاوين الضيقتين نظرة تحد مصحوبة بابتسامة ساخرة وقال:

هل انتهيت ؟

قلت: نعم.

قال: ما رأيك ؟

قلت: يا صاحب الجلالة، إن هذا التقرير هو صورة طبق الأصل من تقرير اطلعت عليه منذ أسبوع عن النشاط الشيوعى فى مصر.

وهنا لاحظت أن شاربه الكثيف ارتجف وأن وجهه اكفهر وقال:

- ما الذى تقوله ؟

قلت: قد قرأت صورة طبق الأصل من هذا التقرير، وأنه واحد من عدة تقارير تتناول النشاط الشيوعى، وأن كل الأسماء والجماعات الشيوعية وضعتها وزارة الداخلية تحت مراقبة دقيقة.

وهنا انتفض جلالته ونهض من كرسيه وهو يصيح:

كلامك غير صحيح. إن هذا التقرير يكشف النقاب عن معلومات لا تعرفها وزارة الداخلية.

وأخذ يضرب مكتبه بقبضة يده صائحًا:

- إنكم مقصِّرون، إنكم لا تدرون شيئًا مما يدور فى هذا البلد. أنا وحدى الذى أعرف ما يدور. أنا أسهر الليل، وأعمل طول النهار، ووزير الداخلية كلما سألت عنه يقولون إنه نائم، وأنت تمضى وقتك فى لعب التنس.

- وهدأ غضبه قليلا حين دخل الخادم يحمل دورقًا آخر من عصير البرتقال وطبقًا كبيرًا مملوءًا باللوز.

قلت:

- لا شك فى أن جلالتك تمضى الليل مع النهار ساهرًا تنظر فى شئون الدولة. (وكل مصرى كان يعلم أنه يسهر الليل إلى الصباح فى نادى السيارات يلعب البوكر والبكارا أو فى ملهى الأوبرج، وأنه ينام حتى الساعة الرابعة بعد الظهر). ولكن اتهام جلالتك لنا بالتقصير شىء خطير، لأن حماة الأمن إذا قصروا أنهار الأمن، وليس معقولاً أن نترك جلالتك تعمل كوزير للداخلية ووكيل لها ومدير للأمن العام بدلا من الوزير الذى ينام دائمًا، ووكيل الوزارة الذى يعلب التنس.

فرد بسخرية قائلا:

- وهذا هو ما يحصل مع الأسف.

قلت: لم يبق لك يا سيدى إلاَّ أن تُقيل الوزير والوكيل، وتعين وزيرًا يقظًا ووكيلاً لا يعلب التنس.

فسكت لحظة ثم ضحك وقال:

- ولكنى سأعطيكما فرصة أخرى. وعليك أن تتوجه إلى مكتبك وتصدر الأمر بالقبض على كل الأشخاص الذين وردت أسماؤهم فى التقرير.

قلت: اسمح لى يا سيدى بأن أعلق على الشيوعية فى مصر. إن عملاء الشيوعية بدءوا أول ذى بدء فى نشر دعايتهم بين طبقة الفلاحين والعمال، مستغلين سوء الحالة الاجتماعية. وكانوا فوق الدعاية يقومون بتوزيع بعض الأموال. ولكن مسعاهم فشل لأن أكثر الفلاحين لا يجيدون القراءة والكتابة، وكذلك الكثير من العمال. لقد أخذوا المال ولم يفهموا المبدأ الشيوعى ولم يهضموه. ولما ضاعت مساعى العملاء توجهوا إلى أوساط المتعلمين الذين قرءوا الكثير عن كارل ماركس ولينين وتروتسكى وهضموا مبادئهم وتعاليمهم، وتأثروا بالظلم الفادح الذى تعانيه الطبقة الكادحة والاستغلال البشع الذى يرزحون تحته. وفوق ذلك، فإن المتعلمين يشعرون بأنهم مظلومون. فمرتباتهم لا تكاد تفى بحاجاتهم وحاجات أسرهم، بينما تتلألأ قصور الجهلة ذوى العقول المظلمة بالأنوار والخدم والحشم والجواهر.

الشعب يكرهنى لكن الجيش معى

نظر إلىَّ الملك نظرة عجيبة وقال:

- ما شاء الله. هل أصبحت شيوعيًا ؟.

قلت: لا يا سيدى، لست شيوعيًا. ولكن أرجو أن يعالج الأمر على ضوء الاعتبارات الاجتماعية، وأرجو أن تأمر جلالتكم رجال الحكومة بالعمل على رفع الظلم الاجتماعى، لأنه بهذا وبهذا وحده، نحارب الشيوعية. إن بذور الشيوعية لا ينبت زرعها إلا فى الأرض الظالمة.

قال الملك:

- إن شعبى شعب سعيد والخير كثير ومتوافر، والشيوعية خطر على عرشى. إن همّ الشيوعية إزالة العروش. إن أكثر العروش أطاحت بها الشيوعية.

قلت: يا صاحب الجلالة، إن أصحاب العروش هم الذين أطاحوا بأنفسهم، لأنهم ابتعدوا عن الشعب وتجاهلوا مطالبه وظنوا أن كل شيء على ما يرام ماداموا هم بخير.

وهنا صاح الملك:

- أنا لا يهمنى الشعب، إننى أعلم أنه يكرهنى. إنهم يعيبون تصرفاتى وينتقدوننى على كل صغيرة وكبيرة. إنى لا أخاف الشعب، لأن لى درعًا تحمينى ضده. وسكت.

قلت: هل تسمح يا صاحب الجلالة بأن تذكر ما هى هذه الدرع؟ فرد وهو يكز على أسنانه وببطء: الجيش.

سكت برهة وقد هالنى الأمر، وتمالكت نفسى فترة أحسست فيها بضيق شديد وببعض العرق يتصبّب، وأخيرًا قلت:

– يا صاحب الجلالة هل أنت واثق من ولاء الجيش؟ وتطلعت إلى وجهه الذى أصبح فى احمراره كأنه قطعة ضخمة من الطماطم. وبدأ جسمه الضخم يرتعد. والحق أنى شعرت بشيء من الخوف قطعته صيحة منه تقول:

– ايه ده ؟ ماذا تقول؟ هل تريد أن تشكك فى ولاء الجيش لى؟

– لا أريد أن أشكك. ولكنى أعلم أن الجيوش قامت بعدة انقلابات ضد حكامها.

فصاح: ها ها ها ها. هؤلاء حكام مغفلون لم يعرفوا كيف يختارون الضباط المخلصين. إن أى ضابط يلتحق بالجيش، أعرف عنه ما لا يعرفه أبوه وأمه عنه.

وابتسم ساخرًا وقال: أنت فاكر إنى ألعب ؟.

قلت: معاذ الله يا سيدى.

حياتى فى مصر لن تكون طويلة

ومدَّ الملك يده إلى علبة كبيرة من خشب وردى اللون، وأخرج سيجارًا ضخمًا وأشعله، وأخذ ينفث دخانه ويحلق بعينه إلى السحب الكثيفة الذى يثيرها سيجاره. ثم أخذ يترنم بأغنية فرنسية. وتوقف بعد لحظة ونظر إلىَّ قائلا:

– هل تعرف الفرنسية ؟

قلت: قليلا. لأنى تعلمت الإنجليزية.

قال: هه. هل تعرف أنى أتقن ست لغات ؟

فقلت: لا غرابة فى ذلك.

قال: إن الأغنية التى كنت أترنم بها جميلة المعانى، وموسيقاها عذبة، وإنى أترنم بها حين يضيق صدرى.

سكت ولم أرد على الغمزة التى قصدنى بها، من أنى تسببت فى ضيق صدره.

قال: على كل حال هذه الأغنية خير من أغانيكم المصرية الرتيبة المملَّة. إن مغنيكم يظل طول الليل يصيح يا ليل يا عين يا عين يا ليل، وأنتم تصيحون قائلين: آه.

وأخذ جلالته يضحك.

قلت: يا صاحب الجلالة. أرجو الله أن يجعل حياتك دائمًا سعيدة وطويلة، ويسرنى أن أرى جلالتك تروِّح عن نفسك بهذه الطريقة.

قال: إن تمنياتك لى بحياة طويلة وسعيدة، أشكرك عليها. ولكن حياتى فى مصر لن تكون طويلة. لأنها لن تكون سعيدة. أما بعيدًا عن مصر فإنى أستطيع أن أحيا حياة طويلة سعيدة.

- وأين يا صاحب الجلالة ؟

- فى أى بلد آخر من العالم. أنا أعرف أنى لا أستطيع أن أعيش كما أبغى فى بلدكم هذا. إن الذى يريد أن يعيش فى مصر ويتجنب الانتقاد والسخرية، عليه أن يلبس عمامة ويمضى حياته فى الكرب والغم والقرف والصخرية. وأنا لا أحب الغم والقرف. يعنى فيها إيه لو ذهبت إلى نادى السيارات أو الأوبرج لأروِّح عن نفسى عناء العمل. أليست هذه ديمقراطية أجلس فيها مع الشعب، كأنى واحد منهم. لكنكم تنتقدوننى على ذلك.

قلت: إنهم لم يتعودوا أن يذهب ملكهم إلى ملهى. ولم يسمعوا عن الملوك الآخرين أنهم يفعلون ذلك.

قال: هذه تقاليد بالية. نحن فى عصر حديث.

فسكت إذ لا داعى للمجادلة. لقد فسح صدره لملاحظات لو قيلت لأحد ديكتاتورى القرن العشرين لخرجت إلى جهة لا يعلم أحد من أهلى أين تقع. وإن كنت سعيد الحظ بهذه الجهة من دون شك ستكون سجن القناطر أو طرة أو القلعة.

وقام الملك من مقعده وتوجه إلى وسط الغرفة وقال:

- على كل حال سأريحهم وأستريح منهم. كلها كام سنة وبعدها.. ثم سكت.

قلت: هل أستطيع يا سيدى أن أعرف ما تنوى؟

قال: فسرها كما تريد.

ثم صافحنى معلنًا انتهاء المقابلة.. فخرجت من مكتبه وكلماته تطن فى رأسى، وغرابة تصرفاته تحيرنى إلى أقصى حدود الحيرة.

إنه يريد أن يحارب الشيوعيين، وأن يقبض عليهم لأنهم يهددون عرشه. إنه يحصن نفسه ضد الشعب معتمدًا على الجيش. ولكنه فى الوقت نفسه يفكر فى الخروج من مصر والتخلى عن العرش. وفيما كنت أسير فى ردهات القصر التى لا يسمع فيها وقع الخطى لكثافة السجاد، وغارقًا فى أفكارى، استوقفنى صوت يقول فى لغة عربية ركيكة:

- ازيك يا سعادة البيك.

نظرت إليه وعرفته. إنه تستا الإيطالى، مانيكور الملك وبيديكيره (المختص بقص أظافر اليدين والقدمين).

قلت: سلمك الله. وكيف حالك؟

قال بلكنته الغريبة: هل أنت مسرور مني؟

قلت: يا تستا لم أجربك بعد في قص أظافرى.

فضحك وقال: لا أقصد ذلك. هل أنت مسرور من التقرير الذى أطلعك عليه جلالة الملك عن الشيوعية؟

قلت: وما شأنك أنت بالتقرير؟

فابتسم في استحياء وقال:

- أنا الذى كتبته.

ومضى يعلك رطانته ويمط في فمه ويقول:

- يا سعادة البيك، لا تظن أن تستا بسيط ولا يعرف إلا قص الأظافر.

ووضع إصبعه على رأسه وقال: إن مخ تستا كبير.

قلت: يا تستا لا شيء عجيب في هذا الزمان. ولا شك أن عقلك كبير، لأنك استطعت إقناع الملك بأنك تفهم في الشيوعية.

وودعت ذلك الرجل الذى يقلم أظافر الملك ويريد تقليم أظافر الشيوعية.

ولما خرجت من القصر توجهت فورًا إلى مكتبي في وزارة الداخلية وطلبت ملفات النشاط الشيوعي، ورحت أراجعها. ولم يطل عجبي، إذ وجدت أن أحد التقارير المودعة هو صورة طبق الأصل عن تقرير تستا الذى قدمه إلى الملك. وحققت في الأمر. وعلمت أن تستا على اتصال ببعض موظفي الأمن العام. وأنه يأخذ منهم بعض التقارير، علمًا منهم بأنه ذو حظوة عند الملك، وأملا منهم في أن يقربهم منه.

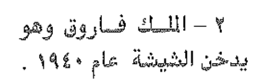
وفي اليوم التالى قابلت وزير الداخلية، وكان رئيسًا للوزراء، وسردت عليه ما حدث. ولما انتهيت من حديثي ضحك قائلا:

- هون عليك. إني أتلقى كل يوم تعليمات من الملك عن مشاريع تسربت إليه من أضابير الوزارات قبل عرضها على مجلس الوزراء بواسطة خدم الملك الخصوصيين أو ما يسمونهم الشماشرجية (الذين يلبِّسون الملك ثيابه)، ويباهيني الملك بأنها نتيجة دراساته واطلاعاته. وهو يقول لي دائمًا بأنه لولا أخذه دائمًا بزمام المبادرة لتعطلت الدولة.

❑❑❑



١ - الملك فاروق وفى صحبته الجنرال رالف راويس قائد القوات الأمريكية فى الشرق الأوسط.



٢ - الملك فاروق وهو يدخن الشيشة عام ١٩٤٠ .



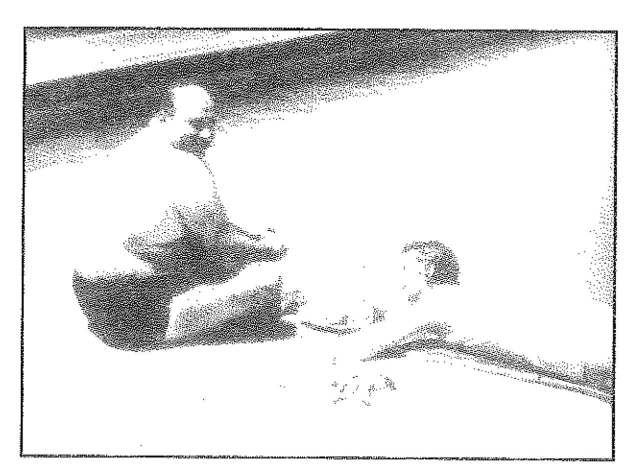


٣ - الحفلة الساهرة في قصر عابدين بتاريخ ٩ مايو عام ١٩٥١ التى أقامها فاروق للهيئات السياسية ، ارتدى جميع نياشينه وقلاداته وعوج الطربوش ..



٤ - الملك فاروق وناريمان أثناء حضورهما إحدى الحفلات بإيطاليا .

٥ - نساء فاروق «ضجيج بلا طحين» .

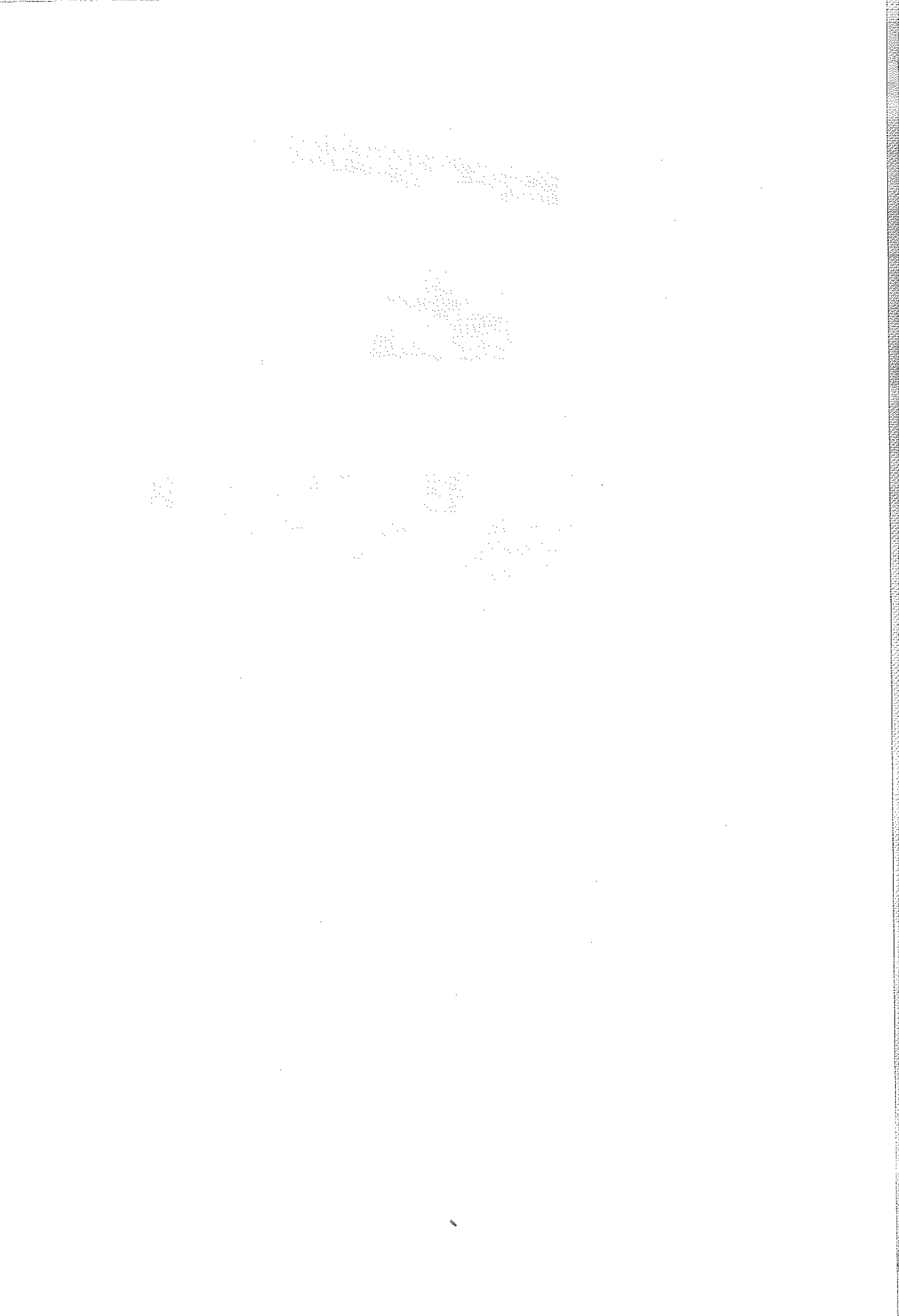


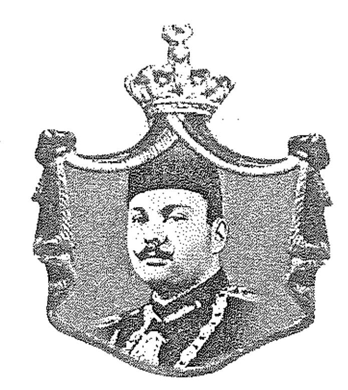
٦ - فاروق يهنئ الفائز الأول في بطولة الشيش .



٧ - مرتضى المراغي .

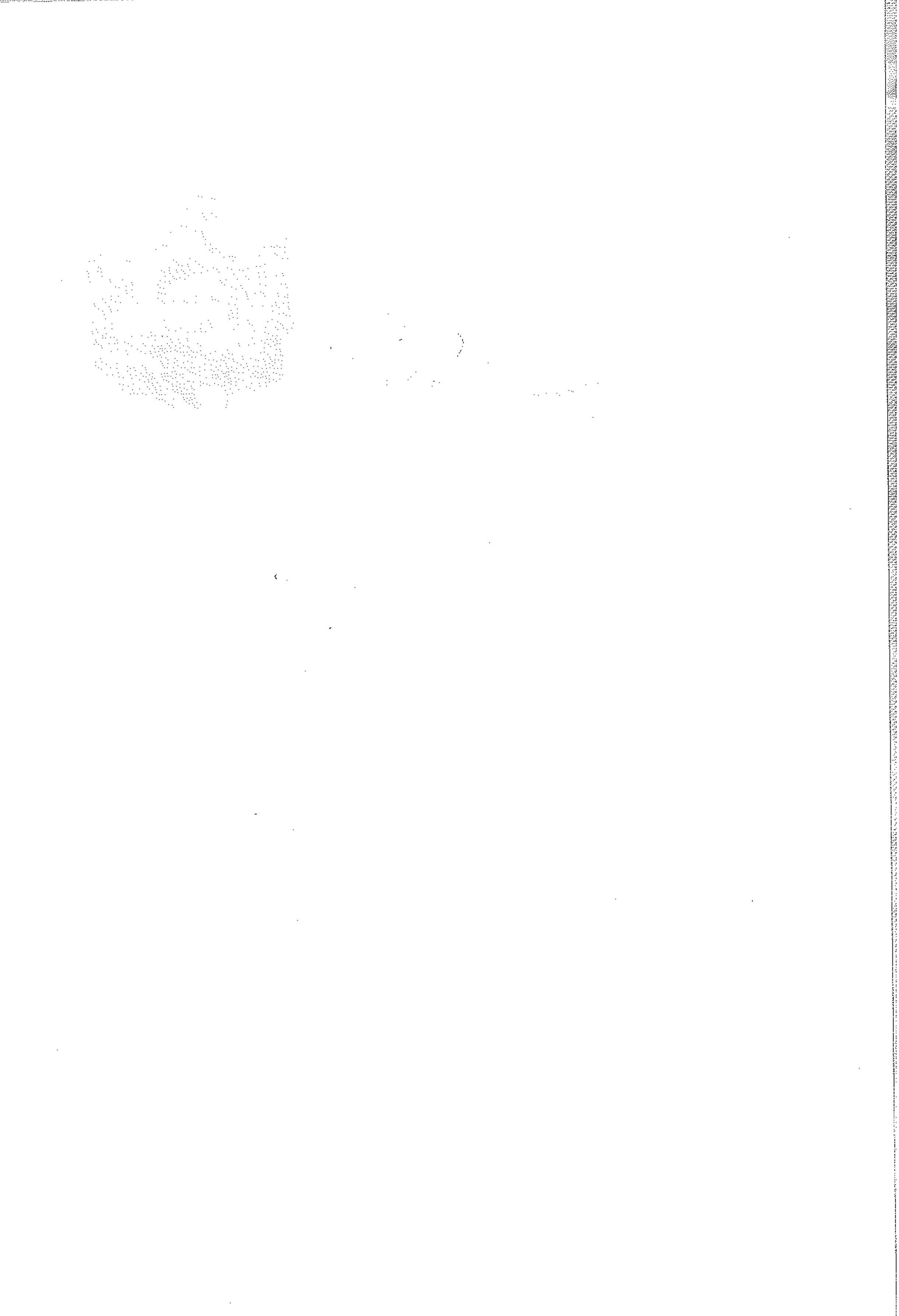






الشيوعية وأولاد الباشوات

- فايزة: فاروق سيقودنا إلى الخراب.
- لماذا استقطبت الشيوعية أولاد الباشوات ؟
- كريم ثابت يوقع تقريرا للملك كشف له عن كل ما يدور فى مصر .
- نجيب الهلالى: فاروق لا يستطيع بطيشه أن نحنى له رءوسنا .



طبيعي أن يخشى الملوك الشيوعية ويحاربوها.. فالشيوعية والملكية بصورة عامة وجهان متناقضان.. والشيوعية هي حلم الفقراء المطحونين الذين فقدوا الأمل فأصبح سهلاً ميسورًا خدعهم بسراب الأماني.. وقد كره فاروق الشيوعية.. واستطاع خدمه وهم يعرفون هذه الصفة فيه أن يتقربوا إليه بواسطة تقارير يحصلون عليها من أجهزة الداخلية عن نشاط الشيوعية في مصر، وكان فاروق يتصور أن هذه التقارير التي تصله من خَدَمُهُ هي تقارير خاصة لا يعرف بها المسئولون عن الأمن في بلده، وكان يحلو له أن يصف نفسه أمام هؤلاء المسئولين بأنه الحاكم الذي يعرف كل شيء في بلده ويتابع بنفسه سير الأحوال فيها بكل همة ونشاط..

والواقع أنه كانت هناك أكثر من منظمة شيوعية موجودة في مصر معروفة لأجهزة الأمن في خلال سنوات الأربعينات. وأستطيع أن أحصر هذه المنظمات كما يلي:

١ – اللجنة المركزية للمنظمة الشيوعية المصرية، وكانت تقوم بإصدار عدة نشرات تخاطب العمال.

٢ – منظمة المقاومة الشعبية، التي كان يرأسها أبو سيف يوسف خلف. وكانت مهمتها توزيع كتب الشيوعية على الطلبة والعمال.

٣ – «نواة الحزب الشيوعي المصري». وكانت تتولى طباعة تقارير ونشرات شيوعية على آلة طباعية أقامتها في مكان سري. ومن أعضائها، بكر عبد الفتاح الشرقاوي ومنصور نسيم منصور وزكي فريد إسكندر وسمير توفيق حنا وجوزيف يوسف (يهودي).

٤ – منظمة «نحو حركة ديمقراطية تقدمية وطنية». وكان يختصر اسمها بكلمة «حدتو». ويرأسها صهيونيان. أحدهما مليونير يدعى كوريل، والآخر يدعى دويك. والأول كان ينفق بسخاء على منظمته، ويعمل تحت ستار التجارة مع إسرائيليَّين هما: أرنولد ريشفيلد، واسمه الأصلي هارون ريشفيلد. وسيمون سيتون. وقد قدما من تل أبيب حين كانا يعملان عام ١٩٤٦ سائقي سيارة. ولهما زميل ثالث هو روبرت روبنسون. وكان حضور الثلاثة إلى مصر. بتكليف من متزعمي الحركة الصهيونية في فلسطين لإمدادهم بما يحتاجون إليه من معلومات عن مصر.

وكتغطية لمهمته أنشأ روبنسون «الشركة الدولية للنقل والهندسة». وشرع فى العمل بالاشتراك مع زميليه ومساعدة المنظمة الصهيونية ومراقبتها. ولكى تضمن الشركة سير عملها الأساسى أخذ مديرها يوطد علاقته مع اثنين من ضباط القسم المختص ومع موظف فى مصلحة الجمارك. واستهلوا عملهم بإنشاء مكتب فى الشقة رقم ٣٨٠ فى عمارة الايموبيليا.

ضابط يحمى عملاء إسرائيل

وفى ٢٨ مايو (أيار) ١٩٤٨، أى بعد ثلاثة عشر يومًا من خوض الدول العربية حرب فلسطين، جاء خادم فى مطعم الارميتاج الموجود أسفل عمارة الايموبيليا إلى قسم عابدين وأبلغه أنه لاحظ أن شخصين إسرائيليَّين يسكنان فى شقة فى «الايموبيليا»، يبدو عليهما الحذر الشديد، وصارا لا يسمحان له بإدخال الطعام إلى شقتهما كالعادة، بعد نشوب حرب فلسطين. بل يتسلمان الطعام عند العتبة، مما دعاه إلى الاشتباه فيهما. وقد قيدت إفادة الخادم بالمحضر رقم ٧٠ أحوال القسم بتاريخ ٢٨/ ٥/ ١٩٤٨. ولكن كانت المفاجأة اتصال الصاغ ك. ر. الضابط فى القسم المخصوص بمركز عابدين قائلا: إن المشتبه فيهما معروفان من قبل القسم المخصوص وطلب عدم اتخاذ إجراءات بحقهما.

إن هذا الضابط مكن كلاً من ريشفيلد وسيتون من الحصول على وثائق سفر مصرية. إذ كان أولهما مجهول الجنسية الأصلية، والثانى من أصل ألمانى. وقد دخلا مصر بجوازين فلسطينيين.

وقد حصلا على وثائق السفر المصرية على اعتبار أنهما يتعاونان مع الأمن المصرى، مما يضطرهما إلى التنقل كثيرًا من أجل القيام بمهمات سرية وخطيرة.

ولما شرع فى التحقيق اتضح أنه لا يوجد فى القسم المخصوص بوزارة الداخلية ملف لريشفيلد أو لسيتون. وقرر الكاتب المختص بأرشيف القسم المخصوص أن المستلم للملف هو الصاغ ك. ر. ثم تبين أن لهما ملفًا فى مركز بوليس القاهرة رقم ٢٧/ ٢٦ C5.

وقد ضبط مكتب الصاغ ك. ر. ووجدت فيه أوراقا كثيرة تثبت صلته بأناسٍ جاءوا من تل أبيب للعمل فى القاهرة.

صحفى يعمل لحساب تيتو والشيوعية

وكان الصاغ المذكور يتعاون مع صحفى يوغوسلافى يدعى توميش زدرافكو، كان ملحقًا صحفيا بالمفوضية اليوغوسلافية فى بودابست عام ١٩٤١. وعندما غزا الألمان يوغوسلافيا حضر إلى مصر

حيث عين في المكتب الملكى للدعاية فى الشرق الأوسط وكتب عدة مقالات فى جريدة «جورنال ديجبيبت» يشيد بمقاومة الجنرال ميخائيلوفتش. وابتداء من عام ١٩٤٢ آخذ زدرافكو يعمل فى الخفاء للحركة الشيوعية وتيتو. ثم أظهر نفسه فى أواخر عام ١٩٤٣ عندما تمكن تيتو من اكتساب ثقة الحلفاء. وحررّ زدرافكو عدة تقارير عن نشاط الجنرال ميخائيلوفتش ساعدت فى اتهام الجنرال من قبل نظام تيتو بأنه مجرم حرب. ثم سافر عام ١٩٤٥ إلى يوغوسلافيا على رأس فريق من ١٢٠ يوغوسلافيا. وفى عام ١٩٤٧ رجع إلى مصر مدّعيا أنه أودع السجن مرتين. وتمكن زدرافكو من العمل فـى الرقابة فى وزارة الداخلية المصرية عام ١٩٤٨. مما سهّل له الإطلاع على جميع مراسلات اليوغوسلافيين ومعرفة المناهضين منهم للنظام الشيوعى. وإبلاغ الحكومة اليوغوسلافية بذلك. ولكن انكشف أمره للسلطات المصرية فصدر أمر بإبعاده. فقصد يوغوسلافيا ليشغل منصبًا هامًا فى البوليس السرى اليوغوسلافى.

وقبل أن أختم هذا الموضوع أشير إلى أنّ عصابة ريشفيلد وسيتون كانت تقوم بالإتجار فى مخلفات الجيش البريطانى وتصدّرها إلى الخارج. ولما أوقفت السلطات المصرية تصدير هذه المخلفات، عمل المذكوران فى تهريب الذهب والعملات الأجنبية تحت ستار توكيل لهما من شركة كروب الألمانية. وكان يساعدهما للأسف ضابط يدعى ع. أ. ج. وموظف جمارك يدعى م. وقد عوقب المذكوران وكذلك الصاغ ك. ر. وكان الثلاثة نقطة سوداء فى سجل رجال الأمن الذين يبلغ عددهم الآلاف ويقومون بأعمالهم بنزاهة وشرف.

منذ سنة ١٩٤٧ ظهرت فى مصر ظاهرة غريبة، وهى قيام عدد من أبناء الباشوات وكبار الملاك بالانضمام إلى المنظمات الشيوعية. وأحدهم كان والده رئيسا للوزراء واسمه ن. أ والآخر كان والده وزيرًا واسمه أ. ب. ح. س. أ. وآخر كان والده محافظا لإحدى المحافظات الكبيرة اسمه م. ع. س. أ. !

وتأصلت فى أنفسهم العقيدة الشيوعية تأصلا صادقًا. وكانت دراستهم للشيوعية دراسة أكاديمية عميقة. وأصبحوا من أكبر دعاتها حتى إن ابن رئيس الوزراء كان يذهب إلى المطبعة جهارًا فى النهار ويطبع المنشورات الشيوعية ويضعها فى سياراته ويتولى توزيعها بنفسه. وقد ضبط مرة ثم أفرج عنه لكنه مضى فى النشر والتوزيع . وابن الوزير ضحّى بحياته من أجل المذهب الشيوعى. إذ اعتقل فى عهد مراكز القوى، وهرس عظم ظهره الفقرى، ومات فى السجن.

والسؤال المطروح : كيف تمكنت العقيدة الشيوعية من شباب مرفّه يعيش فى القصور؟ هل هى هواية مارسوها ضيقا بحياة الترف التى كانوا ينعمون فيها؟

إن الـترف أحيانا يكون مصدرا للتبرم بالحياة، لأن الإنسـان الذى يجد كل ما يريده فى متنـاول يديه بغير كد ولا جهد، لا يرى لذة فى ذلـك. وكم من مرة سمعنا بانتحار أصحاب الملايين لأنهم ضاقوا بالحياة، حين استنفدوا رصيد البهجة منها. ولم يُغنهم رصيدهم المتكدس فـى المصارف عن تعويضهم مـا فقدوه من لذة الحياة. أو لعل فى الأمـر تأنيبًا للضمير. إذ إن هؤلاء الشباب يرون بأعينهم حين يخرجون من قصورهم كيف يلتقط بعض الفقراء الخبز من صناديق القمامة، وكيف يمشون فى الشوارع يلبسون أسمالا لا تستر العورة وخير لى أن أترك تحليل الظاهرة إلى علماء النفس.

حديث غريب مع شقيقة الملك

فى يوم من شـتاء عام ١٩٤٩ حضر إلى مكتبى أحد أصدقائى من أسـاتذة الجامعة، وكانت زوجته إحدى زعيمات الحركة النسـائية فى مصر وعلى درجة كبيرة من الثقافة، إذ تحمل درجة الدكتوراه فى الآداب من جامعة باريس. قال لى: إنه يرجو أن أحضر مأدبة عشاء سوف يقيمها بعد ثلاثة أيام. اعتذرت إليه بمشاغلى.

فقال: ولكن شخصية كبيرة ستحضر العشاء. وقد ألحت علينا فى دعوتك.

قلت: من هذه الشخصية؟

فاقـترب منى، مـع أن الحجرة كانت خالية وهمس فى أذنى: إنها شـقيقة الملك الأميرة فايزة.

قلت: هل تعلم لماذا ألحت فى دعوتى.

قال: لا أعلم. ولكن قد تكون راغبة فى التحدث إليك.

قلت: لا أظنك تأخذها مأخذ الجد ؟

قال: أعلم أن انطباع الناس عنها أنها تتمادى فى اللهو وحياة العبث، ولكنها ذكية جدًا. وحكمها على كثير من الأمور يميل إلى الصواب ويتميز بالنقد المرير.

قلت: وحكم الناس عليها يتميز أيضا بالنقد المرير.

قال صديقى: وما يضيرك أن تقابلها وتستمع إليها؟

فكرت قليلا وقلت: معك حق فليس هناك ضرر.

كان العشاء بسيطا فى ألوانه. مما يدل على أنه ليست هناك كلفة كبيرة بين صاحبة البيت والأميرة. وكانت الأميرة ترتدى ثوبًا بسـيطا يضيف رونقًا ساحرًا إلى جمالها الأخاذ. عيناها

زرقاوان مع شىء قليل من السواد يطفو على الزرقة كتلة من السحاب تعبر السماء، وشعرها الناعم الأسود يجلل رأسها الجميل، ووجهها عاجى اللون وصوتها دافئ وناعم يعبر عن أنوثة صارخة.

مر العشاء فى صمت إلاَّ كلمات خافتة وبعض الضحكات على نكات كان يطلقها زوج الأميرة المخمور. وكانت أحيانًا توجه إليه نظرة تأنيب على بعض نكاته الثقيلة التى كان يعقبها بضحكات عالية صارخة. وكنا نضحك تأدبًا. انتهى العشاء وتوجهنا إلى الصالون لاحتساء القهوة. جلست الأميرة على ديوان وأشارت إلىَّ بأن أجلس إلى جوارها. فجلست. وحضرت القهوة. لاحظت أن يدها ترتجف وهى ترشف فنجان القهوة. ولما انتهت منه وضعته على المائدة وتنهدت ثم نظرت إلىَّ قائلةً:

- كيف الحال ؟

قلت: الحمد الله.

ضحكت ساخرة وقالت: الحمد الله على ماذا؟

قلت: على الحال.

قالت غاضبة: هل تحمد الله على المصائب التى تجرى فى هذا البلد؟

قلت: يا سيدتى فى العالم كله مصائب وليس فى هذا البلد وحده.

قالت: هل تظن أنك تكون سعيدًا إذا انتهى الأمر إلى الخراب الشامل للبلد والخراب لنا جميعا.

- أى خراب تعنين يا سيدتى؟

نظرت الأميرة إلىَّ نظرة غاضبة، وعبس وجهها الجميل، وصاحت، ولكن بصوت منخفض.

- ألا تعلم أن هذا الرجل يقودنا جميعا إلى الخراب؟

قلت: ومن ذا الرجل؟

قالت: أرجو ألاَّ تتظاهر بعدم الفهم فأنت تعرف أننى أقصد أخى «فاروق».

فتحت فمى من الدهشة، ولكن لم أتكلم.

قالت: لا تدهش. نعم! إنه أخى فاروق.

لم تقل أبدا الملك فاروق. وعجبت كيف تتكلم أخت عن أخيها بمثل ما تقوله تلك الأميرة. ولاسيما أن الأخ ملك؟.. لو كانت سيدة أخرى تقول عن الملك ذلك لما كان الأمر مثار غرابة.

ولكنها شقيقة الملك. واستوقفني خاطر طارئ. هل هذا شَرَكٌ موعز به من الملك يريد أن ينصبه لى ولغيرى من رجال الدولة ليعرف حقيقة رأينا فيه؟

وما كدت انتهى من ذلك الخاطر حتى رأيتها تبتسم ابتسامة رثاء وإشفاق ثم قالت. وهى تحدق فى:

- إنى أعلم فى ماذا تفكر. إنك تظن أنى مدسوسة عليك لكى يعرف الملك ما تضمر. ولكنى لست من ذلك النوع. إنى صريحة حتى معه. وقلت له ما قلته لك اليوم. ولكنه لم يعبأ بشيء. ويمضى فى عبثه. إنى ألمس الخطر المحدق بنا جميعا. إن أخى غير طبيعى. وأنا أعلم ذلك عن يقين، لأنى أقرب الناس إليه. ووالدتى تعلم ذلك.

ونعلم أن نصحنا له لا يجدى، لأنه غير طبيعى. إن تصرفاته حتى الخاصة منها نحو أمه وعائلته تدل على أنه مختل العقل. نعم إنه مختل العقل.

أوقفوا فاروق عند حده !

لذت بالصمت، لأنى لم أجد ما أقوله لها. لقد عقدت الأميرة الجميلة لسانى من هول المفاجأة، إلى حد ما. لكن شيئا من الشك راودنى. لا من صدق ثورتها على أخيها، ولكن من الدوافع لهذه الثورة. لأنى أعلم أن أخاها الملك يضعها تحت مراقبة دقيقة من بوليسه الخاص لعلاقات شخصية بينها وبين أحد الشبان الأجانب المقيمين فى مصر.

وبعد تفكير قلت لها: يا سمو الأميرة لماذا لا تجتمعون أنتم أفراد الأسرة المالكة، وتتوجهون إليه شارحين له الأمر وخطورة العواقب.

قالت - هم أسوأ منه. وإنهم جبناء يخافون بطشه، إنه يستطيع أن يحرم أى واحد منهم من لقب الإمارة.

قلت: ألا تخشين أن يحرمك أنت ؟

قالت: لا يهمنى لقب الإمارة ليته يفعل ذلك. ولكنه لن يفعل لأنه يخشى أن أذهب إلى الخارج وأشنع عليه.

قلت: وماذا تطلبين منى أن أفعل ؟

قالت: إنك شاب تشغل منصبا كبيرا فى الدولة. وتستطيع أنت وأمثالك أن تعملوا على إيقاف أخى عند حده.

قلت: ليس الأمر بالسهولة التى تتصورين. ولكن الأمور اذا تفاقمت كونت عاصفة قد تزيل من أمامها المساوئ. لأن المساوئ هشة لا تقدر على تحمل العواصف. أما المحاسن فتبقى

لأنهــا فى صلابة الجبل. وهنــا حضر زوجها التركى وكان يترنح من الســكر وهو يقول: ما هــذه الخلوة، وددت لو أعــرف ما يقول أحدكما للآخر؟ وبعد أن ترنح مرة أخرى، أخرج من جيبــه فنجــان قهوة فارغا وقدمه إلىَّ قائلا: اقرأ ما فى داخلــه. فتطلعت فى الفنجان وقرأت هذه العبارة: إذا كانت لك زوجة جميلة فيجب أن تكون لك سبع عيون. أعدت إليه الفنجان. فصاح متلعثمًا: ما رأيك فيما قرأت؟ قلت له: لا داعى يا سيدى للعيون السبع. يكفى أن يكون الزوج رجلا.

عدت إلى منزلى. واســتلقيت على ســريرى مفكرًا فى ما قالته الأميرة عن أن أخيها مختل العقل. وخصوصا أنها لم تستعمل العبارة بالمعنى المجازى، ولكنها استعملتها على أنها أمر واقعــى. وكانت تعيد العبارة وتشــدد النطق. لقد تعود النــاس أن يقول أحدهم عن الآخر إنه مجنــون اذا تصــرف تصرفا غير مقبول من المجتمع. وهذا كما قلت تعبير مجازى. أما عبارة مختل العقل، والتشــديد عليها، وخصوصا من شــخص قريب جدا إلى من ينسب إليه اختلال العقــل. فإنهــا إذا أضيفت إلى تصرفات الملــك فاروق غير الطبيعية، فيجــب أن نأخذها على محمل الجد. إن الأميرة فايزة كانت موتورة من أخيها، لأنه كان يســتخدم بوليســه الخاص فــى مراقبتها، ولكننى علمت أيضا أنها تعرضت قبل زواجها لأزمة أخلاقية ونفســية عنيفة من أخيهــا، جعلتها تنقطع عن زيارة القصر انقطاعا تاما بل إنها تزوجت على رغم معارضة أخيهــا. ولم تأبه بتهديداته على رغم أن زوجها كان يكبرها فى الســن كثيرا، وهذا نوع من هروب النفس من حالة سيئة إلى حالة أخرى قد تكون أسوأ!

كريم ثابت يحرضنى على كتابة تقرير

ولم يكن الانتقاد الذى سمعته من الأميرة فايزة شــقيقة فــاروق هو الانتقاد الوحيد الذى سمعتــه من أحــد المقربين إلى فاروق، فقد حدث فى أثنــاء وزارة نجيب الهلالى الأخيرة قبل قيــام الثــورة - وكنت وزيرا للداخليــة والحربية فى هذه الــوزارة - أن جاءنى كريم ثابت وكان يشغل منصب المستشار الصحفى لفاروق وكان معروفا إلى جانب ذلك أنه واحد من أقرب المقربــين إليه.. ولكننى فوجئت بكريم ثابت يتحدث طويلا عن ســوء الأحوال التى تمر بها مصر ويسألنى فى النهاية: كيف تسكت على كل هذا ؟..

قلت له: وماذا تريدنى أن أفعل ؟..

قال: ارســل تقريرا للملك بكل ما يجرى، بكل ما تســمع، بكل ما تحس.. بكل الأوضاع «الزفــت» التى نلمســها.. فهى تدل علــى أن المصريين يتحدثون عــن «الاوبرج» الذى يمضى

فيــه الملك كل وقتـه.. وكذلك وعن التعليقات التى تقال عن مكتبه فى نادى السـيارات خلف موائد القمار!

قلـت وأنا أحاول استكشـاف أسـباب حماسـته: وهل أنت مسـتعد أن توقـع معى هذا التقرير؟

قال متحمسًا: مستعد جدا.

وبالفعـل قمت بكتابـة كل ملاحظاتى فى تقرير ضمنته كل الأخطـاء التى يتحدث عنها المصريون.

ومنها سلسـلة الوزارات المتعاقبة منـذ حريق القاهرة، والتى لم تكن تسـمح لوزير بأن يستقر ويحس بالهدوء الأمر الذى انعكس على الأوضاع العامة للدولة.

ووقَّع كريم ثابت التقرير معى. ثم أرسـل التقرير إلى الملك بعد أن أخبرت نجيب الهلالى الذى قال لى مشفقًا: يا مرتضى يا بنى ابعد عن الحكاية دى دلوقتى.

ولكنى قلت له: إن هذا واجب يجب أن أقوم به.

ولم يمض يومان على ارسـال التقرير حتى اتصل بى القصر يحدد موعدا للقاء الملك فاروق فى قصر القبة فى الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم نفسه.

وذهبت إلى الموعد وأخذت مكانى فى الصالون انتظر دخولى إلى مكتب الملك.. وإذا بى أجد كريم ثابت يجتاز الصالون مسـرعا وقد قدم من الخارج فى طريقه إلى مكتب الملك. ولا أعرف هل كان كريم ثابت هو الذى ترك باب المكتب مفتوحا عن قصد، أو أن فاروق هو الذى أشـار إليه بألاَّ يغلق الباب. ذلك أننى عن طريق باب المكتب المفتوح سمعت صوت فاروق يقول لكريم ثابت فى غضب وثورة: اسمع يا بن (...) ازاى تتجرأ وتبعت لى تقرير بالشكل ده؟.

كان واضحا أن الحديث لم يكن موجها إلى كريم ثابت فقط، وإنما إلى الذى اشترك معه فى توقيع التقرير وينتظر فى الصالون مقابلة الملك.

وبعد دقائق خرج كريم ثابت ونظر لى وهو يغمز بعينه ويضحك..

قلت لفاروق: اعتبرنى مستقيلا الآن

كان مـن عادة فاروق عندما أدخل عليه أن يقول لى: اتفضل.. فأجلس.. لكنه فى هذه المرة عندما دخلت عليه لم يقل لى هذه الكلمة فأذنت لنفسى بالجلوس.

قال وهو لا يزال منفعلا: إيه اللى عملته ده؟..

قلـت: أنا سمعـت كل كلمة قلتها جلالتـك لكريم ثابت وأرجو أن المناقشـة مع جلالتك لا تدور على هذا الأساس.

قال: لماذا أرسلت التقرير ؟.

قلت: إننى كوزير اعتبر نفسى مستشارا للملك ومن واجبى أن أوضح له حقائق الأمور..

قال: وهل تخاطب الملوك بهذه الطريقة ؟.

قلت: الملوك يا مولاى تُنصح، وهذه نصيحة.

قال: ولكننى لا أسمح بذلك.

قلت: هذا رأيك يا مولاى وهو يعنى أننى أخطأت: ولهذا فإننى اعتبر نفسى مستقيلا..

قـال فى انفعال: أنـت فاهم أنى مالاقيـش ٣٠ واحدا غيرك.. أنا دلوقـت هاكلم رئيس الوزراء يشيلك ويجيب واحد تانى...

قلت: ارجو أن تعتبرنى مستقيلا منذ هذه اللحظة..

وخرجـت من قصر القبة وذهبت إلى نجيب الهلالى ومعى خطاب اسـتقالة فقد رأيت من واجبى على رئيس الوزراء ألاَّ أرسـل له الخطاب دون أن أقابله، خصوصا أنه لا ذنب له فى ذلك. ولكن نجيب الهلالى أخذ منى الاستقالة بعد أن رويت له ما حدث ومزقها.

قلت للهلالى: ألم يتصل بك فاروق ؟..

قال الهلالى: لا.. ولو كان اتكلم ماكنتش هاقبل..

قلت: ولكنى مصر على الاستقالة..

قـال رحمه الله: وأنا أيضا مصر على عدم قبول الاسـتقالة.. ولازم يفهم أنه لا يسـتطيع بطيشه أن نحنى له رءوسنا.

□□□



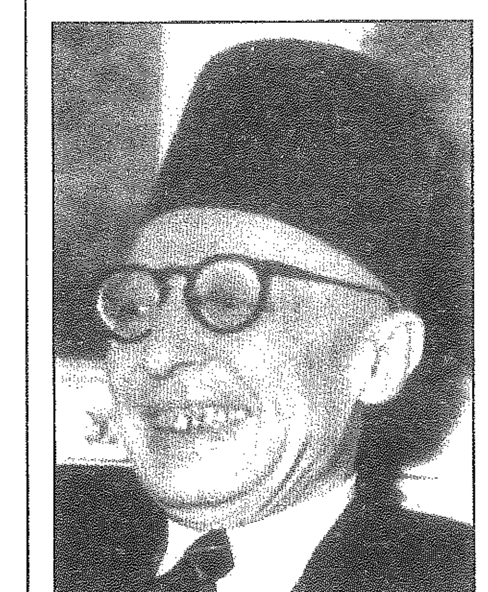
١ - الملك فاروق والاحتفال بليلة القدر .



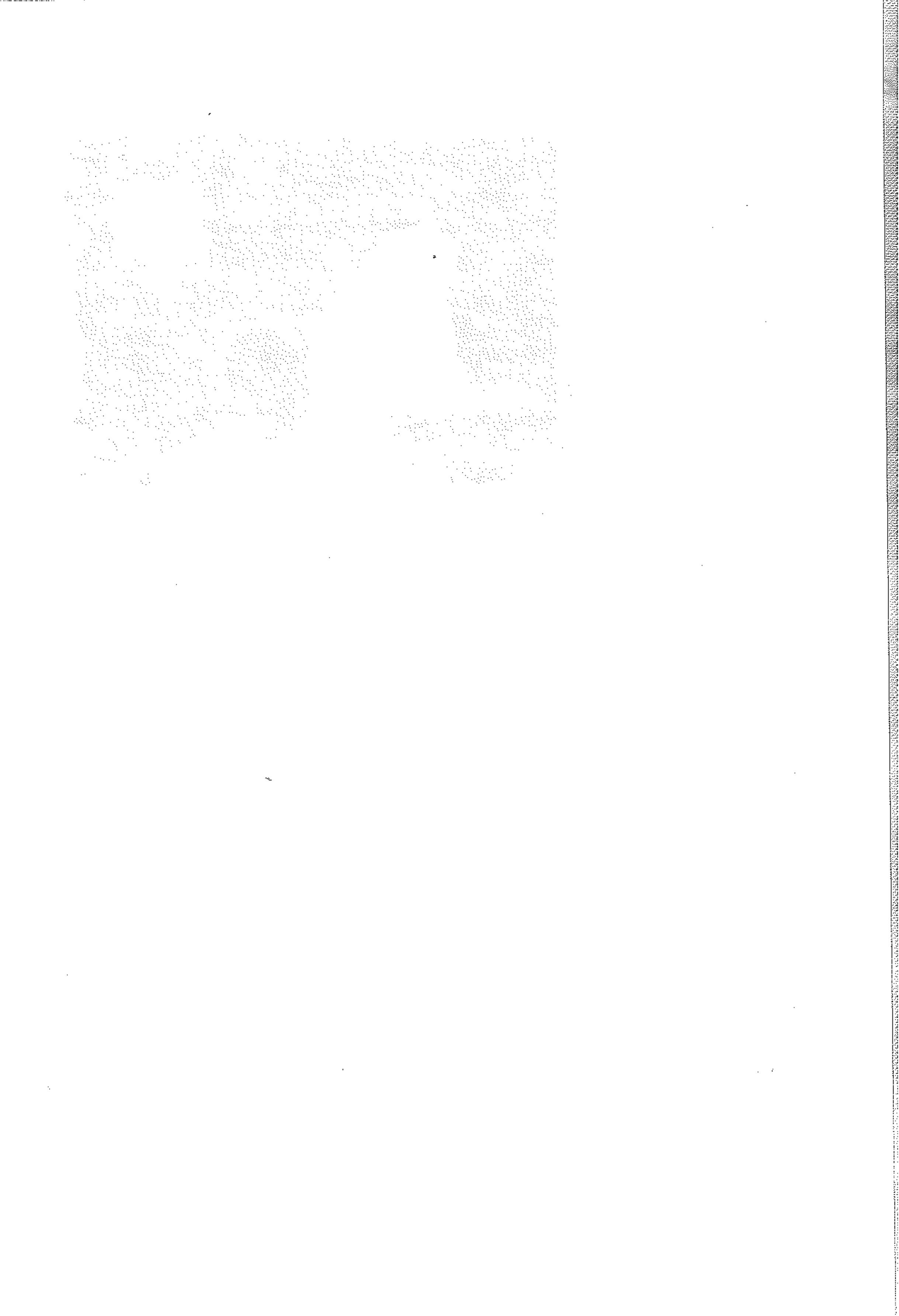
٢ - نجيب الهلالى آخر رئيس للوزراء فى العهد الملكى ينحنى للملك فاروق حتى كاد أن يلامس الأرض !

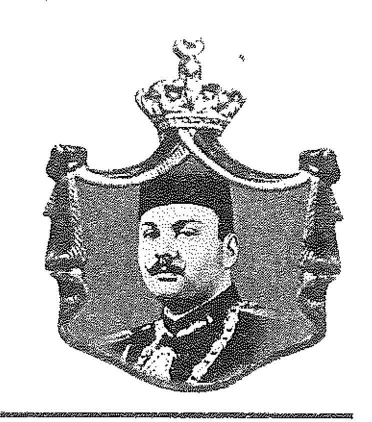


٣ - الأستاذ كريم ثابت يستمع إلى قرار الاتهام الذى يتلوه رئيس المحكمة ويستعد للإجابة عنه . وقد وقف محاميه الأستاذ أحمد رشدى إلى جانبه .



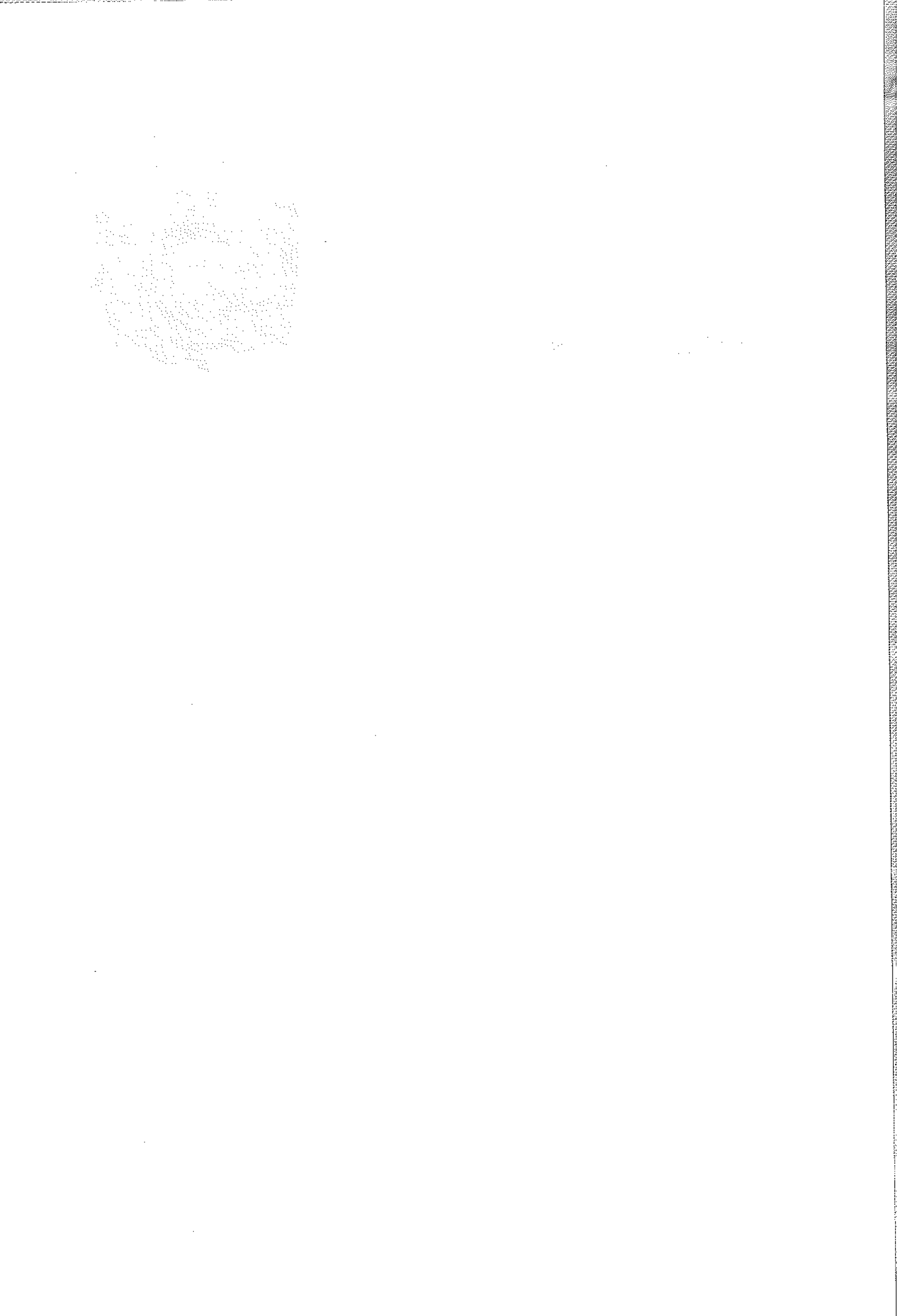
٤ - نجيب الهلالى أول من صك تعبير سيادة القانون .





صراع مع الإخوان

- حسن البنا يحذر من نتائج حل الإخوان.
- لماذا كان فاروق يحب أن يظهر محبا للدين مرتديا مسوحه؟
- كشف بأسماء الإخوان كان سلاح جمال عبد الناصر للقبض عليهم.
- النقراشي قال: إني أعرف ديتها فصدقت نبوءته وقتل في اليوم التالي.



كنت معتادا أن أتوجه كل يوم جمعة إلى حلوان حيث منزل الأسرة لأقضى يوم العطلة وأنعم بدفء حلوان وشمسها فى أيام الشتاء. وفى يوم جمعة من شتاء عام ١٩٤٧ وكنت مديرا للأمن العام. تأهبت للخروج لأتمشى فى الصحراء التى تفصل حلوان عن المنيل. وعند الباب رأيت شخصا واقفا تقدم إلىَّ يحييني. فسألته من هو؟ فقال إنه يحمل إلىَّ رسالة من الشيخ حسن البنا. وسلمنى إياها. فتحتها فوجدت أن الأستاذ قد حضر إلى حلوان ليلقى خطابا فى حفل تقيمه جماعة الإخوان وأنه علم بوجودى فى حلوان ويريد مقابلتى الساعة الخامسة بعد الظهر إذا رأيت ذلك مناسبا. وإلا فلنحدد موعدا آخر للقاء. أخبرت الرسول أنى فى انتظار الشيخ الساعة الخامسة. وقد بدأت علاقتى بالمرحوم الشيخ البنا حين حضر لمقابلتى فى وزارة الداخلية ليطلب منى أن أراجع قرار عقوبة وقعها على أخيه رئيسه الذى كان يعمل برتبة كونستابل فى البوليس. لمخالفة ارتكابها. ولما راجعت أسباب العقوبة، قلت له إن رئيسه محق فى توقيع العقوبة. فقال أرجو أن تسامحه، وسأحاول أن أهديه لكيلا يعود إلى مثلها. وأذكر أنى قلت له: إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء. فأطرق قائلا نعم نعم، قلت له: سأوقف تنفيذ العقوبة ولا أرفعها، فإذا مضى زمن وحسن سلوكه فإنى سأرفعها. وشكرنى وانصرف.

وفى الساعة الخامسة حضر الأستاذ البنا وكان ذا لحية لا هى طويلة ولا هى قصيرة خفيف الخطى سريع الحركة والكلام، آية فى الذكاء. يركز عينيه اللامعتين على محدثه ثم يخفض وجهه ثم يعود إلى التحديق. وكان دمث المعشر حلو الحديث لا يمل منه الإنسان. إذ إن طبيعته الدينية خلت من التزمت. وبعد شرب القهوة وتبادل التحية، قال: اعذرنى إذا قطعت عليك عطلتك. ولكنى وددت أن أختلى بك بعيدا عن مكتبك. لأن عندى أشياء أود أن أقولها وأود منك الإصغاء إليها.

قلت: تفضل ومرحبا بك.

قال: عندى رسالة شفوية أرجو أن توصلها إلى القصر لأنى أعلم أنك الوحيد الذى ستنقلها بأمانة. لقد كنت صديقا للمرحوم والدك (يقصد الشيخ المراغى شيخ الأزهر) وقصدتك شخصيا فى موضوع، وأجبت رجائى فارتحت إليك، كما كنت أرتاح لوالدك.

قلت: وما الرسالة؟

قال: إن رئيس الحكومة يريد حل جماعة الإخوان المسلمين. وهذا قرار بالغ الخطورة وقد تكون له مغبة وعواقب وخيمة أخشى منها كثيرا. إذ إنه لابد أن يقع بيننا وبين الحكومة اصطدام عنيف، ولا شك أنك تدرك ذلك بوصفك مديرا للأمن العام. ونحن الإخوان نشعر بأن رئيس الحكومة (النقراشى باشا) قد جر الملك فاروق إلى خصومتنا، بما أرسله إليه من تقارير وضعها له عبد الرحمن عمار وكيل الداخلية تتضمن أننا نريد قتل الملك ونتبذ تصرفاته.

قلت: يا أستاذ حسن هل تأذن لى أن أدبر لك مقابلة مع النقراشى باشا لعلك تستطيع فيها بلباقتك وحكمتك أن تصفى الجو بينه وبينكم؟

قال الشيخ حسن وهو يرفع يديه: لا أمل فى الوفاق معه، إنى أعرف طباعه. إنه عنيد وإذا ركب رأسه فلن يلوى على شيء. ثم إننا نستطيع أن نصبر على رئيس الحكومة لأنه قد يترك منصبه فى أى وقت، أما الملك فهو باق. أرجوك أن تحمل إليه هذه الرسالة. إن الإخوان المسلمين لا يريدون به شرا. قل له إننا لا ننبذ تصرفاته. إنه يذهب إلى نادى السيارات للعب الورق، فليذهب. وإلى النوادى الليلية ليسهر، فليسهر فلسنا قوامين عليه.

وضحك قائلا: وعلى كل حال نأمل أن يهديه الله.

الإخوان يقبلون الوزارة بلا شروط

سكت مليا، ثم نظرت إلى الأستاذ فوجدته يحدق فىَّ بنظرة نفاذة ليعرف تأثير كلامه.

قلت: يا أستاذ حسن إن رسالتك خطيرة، وسأبلغها إلى الملك، وسأبلغ رأيك فى حل الإخوان وخطورة عاقبته إلى النقراشى.

هزَّ الأستاذ رأسه وقال: إنى أعرف أنه عنيد، وسينفذ رأيه، ولكنى رجوت أن تخبر الملك عله يقنعه بالعدول عن تلك الجريمة النكراء.

وقدحت عينه شررا وقال:

نعم إنها جريمة نكراء يريد النقراشى ارتكابها. هل يظن أننا لعبة فى يده يستطيع تحطيمها بسهولة؟

وانقلب الشيخ الوديع نمرا هائجا، ولكنه عاد إلى طبيعته الهادئة حينما رآنى أنظر إليه، وضحك قائلا:

لا تؤاخذنى إذ نسيت نفسى.

قلت: يا أستاذ حسن، إن الإخوان المسلمين أصبح عددهم كبيرا، وأصبحوا قوة. وخصومكم يقولون: إنكم انحرفتم عن أن تكونوا جماعة دينية، وأصبحتم حزبا سياسيا، لأنكم تقولون: إن الإسلام دين وسياسة، فلماذا لا تتقدمون للانتخاب ليكون لكم نواب يدافعون عن وجهة نظركم؟

قال الشيخ حسن: لقد قدمنا بعض المرشحين من أعضاء الجماعة إلى الانتخابات، لا باعتبارهم إخوانا مسلمين، لأننا نعلم أن الحكومة ستعمل على إسقاطهم، ولكن كمستقلين. ولكن الحكومة عملت جهدها على إسقاطهم. أتدرى يا أستاذ مراغى متى نستطيع دخول الانتخابات بصفتنا إخوانا مسلمين؟

قلت: متى؟

قال: حين يقبل الملك أن يكون لنا فى الوزارة وزيران أو ثلاثة وزراء. عندئذ نعرف كيف نحظى بعدد من كراسى مجلس النواب.

قلت: هل يعنى أنكم تقبلون دخول الوزارة إذا دعاكم الملك من دون شروط؟

قال: نعم من دون أية شروط. لأن وجودنا ضرورى لخدمة البلد. إن برنامجنا الاجتماعى إصلاحى يقوم على أسس قوية.

قلت: يا أستاذ حسن. وماذا يصنع وزراؤكم فى رخص نوادى الميسر والملاهى والبارات والخمر؟

ضحك الأستاذ وقال: هذه قفشة لا بأس بها، ولكن تتعدل. وعسى أن يستطيع وزراؤنا إزالة ذلك المنكر.

قلت: لعل هذا من باب «والله لنخوضن إليكم الباطل حتى نصل إلى الحق». أو من باب الضرورات تبيح المحظورات.

قال الأستاذ: نعم لك الحق. لقد فهمتها جيدا وفسرتها يا أستاذ مرتضى.

□□□

وفى اليوم التالى قابلت النقراشى باشا ورويت له الرواية.

فهزَّ رأسه استخفافا وقال:

كان أحسن لو لم تقابله.

قلت له: بل كان واجبا. ثم أخبرته بأنى سأرسل تقريرا إلى الملك عن مضمون رسالته له فصرخ قائلا:

إنى آمرك ألاَّ ترسل شيئا إلى الملك.

قلت: لقد وعدته.

قال: كيف تعده من دون إذنى؟

قلت: قد أكون أخطأت وأرجوك أن تبلغ الرسالة أنت إلى الملك.

وكنت بالفعل قد كتبت تقريرا بموضوع المقابلة سلمت النقراشى نسخة منه. فصرخ قائلا:

هل تريد أن تفرض على رأيك؟

قلت أعلم أنى موظف فى وزارة الداخلية، وأنت الوزير. ولكنى بصفتى مديرا للأمن العام، أقول لك: إن العواقب خطيرة.

وفى هذه الأثناء دخل عبد الرحمن عمار وكيل الوزارة، وكان النقراشى هائجا مزبد الوجه. فأشار إليه النقراشى بالجلوس، وقال:

انظر ما فعله مدير الأمن وقص عليه الرواية.

وإذا بعبد الرحمن عمار يقول:

على كل حال المسألة منتهية يا دولة الرئيس، فقد انتهيت من وضع قرار حل جماعة الإخوان المسلمين، وسأعرضه غدا على دولتكم لتوقيعه.

هالنى الأمر. فقلت: أرجو يا دولة الرئيس أن تقدر خطورة الأمر وأن تتمهل فى إصدار القرار. إن الإخوان المسلمون يشكلون منظمات وخلايا سرية لاعلم لوزارة الداخلية حتى الآن بأسماء أعضائها. وقد يكون بعضهم داخل الوزارة ومن حراس الأمن. وأنا أعلم أن كثيرين من ضباط الجيش هم من جماعة الإخوان.

قال النقراشى: هل تريد أن نقر الإرهاب وتريد أن نعترف بشرعيتهم. لأنه حكم على بعضهم بالسجن. فهل تسمح لهذه الجامعة بأن تتمادى إلى حد قتل القضاة؟ لابد لى من حل هذه الجماعة.

ثم ضحك وقال: إنى أعرف ديتها، إنها رصاصة أو رصاصتان فى صدرى.

وصدقت نبوءة النقراشى. إذ حين توجه إلى وزارة الداخلية حوالى الساعة التاسعة صباحا، وهم بدخول المصعد، تقدم منه شاب يرتدى ملابس ضابط بوليس وأطلق عليه رصاصة من الخلف

أصابت القلب وتوفى على الأثر. وكانت الوزارة من الخارج والداخل محروسة بما لا يقل عن مائتى شرطى مسلحين جميعا بالبنادق الاوتوماتيكية. والغريب أن أحدا من الذين كانوا فى بهو الوزارة وأمام المصعد لم يحاول أن يطلق على الجانى طلقة واحدة أو يحاول إمساكه. ولعل هول المفاجأة أذهلهم. وخرج الضابط المزيف إلى فناء الوزارة محاولا الهروب. ولكن قبض عليه وتبين أنه من جماعة الإخوان المسلمين.

قتل رئيس محكمة الجنايات

انعقدت محكمة جنايات مصر برئاسة المستشار الخازندار وكان قاضيا يتميز بالعلم الغزير وبنزاهة لا يرقى إليها الشك، لمحاكمة جماعة من الإخوان اتهموا بحيازة متفجرات وأسلحة. وكانت القضية قد عرضت على دائرة أخرى تلقت تهديدات عديدة بالقتل إذا حكمت على المتهمين. وأخذت القضية تؤجل حتى انتهت إلى الدائرة التى يرأسها الخازندار. وطلب محامو المتهمين التأجيل. ولكن الخازندار رفض التاجيل وأصر على النظر فى القضية (على رغم تهديده بالقتل سواء برسائل أم مكالمات هاتفية) لصلابته المعهودة عنه. وحكم فى القضية بحبس المتهمين مدة طويلة بالأشغال الشاقة. وهنا صدر عليه هو حكم الإعدام من محكمة الإخوان ونفذ كما يأتى:

خرج المستشار الخازندار من منزله صباح يوم مشمس من أيام الشتاء فى حلوان بعد أن ودع زوجته وقبل طفليه وأخذ يمشى على مهل من منزله فى الجهة الشرقية من المدينة متجها إلى محطة السكك الحديدية ليستقبل القطار. ولم يبتعد عن منزله أكثر من خمسين مترا حتى انقض عليه شابان أحدهما فى التاسعة عشرة والثانى فى الثامنة عشرة وأطلقا عليه ست رصاصات سقط على أثرها قتيلا. وفر الشابان صوب الجبل المحيط بحلوان. رآهما أحد المارة فأسرع بإبلاغ البوليس الذى انطلق وراءهما. وسمعت زوجة المستشار صوت الطلقات، وأحس قلبها بأن شيئا أصاب زوجها. فخرجت حافية القدمين، ونظرت إلى بعيد لترى جثمانا على الأرض وأشخاصا ينحنون عليه. فجرت إليه لتجده غارقا فى دمائه. وأخذت تحضنه وتناديه وتبكى وتنديه وتصرخ صراخ اليأس. ولحق رجال الشرطة بالشابين وقبضوا عليهما وبدأ التحقيق معهما فى قسم حلوان. وأسرعت بحكم وظيفتى إلى القسم لحضور استجوابهما. رأيتهما هادئين باسمين. كان أحدهما ضخم الجثة طويلا وكان الآخر قصيرا نحيفا. وبدأ وكيل النيابة التحقيق، وسأل أولهما عن اسمه. فأجاب ولماذا تريد معرفة اسمى؟ وسأل الثانى

فأجاب اســأل زميلى يقل لك اسمى. وضحك، فنهرهما وكيل النيابة وأعاد السؤال. فذكر كل منهما اسمه؟ وســألهما هل أطلقا الرصاص على المتشــار الخازندار؟ فردا بكل برود: ومن هو الخازندار. ثم امتنعا عن الرد على أى ســؤال. فتوقف وكيل النيابة عن التحقيق. ولكن أحد رجــال البوليس حاول التكلم معهما فضحكا ولم يردا عليه. فســكت. وبعد ذلك مال الصغير النحيف على أذن الضخم وأسر إليه شيئا استغرق بعده فى ضحك مكتوم حتى دمعت عيناه.

فقلت له: هل أستطيع أن أعرف ما الذى أضحكك؟

فرد مبتسما:

أصل صاحبى هذا خفيف الدم، وقال نكتة حلوة. وهو دائما يسلينى بإلقاء النكت.

تملكنــى غضب وحنق لا حد لهما. قاتلان يقتلان مستشــارا علــى درجة ممتازة من العلم والخلق، ويرملان زوجة شابة، وييتمان طفلين، ولا يأبهان بشىء، ولا يحسان بفداحة الجرم الذى ارتكباه، ثم يتماديان فى الاســتهتار بالمحقق ورجال الأمن. ويتبادلان النكات بدلا من الرد على أســئلة وكيل النيابة. لابد أن يكون فى الأمر شــىء. إنهما لا يتصرفان كأشــخاص عاديــين لهم عقــل وتفكير. هل هما مجنونان؟ لم أجد دلالة واحــدة على هذا الافتراض. هل تناولا شيئا من المخدر؟ وهنا تذكرت تقريرا قدمه أحد ضباط الشرطة.

تقرير عن محكمة الإخوان

يقــول هــذا التقرير: إنــه كان للإخوان المســلمين محكمة تنعقد لمحاكمــة من تعتبرهم الجماعــة خصوما لهــا أو خونة فى حق الوطن والدين. وحين تصــدر حكمها على أحد منهم بالقتل أو بنســف داره، فهى تختار بضعة من الشــبان تتراوح أعمارهم بين الثامنة عشــرة والعشرين. وتلك هى السن التى تجرى فيها الدماء حامية فى عروق الشباب ورءوسه وتحوم فيها أطياف البطولة وخيالاتها على العقل، ويضطرب فيها الجســد والفكر فى فترة الانتقال الزمنــى من مرحلــة الطفولة المتاخرة إلى مرحلة الصبا المتقدمة. ثم تعد حجرة تضاء بشــموع قليلة ويطلق فيها البخور يعبق فى الحجرة وتنطلق فى أرجائها سُــحُبُه مضفية عليها رهبة المعبد وقداسته. ويؤمر الشباب بالدخول إلى الحجرة عند منتصف الليل بعد أن يخلعوا نعالهم خارجهــا ليجدوا منصة مرتفعة قليلا عن الأرض مفروشــة بالســجاد وعليها وســائد مغطاة بالسواد يتكىء عليها شيخ يرتدى قلنسوة سوداء عيناه نصف مغمضتين وبيده مسبحة طويلة. فيجلســون أمامه بعد أن يرشدهم من أدخلهم إلى أماكن جلوسهم قبالة الشيخ. ويمضى الشيخ

فى همهمته وتمتمته ويدير حبات المسبحة والبخور ينطلق، والشيخ لا يزال مطرقا لا ينظر إليهم. وعيون الشباب تختلس النظر إليه. ويمضى فى صلاته الخافتة قرابة نصف الساعة. وتتعطل حواس الشباب عن التفكير فى أى شىء حتى لينسون أنفسهم. ثم يفتح الشيخ عينيه ويحدق فيهم طويلا. وتنحسر من الرهبة أبصارهم. وكأن له عينا يشع منها مغناطيس عجيب. إن تحديقه فيهم يخدرهم ويسلبهم القدرة على الحركة. والبخور يدغدغ إحساسهم وكأنه يدخل رءوسهم لتخيم سحبه على عقولهم ثم يقوم الشيخ متثاقلا ويقول لهم: حان وقت صلاة الفجر. ويصلى معهم ذاكرا فى صلاته آيات الذين يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ولهم الجنة. وتنتهى الصلاة ويصمت برهة ثم تدوى منه صيحة عالية: هل أنتم على استعداد للاستشهاد فى سبيل الله؟ فيقولون نعم. وهل أنتم مستعدون لقتل أعداء الله؟ فيقولون نعم. هل تقسمون على الوفاء بالعهد؟ فيقولون نقسم. فيقدم المصحف ليقسموا عليه ثم يقول: أستودعكم الله وموعدنا الجنة.

ويخرجون وفى عزمهم شىء واحد القتل والنسف.

قد يكون التقرير الذى قدمه الضابط إلى وزارة الداخلية مبالغا فيه، أو فيه شىء من الخيال. ولكن قد يكون متمشيا مع الأسلوب الذى سار عليه قاتلا المستشار الخازندار. أما أنا فلا أريد أن اتهم زعامة الإخوان المسلمين التى يرأسها الشيخ حسن البنا بنية القتل ولكن الجهاز السرى الذى كان يرأسه السندى. كان أقوى من أن يكبح جماحه أحد.

قنبلة زمنية لقتل كل القضاة

بعد موت النقراشى، عين الملك إبراهيم عبد الهادى، وهو عضو بارز فى حزب السعديين الذى كان يرأسه النقراشى- رئيسا للوزراء. وكان فى عزمه شىء واحد، وهو أن ينتقم لزعيمه وأن يقضى على جماعة الإخوان. فجردت الحكومة عليهم حملة لا هوادة فيها. وقبض على عدد كبير منهم أودعوا السجون، وادَّعى الكثير منهم أنهم لاقوا معاملة وحشية تناولت تعذيبهم وضربهم وحرمانهم من الطعام وزيارة الأقارب. ولم ترهب الحملة الإخوان فأرادوا أن يعملوا عملا يحدث دويا مروعا يدل على أنهم أقوياء، وأن حكومة عبد الهادى لم تقدر على قص جناحهم. وكان ذلك العمل سيحدث دويا مروعا حقا بل خرابا شاملا وضحايا كثيرة لو تم تنفيذه. ولولا المصادفة الحسنة لوقع ذلك الخراب. فقد كان أحد الجنود ممن انتهت خدمته اليومية يسير فى فناء محكمة الاستئناف العالى. فوجد سيارة جيب فيها صندوقان خشبيان

كبيران، وعلى بعد منها سيارة جيب فيها شخصان جالسان وشخص آخر قادم إليهما من ناحية السيارة الجيب. وتذكر رجل الشرطة أنه رأى وجه الشخص القادم من الجيب، وأنه يعرف ذلك الوجه. وعصر فكره قليلا ليتذكر أنه عضو فى جماعة الإخوان المسلمين. فجرى وراءه ليسأله هو ومن يركبون الجيب عن هويتهم. وعند اقترابه منهم أدركا أنه عرفهم. فقفزوا من السيارة وركض الثالث وضاعوا وسط زحام الجماهير. وأسرع الجندى إلى مركز الشرطة ليلقى إليهم باشتباهه. ولم يتردد ضابط المركز فى طلب خبير بالمفرقعات. وانتقل الجميع إلى عربة الجيب المحملة. ووجدوا أن الصندوقين متصلان بقنبلة زمنية، وفيهما كمية من الديناميت لو انفجرت لدمرت دار القضاء العالى بما فيه من قضاة يبلغ عددهم مائتين ومتقاضين يبلغون الألوف، بل وكانت دمرت جزءا كبيرا من الحي.

أما الصيد الثمين الذى لا يقدر بثمن لحكومة إبراهيم عبد الهادى فقد عثر عليه فى أحد المنازل عند تفتيشها. حين وجد سجلا كاملا يحوى التنظيم والخلايا السرية لجماعة الإخوان المسلمين وأسماء أعضائها كاملة. ومن المصادفات العجيبة أن هذا الكشف الذى أودع فى أضابير إدارة الأمن العام أيام حكم إبراهيم عبد الهادى، كان أثمن هدية تلقاها المرحوم جمال عبد الناصر من حكومة ما قبل الثورة. لأن هذا الكشف للتنظيم السرى ساعد عبد الناصر فى القضاء على الإخوان المسلمين، بعد حادث الاعتداء عليه وهو يخطب فى ميدان المنشية فى الإسكندرية إذ أطلق عليه أحد جماعة الإخوان النار ولم يصبه. وكان عبد الناصر معهم بالغ القسوة، إذ شنق اثنى عشر من كبار زعمائهم ونكل بأعضاء التنظيم السياسى تنكيلا شنيعا إذ أودعوا بالآلاف فى السجون والمعتقلات وعذب بعضهم حتى الموت، وحرمت أسرهم من معاشهم.

ولعلها مفارقة عجيبة أن إبراهيم عبد الهادى حكم عليه فى عهد الثورة بالإعدام، لأنه عذب الإخوان المسلمين، ثم خفف الحكم إلى الأشغال الشاقة المؤبدة.

مصرع الشيخ حسن البنا

كان الشيخ حسن البنا يعلم أن أيدى كثيرة تتربص به لقتله. فكان يحتاط لنفسه كثيرا ويسير دائما بصحبة حرس. ولكن الأيدى المتربصة كانت وراءها عيون ترقب تحركه ليل نهار وتتبع خطاه أينما سار. وكانت الأيدى المتربصة أيدى قوية تدعمها رءوس كبيرة تخشى من الشيخ حسن البنا أن يطيح بها كما أطاح حسب اعتقادها بالخازندار والنقراشى وأحمد

ماهــر. وكان الحرس الحديدى قــد عجز عن قتل النحاس مرتــين، ولم يعد هناك صبر على تجربة ثالثة لو فشلت، فقد تجد ردا صارما.

لقد وجد الراغب في القتل له من ينفذ جرائمه فلم لا يجرب؟ إنه ضابط بوليس كبير. كان يقتل المجرمين أو ذوى الشــبهة. وأصبح الإقليم الذى يديره نظيفا منهم واســتحق على ذلك ثناء ومكافأة. ولقد تنبه إليه رجال الحاشية، فعهدوا إليه أمر الشيخ حسن البنا. ولم يتردد هو بدوره فى القيام بالمهمة الموكولة إليه.

وذات ليلة خرج الشــيخ حســن البنا لزيارة أحد أصدقائه، ولم يصحبه حرسه لأن صديقا له اســتعجل لقاءه. وطلب الشيخ البنا حرســه ولم يكن موجودا، فخرج بغير صحبتهم. ولم يدر أن ســيارة كانت فى انتظاره وأنها أخذت تتبع سيارته. ويشاء سوء حظه أن يكون منزل صديقه فى جهة غير آهلة بالســكان وغير محروسة بالشرطة. وهم الشيخ بالنزول فتقدم أحد الذين كانوا فى السيارة الثانية وأطلق النار. أصيب الشيخ إصابة بالغة ولم يمت. وأسرع المارة إلى مركــز البوليس يخطرونــه بالحادث وانتقل البوليس. ولكن الإســعاف لم يحضر إلا بعد مرور ســاعة على إصابة الشــيخ حســن البنا، وكان دمه قد نزف كله. فهل أبطأ البوليس فى إخطار الاسعاف أو أبطأ الإسعاف الذى نقله إلى المستشفى فى حال ميئوس منها؟ الجواب عند الحرس الحديدى الثانى والرءوس الكبيرة. وقد حدثت ليلة قتل الشيخ البنا قصة طريفة. فقد كان يوســف رئيس الحرس الحديدى يســمع الراديو فى آخر نشرته الإخبارية. فسمع خبر الاعتداء على المرحوم الشــيخ البنا. فذهب إلى التليفون وطلب جناح الملك فى القصر. فرد عليه أحد أتباع الملك. فأخبره أنه يريد التحدث إلى الملك. وعاد رجل الحاشية يقول:

قل لى ماذا تريد لأن الملك مشغول.

فقال له: أرجو ان يكون جلالته مسرورا منا.

رجل الحاشية: مسرور على ماذا؟

قال يوسف: على قتل حسن البنا.

فضحك رجل الحاشية وذهب وأخبر الملك. وعاد يقول: مولانا يقول لك اتلهى على عينك ما شأنك أنت... انهم غيرك!!

الهضيبى يطلب مقابلتى

فى منتصف شهر مايو (أيار) ١٩٥٢ اتصل بى صديق هو الأستاذ محمود عبد اللطيف، وكان يشــغل منصب رئيس نيابة وفى الوقت نفســه كان عضوا بارزا فى جماعة الإخوان المسلمين.

ويعنى هذا طبعا أنهم لم يكونوا يخافون على أنفسهم من أن تنكل حكومة الهلالى الذى كنت وزيرا فيها بهم.

قال الأستاذ عبد اللطيف: إنه يريد مقابلتى. ولما تقابلنا قال: إن غرضه من زيارتى أن يجمعنى فى منزله بالأستاذ الهضيبى خليفة الشيخ حسن البنا.

قلت: هل تكلمت مع الهضيبى فى ذلك؟

قال: نعم والهضيبى يرحب بالاجتماع.

وحددنا عصر يوم للاجتماع. وذهبت فى الموعد إلى منزل عبد اللطيف فى شارع الهرم، ووجدت فى حديقة المنزل عدة أشخاص جالسين عرفت منهم الشيخ الباقورى وعبد الحكيم عابدين. أما الهضيبى فكان جالسا على فوتوى ضخم. حييت الجميع ثم انتقلنا إلى داخل المنزل. وأجلسنى عبد اللطيف مع الهضيبى فى كنبة واحدة وقدم الشاى. وأخذ عبد الحكيم عابدين بالمبادرة فرحب بوجهه الضاحك دائما. وقال: إن الإخوان يكنون لى حبا كثيرا (مع أن معلوماتى عكس ذلك) وإنهم يريدون معى حوارا مثمرا.

قلت: وأنا بدورى أريد حوارا مع الإخوان صريحا وإنى أرحب بالاجتماع معهم، لأنى أرغب التكلم فى أشياء كثيرة تدور فى البلد ويقوم الإخوان بدور كبير منها، وأنى أرجو أن تتعرفوا إلىَّ شخصيا لا عن طريق الشائعات التى يطلقها قسم الدعاية فى منظمتكم.

قال عبد الحكيم عابدين: إننا لا نطلق عليك شائعات.

قلت: يا عبد الحكيم لست وحدى الذى تطلقون عليه الشائعات. إن قسم الدعاية عندكم لم يترك وزيرا أو سياسيا أو نائبا أو صحفيا شهيرا إلا وأطلق عليه أشنع التهم ومرغ به وبسمعته السياسية أو الشخصية فى التراب.

ثم سكت. ولاحظت أن الهضيبى صامت ينظر حينا من خلف نظارته إلى السقف وحينا إلى البساط. فطلبت منه أن يتكلم وقلت: ما رأيك. ولكنه هز رأسه قائلا: أرجو أن تكمل.

استأنفت كلامى وقلت:

يا أستاذ هضيبى، لو أنكم اتبعتم الوسائل السليمة فى دعوتكم ودعوتم إلى سبيل ربكم بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلتم بالتى هى أحسن، لما وقع ضدكم ما وقع من اضطهاد، ولما قتل المرحوم الشيخ حسن البنا. لأن العنف يولد العنف ولا توجد حكومة تقابل القوة باللين والمهانة.

أنتم شعاركم الإخوان سيف ومصحف، والإخوان رهبان الليل وفرسان النهار، وقد طبقتم شعاركم بالقتل والنسف. إنكم الآن تجمعون كميات كبيرة جدا من الذخائر، فماذا تنوون أن

تصنعوا بها. إن فى منظمتكم عددا كبيرا من ضباط الجيش والبوليس، وقد أمكنكم تنفيذ ذلك بما سميتموه مشروع السنوات الخمس.

وبمقتضى هذا المشروع يقسم الإخوان أنفسهم على المدارس والكليات فى الجامعة والكليات العسكرية، وبعد خمس سنوات يكون قد تخرج منهم ضباط بوليس تسعَوْن لإدخالهم فى القسم السياسى فى وزارة الداخلية وحرس الوزراء، وضباط فى الجيش ليدخلوا إدارة المخابرات العسكرية والحرس الملكى، ومهندسون ليلتحقوا بمصلحة التليفونات والسكك الحديدية. وبذلك تكون فى أيديكم المراكز الحساسة فى البلاد للقيام بعمل انقلاب.

وهنا لاحظت اصفرارا على وجوههم جميعا ونظرات يتبادلونها فيها شيء من الهلع.

وتابعت: نحن الحكومة نعرف ذلك ونسكت عليه لأن حجتكم من جمع الذخائر هى محاربة الإنجليز فى القنال لطردهم. ولكن نعرف أيضا أنكم تريدون قتل الملك وقتل كثير من الساسة. لقد ضبطنا من أسبوع عامل المصعد فى قصر القبة وهو يحمل مسدسا. ولولا أن الملك بات ليلة خارج القصر لقتله عامل المصعد. وهذا العامل عضو فى جماعة الإخوان. فماذا تقول يا أستاذ هضيبى. مع أن الملك استقبلك فى قصره على أثر تعيينك رئيسا للجماعة، وأفاضت الصحف فى وصف حرارة الاستقبال وثقة الملك بك.

ولما لم يرد الأستاذ الهضيبى مضيت قائلا: اسمع يا أستاذ لقد طلب منى صديقى عبد اللطيف أن أقابلك. وها أنا ذا أقابلك على أساس أن نتكلم على الحال الحاضرة. وأود أن أعرف منك وجهة نظركم ومآخذكم عليها. وأعدك بأن أتعاون معكم على القيام بإزالة كل ما نراه مخالفا للمصلحة العامة.

ولكن الأستاذ الهضيبى ظل ينظر إلىّ مشككا كأننى أحاول جره إلى مصيدة دون أن يرد.

قلت: يا أستاذ هضيبى هل ترى كل شيء على ما يرام؟

قال الهضيبى: إننى لا أجد شيئا يدعو إلى الملاحظة.

قلت: أرى أنك لا تثق بى. فهل تثقون بأمريكا أكثر منا؟

قال عبد الحكيم: ما هذا يا أستاذ مرتضى.

قلت: نعم! إن الأمريكيين يرون فيكم حاجزا قويا ضد الشيوعية، باعتبار أن دعوتكم إسلامية وأن الإسلام ضد الشيوعية. ويحاولون كثيرا الاتصال بكم.

قال عبد الحكيم عابدين: قد يكونون متفقين معنا فى وجهة النظر.

كل ذلك والهضيبى لا يتكلم.

قلت: يا أستاذ هضيبى، أليس لديك شيء تقوله؟

قال الهضيبى: وماذا تريد أن أقول؟

قلت: لقد جئت إلى هذا الاجتماع بقلب مخلص لنتعاون معا على إزالة أسباب تذمر الشعب، لكنى أرى بوضوح أنك لا تريد ذلك. ولا أدرى لماذا طلب إلىَّ أن اجتمع بك.

ووجدت ألاَّ فائدة من الحوار ونهضت مسرعا وانصرفت. وأنا أرى أن البون شاسع بينه وبين المرحوم الشيخ حسن البنا.

ولابد لى هنا من أن أقول كلمة عن الإخوان المسلمين.. فقد بدأ الإخوان دعوة أساسها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من الناحية الدينية، ثم العمل على نشر العدالة الاجتماعية والمساواة بين الطبقات وإنهاء الاحتلال البريطانى. ولقيت دعوتهم صدى كبيرا فى نفوس الشباب الذين لم تتدنس نفوسهم بعد بالفساد وهم يتطلعون إلى مستقبل أفضل لهم ولبلادهم ويريدون أن يمحوا عار الاحتلال البريطانى عن وطنهم. وأخذت الجماهير تتسابق إلى الالتحاق بالدعوة. ووجدت الحكومات فى هذه الدعوة خطرا عليها فحاربها الوفد ثم حزب السعديين من بعدهم. وكان القصر يخشاها أكبر خشية. وساعد على محاربة الدعوة، الاغتيالات السياسية وعمليات النسف التى قام بها التنظيم السرى للإخوان. وفى اعتقادى أن التنظيم السرى كان المارد الذى عجزت الهيئة العليا للإخوان عن وضعه فى القمقم بعد خروجه وانطلاقه وإنى أذكر ان المرحوم الأستاذ البنا حينما روع بالاغتيالات التى قام بها بعض الإخوان، وقد صرح فى الصحف بأن هؤلاء القتلة ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين. إنى أعرف الكثيرين من الهيئة العليا للإخوان ولى منهم أصدقاء أعتز بصداقتهم، ولهم من سماحة الإسلام وأخلاقه الشىء الكثير، ولا أعرف عنهم نزعة الشر والقتل. وأظن أنه جاء وقت أصبحوا فيه لاحول لهم ولا قوة إزاء التنظيم السرى.

وأن الأستاذين البنا والهضيبى كانا غير قادرين على الحد من قوة الجهاز السرى والتسلط عليه.

□□□



١ – الملك فاروق .



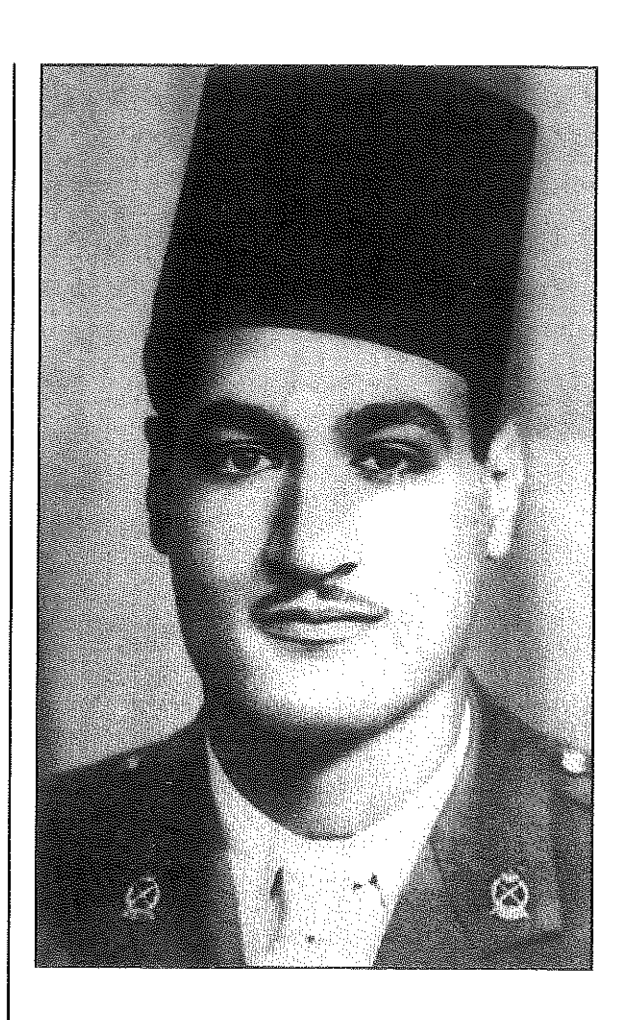
٢ – الملك فاروق يستمع منصتا إلى الشيخ الشعشاعى .



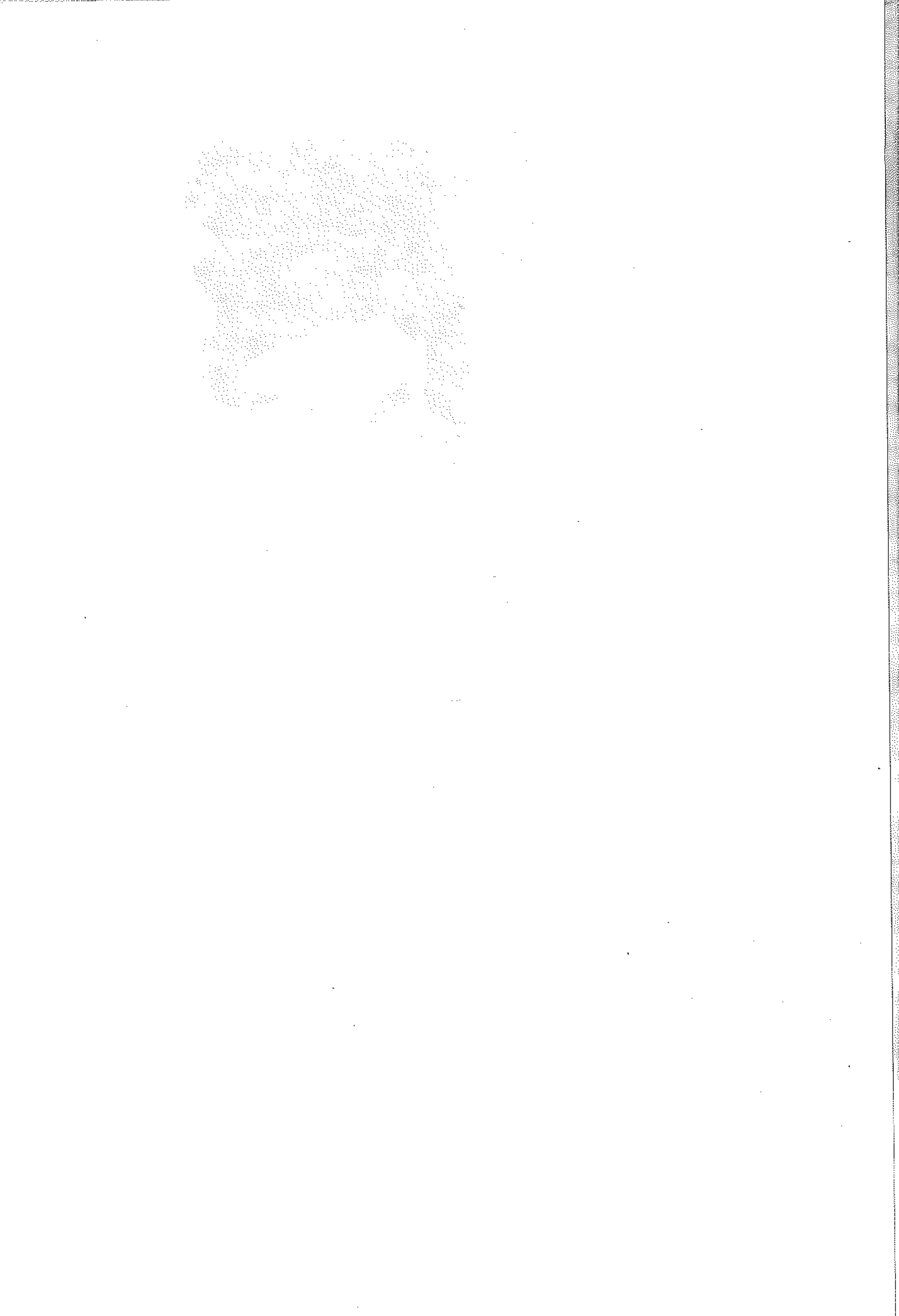
٣ - إبراهيم عبد الهادى الكشف الذى ضبطه استخدمه عبد الناصر للقبض على الإخوان المسلمين .

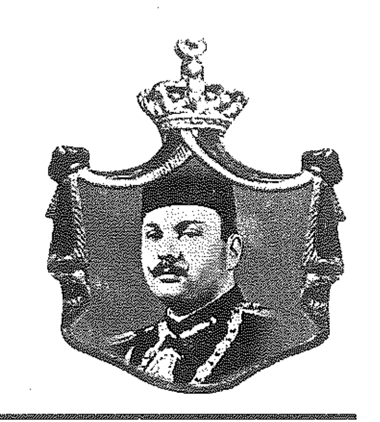


٤ - حسن البنا أطلق عليه الرصاص ولم تحضر عربة الإسعاف حتى نزف دمه كله .



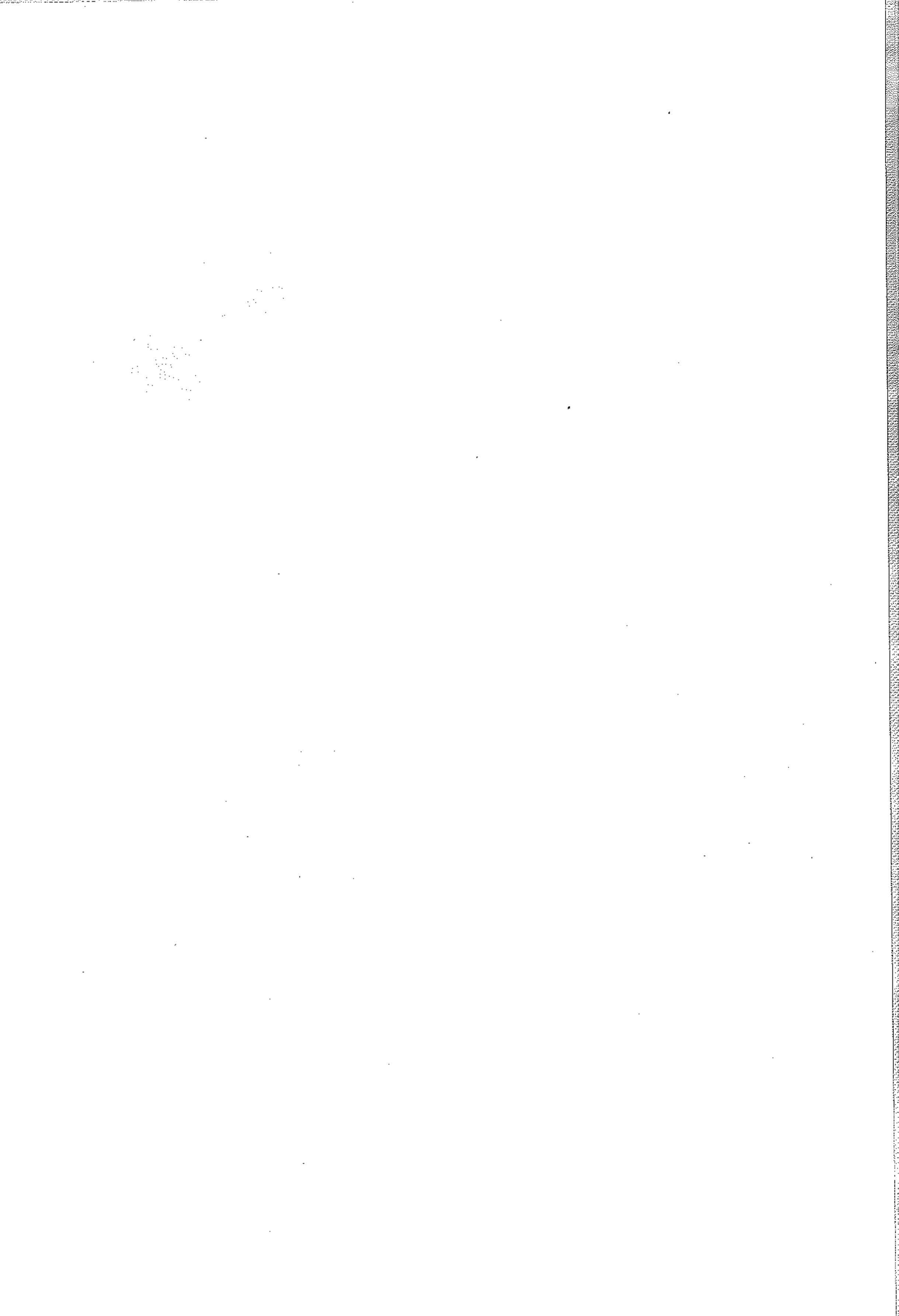
٥ - اليوزباشى جمـــال عبد الناصر أثناء وجوده فى العلمين عام ١٩٤٢ .





أزمة مع علي ماهر

- سر أزمة فاروق مع علي ماهر بعد يومين من تولي الوزارة .
- فاروق يهوى العبث بالدستور والقانون .
- نجيب الهلالي عرض عليه فاروق رئاسة الوزارة ولكنه اعتذر ورشح «علي ماهر» .



في أعقاب حريق القاهرة يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ أقال الملك فاروق مصطفى النحاس من الوزارة، وهكذا سجل الوفد أنه لم يحكم فترة نيابية كاملة طوال حكم فاروق من ١٩٣٧ إلى ١٩٥٢.

اختار فاروق خليفة للنحاس باشا خصمه اللدود «علي باشا ماهر» الذي كان يناهز السبعين من عمره عندما تولى رئاسة الوزارة يوم ٢٨ يناير ٥٢، لكنه كان يسير كأنه في الثلاثين.

كان علي ماهر قصير القامة ممتلئ الجسم ذا عينين ضيقتين تجولان في محجريهما بسرعة، له شارب كثيف يغطي شفة يلويها وهو يبتسم وكان شعره فاحم السواد لا تجد منه شعرة واحدة بيضاء لأنه كان يصبغه صبغة محكمة والرجل له ماض حافل في تاريخ مصر السياسي فقد كان عميداً لكلية الحقوق، ثم وزيراً في وزارة إسماعيل صدقي التي عطلت دستور سنة ١٩٢٣، ثم رئيسا للديوان الملكي للملك فاروق على أثر توليه العرش في الثامنة عشرة من عمره وهو الذي أشار على الملك فاروق بإقالة النحاس باشا زعيم الأغلبية من الحكم بخطاب وقح. ولم يتعرض رئيس للوزراء من قبل لمثل ما تعرض له في هذا الخطاب من مهانة وإذلال. إذ كان طعناً صريحاً في طريقة الحكم وقد حل البرلمان طبقاً لمشورة رئيس ديوانه. وكانت أول ضربة يوجهها الملك فاروق إلى الدستور والحياة النيابية ولا شك أن المسئول الأول عنها هو علي ماهر. إذ إن الملك في سن الثامنة عشرة لا يعقل أن يصل فهمه للأوضاع السياسية إلى أن يتهم رئيس الوزارة ورئيس حزب الأغلبية بسوء الحكم، وأن يقدم على إقالته وهو متمتع بثقة البرلمان الكاملة إلا إذا كان مستشاره الأول هو الذي غرس في عقله هذه الفكرة. ولقد أصبح الملك بعد ذلك يقيل الوزارات ويستهتر بالوزراء كأنهم دمى يلعب بهم. وساعده على ذلك أنه لم يجد من الشعب معارضة قوية.. إلا بعض احتجاجات خافتة ومقالات في الصحف. وكان علي ماهر رئيسا للوزراء سنة ١٩٤٢ واتهمه الإنجليز بأنه موال هو والقصر للمحور. ووجدوا فيه خطراً على موقفهم العسكري وطلبوا من الملك إقالته. ورفض الملك وانتهى الأمر بحصار الدبابات الإنجليزية لقصر الملك وطلبهم منه التنحي عن العرش.

ولو رفض الملك الاستجابة لطلبهم إقالة على ماهر وتعيين مصطفى النحاس رئيسا للوزارة لذهب منفيا إلى جنوب إفريقيا. لقد مضت عشر سنوات على أزمة فبراير ٤٢، فلماذا جاء الملك بعلى ماهر رئيسا للوزارة فى سنة ١٩٥٢؟

كان فاروق بعد حريق القاهرة فى حاجة سريعة لوزارة تقوم بالحكم إثر إقالة وزارة النحاس باشا. ولم يكن على ماهر هو أول من عرض عليه فاروق رئاسة الوزارة، فقد عرضها على نجيب الهلالى ولكنه اعتذر وأشار على الملك باختيار على ماهر. وقد عرفت ذلك من الهلالى باشا نفسه وعندما سألته عن سر ترشيحه لعلى ماهر كانت إجابته لى: على ماهر له عشر سنوات ينتظر الوزارة على نار ولو قبلت رئاسة الوزارة فإنه سينضم إلى الوفديين فى محاربتى وسيعمل أيضا مع الإخوان المسلمين (وكان على ماهر وثيق الصلة بهم) ضدى أيضا.

وعندما طلب فاروق إلى على ماهر تشكيل الوزارة لم يضعنى فى التشكيل وإنما وضع اسم حسن رفعت وكيل الداخلية فى ذلك الوقت وزيرا للداخلية، ولكن «فاروق» رفض.

وعاد على ماهر واقترح اسم عبد السلام الشاذلى ولكن «فاروق» رفض الاسم مرة ثانية وطلب إلى على ماهر تعيينى- وكنت فى ذلك الوقت محافظا للإسكندرية - وزيرا للداخلية.

ولم تكن علاقتى بعلى ماهر جيدة، فرفض عرض فاروق فما كان من فاروق إلا أن أرسل إليه يبلغه إعفاءه من تشكيل الوزارة والبحث فى تكليف شخص آخر مثل الهلالى.

ولم يكن سهلا على على ماهر أن يترك فرصة تشكيل الوزارة تضيع منه وقد صار له عشر سنوات وهو يتلهف عليها بسبب وزير، وإن كنت أنا شخصيا لم أعرف بكل هذه الحكايات إلا بعد دخولى الوزارة.

فاروق يبلغنى تعيينى وزيرا

فى الساعة الثالثة من صباح الاثنين ٢٨ يناير ٥٢ اتصل بى فاروق من القاهرة فى الاسكندرية يسألنى: «أنت إيه اللى مخليك فى اسكندرية؟».

قلت له وأن أعجب لهذا السؤال فى الثالثة صباحا: هوه جلالتك عينت حد تانى محافظا للإسكندرية.

قال ضاحكا: مش كده.. أنت أصلك بقيت وزير الداخلية.. هو على ماهر لم يتصل بك؟

قلت: والله مش عارف يا مولانا مين المفروض يتصل بى فى الحالة دى.. جلالتك ولا على ماهر.. أصل أنا لم أدخل الوزارة من قبل.

قال: زى بعضه انزل مصر بقى علشان تحلف اليمين، وكلم على ماهر.

قلت لفاروق: بعد إذن مولانا ما أقدرش أكلمه فى حاجة زى كده.

قال غاضبا: طيب.. طيب..وفى السابعة صباحا كان هناك تليفون آخر ولكن من على ماهر.. وجاءنى صوته أول ما رفعت السماعة: ايه يا مرتضى؟.. أنت لسه عندك مانزلتش؟

قلت: انزل فين؟

قال مندهشا: تنزل مصر يا أخى.

قلت وأنا أتظاهر بالجهل: ليه؟

قال والدهشة تبدو أكثر فى صوته: أنت مش عارف أنك وزير؟

قلت وأنا أتظاهر بجهل أكثر: لا.. معرفش

قال صارخا: جرى إيه يا مرتضى؟ هو الملك ما كلمكش ولا ايه؟

قلت وأنا أحاول تفسير معانى الكلمات: هو المفروض مين اللى يكلمنى... رئيس الوزراء ولا الملك؟

قال وقد فهمها: يا سيدى زى بعضه، وعلى العموم لنا كلام لما نتقابل.

وتركت الإسكندرية إلى القاهرة واشتركت مع الوزراء فى حلف اليمين وفى أثناء خروجنا طلبت من على ماهر أن انفرد به للحديث ولكنه أمهلنى يومين أو ثلاثة أيام.

الأزمة الأولى مع على ماهر

فى ثالث أيام اشتراكى فى الوزارة وجدت مديرى أمن المحافظات – وكان يطلق عليهم فى ذلك الوقت لقب الحكمداريين – يطلبون مقابلتى. قلت: إنهم لابد جاءوا لتهنئتى ولكننى فوجئت بهم يقولون لى: إنهم انتهزوا فرصة أن على باشا استدعاهم من محافظاتهم وبعد اجتماعه بهم مروا على للسلام.

كانت مفاجأة لى.. فلم يبلغنى على ماهر بهذا الاجتماع.

فقلت اسألهم: امتى على ماهر استدعاكم

– استدعانا بمكالمة تليفونية.

كان إحساسى على الفور أن على ماهر بدأ المعركة ضدى وأنه أراد أن يمزقنى أمام المحافظين والحكمداريين فلم يكونوا من الغباء بحيث لم يدركوا أننى لم أحضر هذا الاجتماع وهو أول اجتماع يعقده معهم رئيس الوزراء وفى ظروف أحكام عرفية معلنة.

وكان أمامى أن ابتلع ما حدث واسكت أو أن أدخل المعركة.. وقررت أن أدخلها بوضوح وصراحة وبدون أى لف أو دوران.

قلت لهم: اسمعوا عاوز أقول لكم حاجة، أنا ماعرفش حاجة عن اجتماعكم برئيس الوزراء.. ولم أعرف أنه استدعاكم لكن أحب أن أقول لكم من هنا ورايح أى واحد يستدعيه رئيس الوزراء يتصل بى مباشرة ويبلغنى بذلك وإلا فسيجد نفسه محالا إلى المعاش.

قال لى إبراهيم زكى الخولى محافظ كفر الشيخ: يعنى معقول يا سيادة الوزير أن رئيس الوزراء يستدعينا ولا نلبى طلبه؟

قلت: أنا بكررها وباقولها بوضوح إذا استدعاكم تبلغونى وأنا الذى أقول لكم تروحوا له ولا لأ!

أزمة كبيرة بسبب اجتماعات المجلس

كان على ماهر شخصية قوية يحب التسلط وأن توجه الأضواء كلها إليه وحده. فإذا تقرر تخفيض أسعار بعض المواد التموينية صدرت الصحف بالعنوان التالى (على ماهر يقرر تخفيض ثمن السكر). وإذا صدر تعديل على نظم الجامعة أو التعليم نشرت الصحف أن على ماهر هو الذى درس التعديلات ووضعها. وإذا بُنى جسر قيل: إن على ماهر هو الذى أصدر أمراً ببنائه. كان يعتبر وزراءه كتبة عنده. كان يجمع مجلس الوزراء فى غرفة مكتبه لا فى قاعة مجلس الوزراء ويجلس الوزراء على مقاعد الحجرة ويقرأ عليهم سكرتير مجلس الوزراء القرارات والمراسيم التى وضعها على ماهر والتى لم تكن تطبع وتوزع عليهم. وعندما ينتهى سكرتير المجلس من قراءتها يقول على ماهر: طبعا أنتم موافقون ويقوم ويتوجه إلى مكتبه وينصرف الوزراء. وفى الجلسة التالية حين بدأ السكرتير التلاوة استوقفته وقلت لعلى ماهر: إننى أطلب تأجيل الجلسة.

قال على ماهر مندهشا: لماذا؟

قلت: إننى أطلب إعداد جدول أعمال وطبعه وتوزيعه على الوزراء قبل وقت كاف يسمح لهم بدراسة القرارات على أن تعقد الجلسة فى قاعة مجلس الوزراء وليس فى مكتبك. قال على ماهر: ولماذا فى قاعة مجلس الوزراء وليس فى مكتبى؟

قلت: إن قاعة مجلس الوزراء ليست بعيدة. إنها فى الغرفة المواجهة لمكتبك وفيها مائدة كبيرة نجلس عليها، ومع كل منا أوراقه ومشروعاته يضعها على المائدة أمامه. إن الموائد

الموجودة في مكتبك هي لتناول القهوة أو لوضع منافض السجائر والحكم مظهر ومخبر ومظهر الحكم هو قاعة مجلس الوزراء.

قال على ماهر: وهل يعنيك المظهر كثيراً؟

قلت: تعنيني الدلالة أكثر من المظهر، إنك تجمعنا في مكتبك ليفهم الناس أننا موظفون عندك لا وزراء. ويؤيد ذلك أنك لا تهتم بأن توزع علينا جدولا بأعمال المجلس.

قال وهو يصيح غاضبا: أنا رئيس الوزراء وأنا الذى أقرر الشكل الذى يجتمع به الوزراء.

قلت: أنت لست رئيسا للوزراء - أنت رئيس لمجلس الوزراء حسب مرسوم تعيينك - ومجلس الوزراء ينعقد في قاعة مجلس الوزراء. وأحب أن أقول لك شيئاً آخر البارحة طلبت محافظى الأقاليم ورؤساء الشرطة للاجتماع بهم، واجتمعت بهم من غير أن تخطرنى وأنا وزير الداخلية وتم اجتماعك معهم بغير حضورى فهل كان ذلك وضعا لائقا؟

قال على ماهر: هل تريد أن توبخنى على ذلك؟

قلت: لا أريد أن أوبخك ولكن أقول لك: إنى لن أحضر بعد اليوم اجتماعا لمجلس الوزراء إلا إذا جرى في قاعة المجلس مع جدول أعمال. وإذا حاولت أن تجتمع مع أى موظف في وزارة الداخلية دون علمى فاعتبرنى مستقيلا على الفور.

تدخل إبراهيم باشا عبد الوهاب وزير الشئون قائلا: إن «رفعة» الرئيس هو بمثابة والد وأستاذ لنا وإنه ليس لك حق يا أستاذ مرتضى في أن تناقشه بهذه الكيفية.

قلت له: اسمع ليس الحكم عواطف وعلاقات عائلية ولسنا كتبة.. وأنت وغيرك من الوزراء عودتم الرئيس أن يعامل الوزراء هذه المعاملة.

كانت بالطبع بداية غير طيبة مع على ماهر ظلت تجرجر ذيولها إلى أن اضطررت إلى الاستقالة أكثر من مرة، وكانت المرة الأولى عندما دعا على ماهر إلى عقد مجلس الوزراء (وهذه المرة في القاعة) وقال: إن الملك يريد حل البرلمان. وكانت أغلبيته وفدية بينما حكومة الوفد مقالة.. وراجعه على ماهر وطلب التمهل ولكن الملك أصر وطلب عرض أمر الحل على مجلس الوزراء. فقلت له: وما رأيك أنت؟

قال: لا أريد أن اصطدم مع الملك وعلينا أن نقبل حل البرلمان ولكن على ماهر قال: أريد أن يبقى مرسوم الحل طى الكتمان.

وبدت الدهشة على وجوه الوزراء، وقال أحدهم: لماذا تريد أن يبقى الحل سراً؟

قال على ماهر: إننى سأدخل فى مفاوضات مع الإنجليز ولا أريد أن أهاجم من حزب الوفد لئلا يضعف مركزى مع الإنجليز.

قال أحد الوزراء: وكيف يمكن أن يبقى أمر الحل فى طى الكتمان؟

قال على ماهر: أريدكم أن تكتموه ولا تذيعوه على الصحافة وسيبقى الأمر فى جيبى إلى أن أرى الظروف مناسبة لإعلانه.

ولكن حدث ما ليس فى حسبان على ماهر. فقد أوعز الملك إلى الدكتور حافظ عفيفى باشا رئيس ديوانه حين رأى أن أمر الحل لم ينشر بالاتصال بإحدى الصحف الكبرى وإبلاغها بقرار الحل فنشرته وثار على ماهر وطلب أن أقابله وقال لى: كيف سمحت وأنت الرقيب العام للصحف بنشر أمر الحل؟

قلت: إن الصحف نشرته رغم اعتراض الرقيب وتحملت مسئولية نشره والصحافة موضوعة تحت الرقابة فيما يختص بالأنباء العسكرية أو الضارة بأمن الدولة وليس أمر الحل من الأنباء العسكرية أو الضارة بأمن الدولة.

قال على ماهر: إنك تريد فضيحتى.

قلت: إذا كان أمر الحل فضيحة فلماذا قبلته؟ إن الفضيحة هى أن تكون مع الوفد بوجه ومع الملك بوجه آخر.

وتركته والعلاقات بيننا قد وصلت إلى درجة كبيرة من السوء وكان هذا شيئا مؤسفا للغاية فالحالة الداخلية فى البلد لم تكن تسمح بأن يقوم نزاع بين رئيس الحكومة ووزير الداخلية المشرف على الأمن. إن حريق القاهرة قد ترك مصر تغلى من السخط وكان أكثر السخط موجهًا ضد القصر وقد أذكت نار السخط عناصر قوية جداً. فالوفديون لم يكونوا راضين عن إقالة النحاس وحل البرلمان. والإخوان المسلمون كانوا يجمعون السلاح بكثرة ويريدون رأس الملك وقلب نظام الحكم ليتولوا هم الحكم أو يدخلوه على الأقل. والجيش ثائر على الملك وتجمعات الضباط الأحرار أخذت تزيد. كل ذلك كنا نعلمه والمفروض أن تكون الحكومة التى تواجه الموقف حكومة متماسكة فكرت فى هذا كثيرا وطلبت مقابلة على ماهر وقابلته وقلت له كل هذه الأفكار التى جالت بخاطرى فرد على ماهر بأنه يوافق على ما قلت ويرجو أن أنسى ما حصل وأن نتعاون معاً بنية سليمة، ولكن ما هى إلا أيام قليلة حتى بدأت الأزمات من جديد.

على ماهر يهرب من مقابلتى

ذات يوم فوجئت به يطلبنى تليفونيا ويسـألنى: أنت قاعد فى مكتبك وجامعة فاروق فى اسكندرية بتتحرق؟!

قلت: امتى؟

قال: دلوقتى.. الحريقة شغالة على الآخر..

كانـت مفاجـأة كبـيرة لى. فأنا وزيـر الداخلية لا أعـرف عن حريق فـى موقع من أهم مواقـع مصر ورئيس الوزراء يذهب إليه الخبر من مصـدر آخر فى حين أننى يجب أن أكون مصدره الأول.

اتصلت باللواء يسـرى قمحة حكمدار محافظة الاسكندرية ولكنهم أبلغونى أنه ذهب إلى جامعة الإسكندرية.

وأيقنت أن خبر رئيس الوزراء صحيح وأن علىَّ أن اسـتقيل. إذْ ما الذى يجعلنى أن أبقى وزيرا وواحدة من ثلاث جامعات موجودة فى مصر تحترق (كانت هناك فى ذلك الوقت ثلاث جامعات هى فؤاد (القاهرة) وفاروق (الإسكندرية) وإبراهيم باشا (عين شمس).

واتصلت بمدير جامعة فاروق الدكتور مصطفى عامر ورد علىَّ بنفسه.

قلت له وأنا أتحسس الطريق: ازاى الحال عندك؟

قال وقد أحسست الدهشة من سؤالى: كويس

قلت وأنا أدور وألف: سمعت أنه فيه اضطرابات فى صفوف الطلبة.

قال: أبدا.. مفيش أى حاجة.

قلـت: معرفـش فيه تقرير قدامى بيقول إن فيه طالب عندك رمى عقب سـيجارة ونشـأ عنه حريق؟

قال فى سرعة: مفيش حاجة من دى حصلت يا سيادة الوزير.

قلت: امال اللواء يسرى قمحة مش عندك؟

قال: ايوه.. موجود تحب سيادتك تكلمه؟

قلت على الفور: طبعا اكلمه.

وجاءنى صوت اللواء يسرى قمحة.. قلت له قبل أن اجعله يكمل التحية: أنت رايح عندك تعمل ايه فى الجامعة؟

قال مندهشا: والله يا أفندم موضوع خاص بابن اختى عاوز أدخله الجامعة.

قلت له بحسم: امال بيقولوا إن فيه عندك مظاهرات..

قال: والله يا افندم ما فى أى حاجة.

قلت: مفيش حاجة؟

قال: ابدا..

وعلى الفور تركت مكتبى وذهبت إلى على ماهر فى رئاسة الوزراء.. وبدون حتى أن استأذن سكرتيره وجدت نفسى افتح مكتبه كأننى أقتحمه..

ولابد أنه بذكائه كان يتوقع شيئا من ذلك فقد وجدته أول ما شاهدنى يغادر كرسيه فى مكتبه ويجرى ناحيتى ويقول لى: اتفضل فى الصالون لأن الأستاذ إسماعيل الأزهرى معى وأنا باتكلم معاه وأول ما اخلص حاجيلك.

كان الأستاذ إسماعيل الأزهرى موجودا بالمكتب بالفعل وقد أخذ يتحدث معى وأشعرنى ذلك بالخجل من التسرع فى دخول المكتب دون استئذان..

وتركت غرفة مكتب على ماهر وذهبت إلى الصالون الملحق بالمكتب انتظر على ماهر ولكن مضت نحو ساعة دون أن يحضر..

وعندما سألت تبين أنه غادر مبنى رئاسة الوزراء!

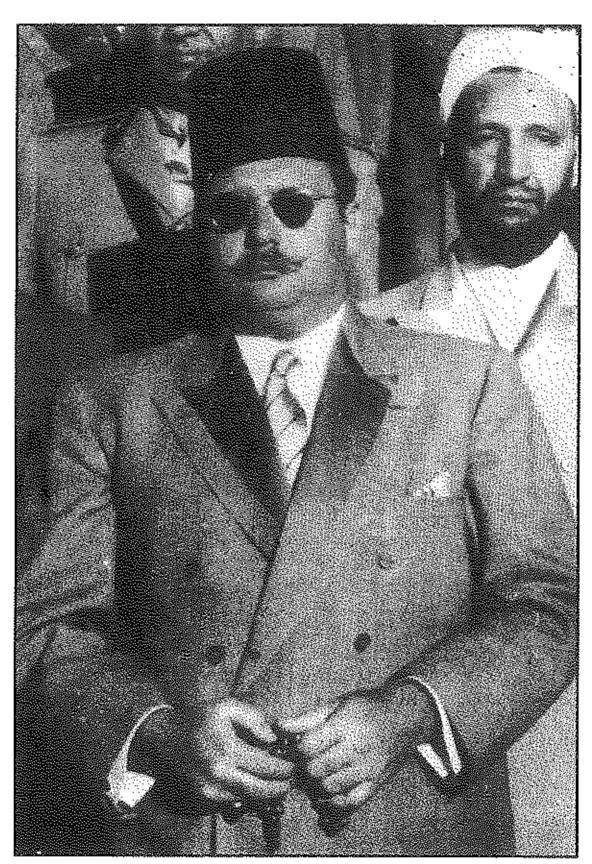
وجدت نفسى أدخل مكتبه والتقط ورقة كتبت فيها استقالتى ثم استدعيت مدير مكتبه وقلت له: إن هناك خطابا أرجو أن تسلمه بنفسك إلى على باشا ماهر.

ولكن ما هى إلا ساعات حتى اتصل بى محمد على رشدى وزير العدل وسعد اللبان..

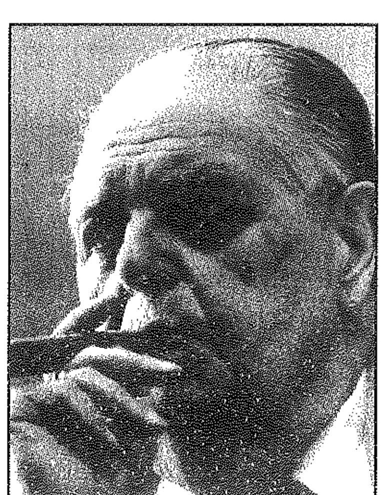
كان واضحا أن على ماهر أبلغهما وقلت لهما إننى لا أستطيع التعاون مع هذا الرجل وإننى مصمم على الاستقالة.. ولكن فى الصباح دخل علىَّ الخادم يبلغنى أن رفعة رئيس الوزراء مر علىَّ بالمنزل وترك لى بطاقته.

وبعد دقائق كان على ماهر يتصل بى من مكتبه برئاسة الوزراء ويرجونى رجاء شديدا أن أعدل عن الاستقالة التى لم تكن الأخيرة.

□□□



١ - الملك فاروق أفسدته الحاشية .



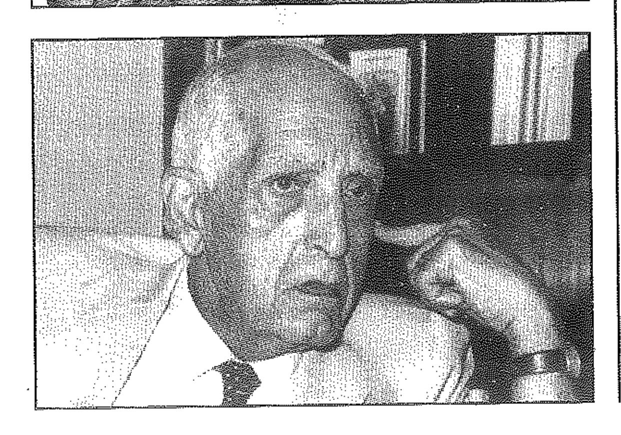
٢ - فؤاد سراج الدين .



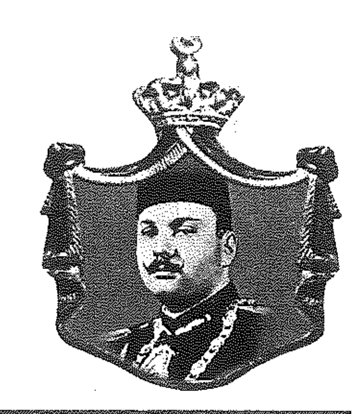
٣ - النحاس باشا اعتقل علـى ماهر الذى كان يصرخ في المعتقـل ويهدد ويتوعد النحاس بالإعدام .



٤ - على ماهـر وأعضاء مجلس قيادة الثورة .

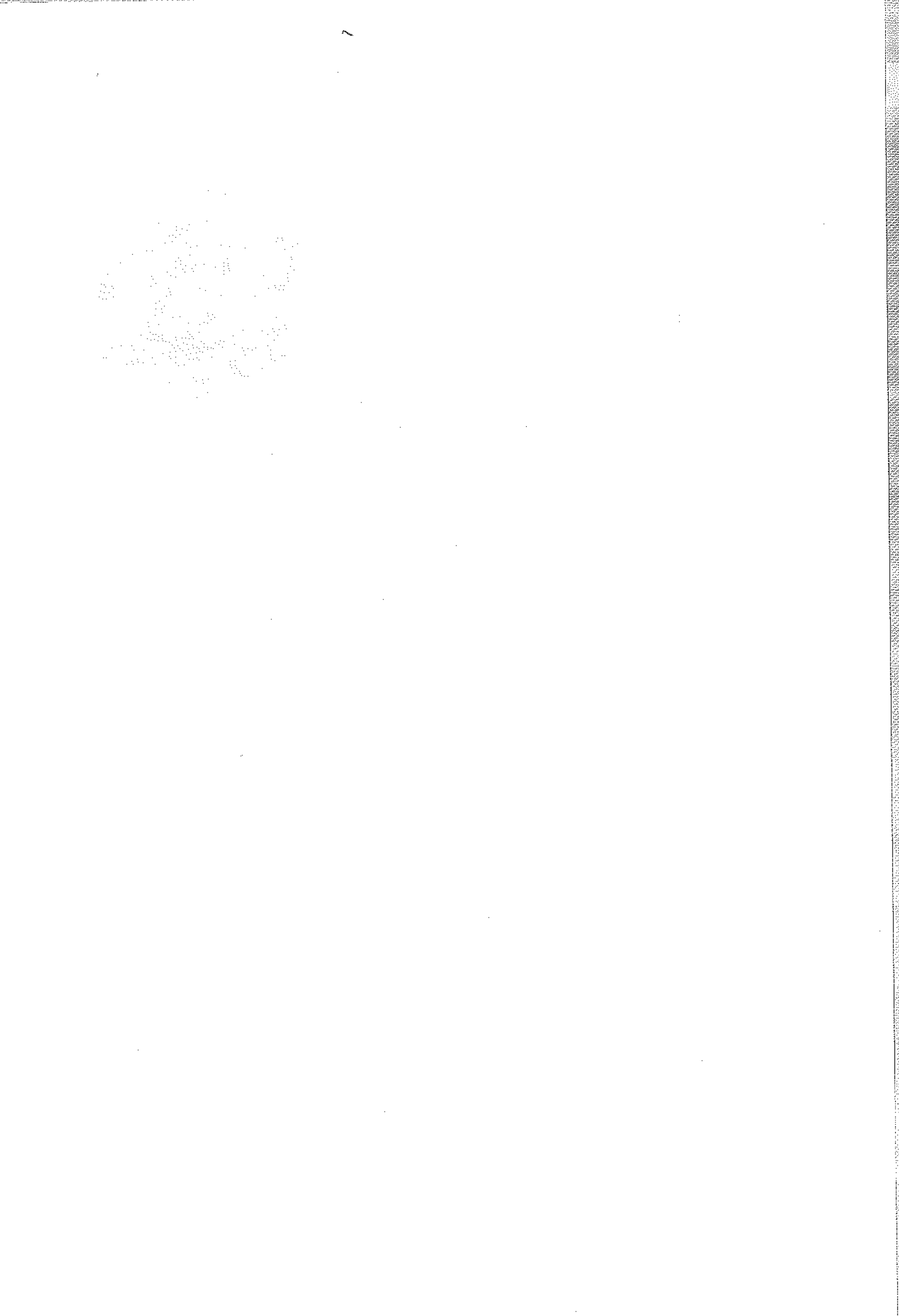


٥ - الأسـتاذ مرتضـى المراغى .



لماذا اختارنى الهلالى وزيرا للحربية؟

- فاروق يعين ضابطا بالبوليس قائدا للجيش. وقائد الطيران لم يدرس الطيران فى حياته !
- لغز إبعاد محمد نجيب من رئاسة سلاح الحدود !
- لماذا طلب نجيب الهلالى منى أن أكون وزيرا للداخلية والحربية معا ؟



لم تدم رئاسة علي ماهر للوزارة بعد حريق القاهرة في ٢٦ يناير ٥٢ غير ثلاثين يوما من ٢٨ يناير إلى أول مارس لكنها كانت حافلة بالكثير من الأزمات بينه وبيني. ولا أكتم القارئ سرا أن علي ماهر لم يحمل ودا للمرحوم والدي الشيخ مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر.. كانت بينهما جروح قديمة زاد منها أنني لم أنطو تحت ذراعيه كما كان يميل إلى احتواء الذين يعملون معه.

وفي خلال فترة عملي معه قدمت استقالتي ثلاث مرات كان آخرها تلك التي أعقبت أزمة كبيرة بسبب محاولة واضحة منه لتحريض الإخوان المسلمين ضدي.

كنت جالسا في مكتبي حين دق جرس التليفون وإذا بصوت يصيح بغير تحية أو سلام: ازاي يا مرتضى تقبض على الإخوان المسلمين الأبرياء بغير ذنب؟ مش بلاش بقى الإجراءات التعسفية اللي أنت بتستخدمها معاهم؟!

عرفت صوت المتكلم وقلت: تقدر تذكر لي يارفعة الباشا أسماء الذين قبضت عليهم؟

قال علي ماهر: أنت تعرفهم أكثر مني. إنك تقبض عليهم بغير علمي.

وقطع الحديث التليفوني وتركني أقبض على السماعة حائرا. أيقنت أن في مكتبه جماعة من الإخوان المسلمين وأنه يريد أن يوغر صدر الإخوان علي، وأن يظهرني بمظهر المتعسف معهم.

واستدعيت مدير الأمن العام وطلبت منه إحضار كشوف المقبوض عليهم. وراجعتها ولم أجد فيها إلا عشرة من جماعة الإخوان قبض عليهم على أثر حريق القاهرة بأمر من السلطة العرفية. وقد صدَّق علي ماهر بصفته الحاكم العسكري العام على قرار القبض ووقع عليه. وتوجهت إلى مكتب علي ماهر ودخلت عليه. ولم يخب ظني. فقد كان في مكتبه عدد من كبار جماعة الإخوان وفوجئ بدخولي عليه ولكنه ابتسم وقال: قد جئت لتحل المشكلة.

قلت: المشكلة تحلها أنت وليس أنا. إنك أنت الذي صدَّقت على أمر القبض. وهذا هو توقيعك. وتفضل بالإفراج عنهم.

قال على ماهر: إنك أنت الذى أشار بالقبض عليهم.

قلت: لست أنا الذى أشار بالقبض. إنما النيابة هى التى اتهمتهم وأنت الذى صدَّقت على قرار القبض. ومن حقك ألا تصدَّق، ومن حقك أن تفرج عنهم.

قال بسرعة: قدم لى مذكرة بحالتهم.

قلت: لن أقدم لك مذكرة. وهذا هو الكشف أمامك للتصرف فيه ولكنى أقول: إنك تريد أن تحرض علىَّ جماعة الإخوان. هذا هو هدفك الوحيد.

قال على ماهر: لا أقبل أن تقول لى: إنى أحرض عليك الإخوان.

قلت: إنك اتهمتنى أمامهم بأنى أقبض على الأبرياء، أنى أتعسف فإن لم يكن هذا تحريضا، أليس على الأقل هو تعريض. وهل يليق بك أن تكلم وزيرا فى وزارتك أمامهم بهذه اللهجة؟

وخرجت إلى مكتبى وكتبت استقالة، وأرسلت نسخة منها إليه ونسخة أخرى إلى ديوان الملك، وجمعت أوراقى وذهبت إلى بيتى.

مر يومان لم أسمع فيهما شيئا. وفى العاشرة صباحا اتصل بى على ماهر وقال: إنه يرجو حضورى إلى جلسة يعقدها مجلس الوزراء.

قلت له: ألم يصلك خطاب استقالتى؟

قال: ولهذا أرجو حضورك.

توجهت إلى رئاسة مجلس الوزراء ودخلت مكتب على ماهر.

وكان كل الوزراء مجتمعين عنده. حييتهم وجلست.

قال على ماهر: إن أخانا مرتضى قدم إلىَّ استقالته، ورأيت أن أجمعكم لعرضها عليكم. إنى أريد منك (وتوجه إلىَّ بالخطاب) أن تسحب الاستقالة لأنه يسعدنى أن تكون زميلا لنا، وأنى أريد إنهاء الخلاف المؤسف بينى وبينك.

قال وزير التجارة: ونحن جميعا يسعدنا أن تظل بيننا.

قال وزير الخارجية: وأضم صوتى إلى صوت زميلى.

قلت: وأنا يسعدنى أن أكون معكم. ولكن بغير الطريقة التى يتبعها رئيس الوزراء. إما أن نكون وزراء وإما ألا نكون.

قال على ماهر: إنى أحافظ على كرامتكم بقدر ما أحافظ على كرامتى.

قلت: وهل من المحافظة على الكرامة أن تفعل مثل ما فعلت بحضور جماعة الإخوان.

قال علي ماهر: إني آسف.

وانتهى المجلس وسحبت استقالتي لاصطدم بمفاجأة عجيبة.

يطلب من الملك إقالتي

عدت إلى مكتبي في وزارة الداخلية. دخل سكرتيري الخاص يقول: إن حافظ عفيفي رئيس الديوان الملكي سأل عني تليفونيا. ويرجو أن اتصل به فور وصولي إلى المكتب. اتصلت بحافظ عفيفي. فرجاني أن أتوجه إلى مكتبه مباشرة. توجهت إليه، فقال: أين كنت؟

قلت عند علي ماهر.

رأيت الدهشة على وجهه وقال: هل طلب منك أن تذهب إليه أو ذهبت أنت إليه؟

ثم شرحت له ما حدث في المجلس.

قال حافظ عفيفي: هذا الشيء عجيب لا أكاد أصدقه. هل تعلم أن علي ماهر حضر إلى مكتبي الساعة الثامنة صباح اليوم، وقال: أنا لا أستطيع التعاون مع مرتضى المراغي، وأرجو رفع الأمر إلى الملك لكي أصدر مرسوما بإقالته. ظللت صامتا ثم قلت: وماذا فعلت؟

قال حافظ عفيفي: أبلغته أنني سأعرض الأمر على الملك. وفي الساعة التاسعة قابلت الملك فأخبرني أن أبلغ علي ماهر أن يقدم استقالة الحكومة ثم يعيد تشكيلها من دونك.

قلت: إذن لماذا دعاني وطلب مني سحب الاستقالة؟

قال حافظ عفيفي (ضاحكا): إنه خشي أن يقدم استقالة الحكومة، فيعهد الملك إلى غيره بتشكيلها. إنه كان يريد إقالتك لا استقالة الحكومة.

ولكن ما هي إلا أيام حتى انتهى الأمر بأن قدم علي ماهر استقالة حكومته، فقبلها الملك وعهد إلى نجيب الهلالي بتأليف الوزارة.

استدعاني نجيب الهلالي وطلب مني أن اشترك في الوزارة وزيرا للداخلية والحربية معا.

قلت له: يا نجيب باشا هذا عبء كبير جداً، وزارة الداخلية وحدها تحتاج إلى وزيرين وأنا أعلم بأن وزير الحربية إذا كان مدنيا فهو وزير صوري ووظيفته أن يوقع على القرارات التي تصدرها قيادة الجيش بالاتفاق مع القصر. وقائد الجيش الفريق حيدر يتصل مباشرة بالقصر في أي أمر يخص الجيش، ووزير الحربية لا يعلم شيئا عن اتصالاته.

قال الهلالي: أعلم ذلك. ولكني عرضت على الملك أن يعين اللواء محمد نجيب وزيرا للحربية فرفض الملك. ورأيت أن أعهد بها إليك مؤقتا لسبب..

وسكت الهلالى.

قلت: وما هو السبب؟

قال الهلالى: أنا أعلم أن في الجيش حركة تذمر. ولا شك أن في وزارة الداخلية تقارير عن هذه الحالة أكثر من تقارير المخابرات الحربية. وأشك أنها تعرض على وزير الحربية، إذا كان مدنيا. إني أريد منك. أن تعرف أسباب التذمر وإلى أى مدى وصل.

قلت: إنى أعلم أن التذمر متفش فى صغار الضباط. أما كبارهم فيزايدون على الولاء للقصر بشكل سافر. ولكنى أشك فى الوصول إلى وضع حد لتذمر صغار الضباط مادامت القيادات فى يد كبارهم.

قال الهلالى: على كل حال حاول وأرجو لك التوفيق. أخذت أقسّم يومى بين وزارتى الحربية والداخلية. فأذهب في الصباح إلى الحربية من الساعة التاسعة حتى الثانية بعد الظهر، وأتوجه إلى الداخلية من الساعة الخامسة مساء إلى ساعة متأخرة من الليل.. أرهقنى العمل المتواصل إرهاقا شديدا. ولكنى كنت مستريح النفس لأننى أعمل مع رئيس وزراء يختلف كثيرا عن على ماهر. فنظرته إلى الوزراء كانت نظرة زمالة صادقة. وكان يترك للوزير التصرف فى شئون وزارته بمطلق الحرية ولا يراجع أحدا فى شيء إلا ما يعرض على مجلس الوزراء.

قيادات عسكرية لا تفهم الفن العسكرى

لم تكن مشكلتى الكبرى من ناحية الموظفين الذين يعملون معى فى وزارة الداخلية. بل كانت المشكلة هى وزارة الحربية. كبار موظفى وزارة الداخلية كانوا إما ضباطا وإما مدنيين أمضوا خدمتهم فى السلك العسكرى البوليسى أو المدنى الإدارى وتمرسوا العمل. أما وزارة الحربية فالقيادات الكبرى الثلاث كانت معهودة إلى رجال لا يعرفون شيئا عن الفن العسكرى وتكتيكه.

فقائد الجيش الفريق حيدر تخرج فى المدرسة الحربية عام ١٩١٦ فى الوقت الذى كان الطالب يمضى فى المدرسة سنة على الأكثر ويتخرج بعدها ضابطا ثم يلتحق بالجيش. ولكن حيدر بدل أن يلتحق بالجيش التحق بسوارى البوليس لأنه كان يجيد ركوب الخيل واشتهر بمطاردته للمتظاهرين بفرقة الخيالة التى يرأسها وحظى بتقدير السلطات البريطانية ودخل مصلحة السجون. وكان الملك فؤاد يحاول إصلاح حوالى خمسين ألف فدان من الأراضى البور تملكها الخاصة الملكية فاقترح عليه مدير الخاصة أن يستعمل المساجين لإصلاحها.

وتمكن الضابط حيدر - بسوطه الذى جال فى ظهور السجناء وأدماها - من تحويل القفر إلى سندس أخضر در على الملك فؤاد غلة كبيرة ومالا وفيرا. وأصبح حيدر محل تقدير القصر. فرقى ترقية استثنائية حتى وصل إلى منصب مدير السجون.

ولما خلف فاروق والده كان السجناء دائما فى حقول القصر وحدائقه يحفرون الترع والمصارف ويقيمون الجسور، وسياط حيدر على ظهورهم. فأعجب فاروق بحيدر وقربه وعينه ياورا شرفيا. حتى فوجئ الجيش، ضباطا وجنودا عام ١٩٤٦ بتعين حيدر رئيسا لهيئة أركان الحرب ثم قائدا عاما للجيش ووزيرا للحربية عام ١٩٤٨. وساق حيدر الجيش إلى الحرب وأسلحته ناقصة ووسائل مواصلاته هزيلة، وقد اعترض بعض السياسيين على هذه الحملة التى ارتجلت بغير استعداد، فقال حيدر: إنه واثق من النصر وإن الحملة العسكرية ستكون نزهة.

وكان رئيس أركان حرب الجيش يتميز بشاربه المفتول إلى أعلى والمدبب بالكوزماتيك. وحياته كلها أمضاها ضابطا فى الحرس الملكى.

وكان قائد سلاح الطيران ضابطا فى الجيش حتى وصل إلى رتبة لواء ولم يدرس الطيران فى حياته أبدا ثم نقل إلى منصب قائد سلاح الطيران ومنح لقب اللواء الطيار.

هذه هى المجموعة التى كان علىَّ أن أحاول العمل معها. ولكنى وجدت فيها سداً منيعا متكاتفاً يمنعنى من الإطلاع على شئون الجيش.

رأيت أن آخذ الأمر بالحيلة وأن أحدث ثغرة فى ذلك السد الثلاثى. ووجدت الأسباب القوية لاقتلاع أحد أركانها، وكان الفريق عثمان المهدى رئيس هيئة الأركان. فتقصير عثمان المهدى كان واضحا فى حادث حريق القاهرة لتأخره فى إنزال الجيش وتردده فى إطلاق النار، والملك على رغم انغماسه فى ذلك الحريق إلى حد كبير لا يستطيع أن يدافع عن تقصير عثمان المهدى وإلا أصبح الأمر مكشوفا. ولكنى قبل أن أطلب عزله أخذت أبحث عن ضابط قوى الشكيمة يستطيع أن يقف فى وجه حيدر وأن يكون محبوبا ومحترما من ضباط الجيش وأن أعتمد عليه فى إزالة أسباب تذمر صغار الضباط. وعثرت على لواء يسمى حسين فريد قيل: أن صفات كثيرة حسنة تتوفر فيه، فتقدمت بمذكرة إلى الملك أطلب فيها إحالة الفريق عثمان المهدى بتهمة التقصير وتعيين اللواء حسين فريد رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة.

ولكن حيدر باشا أسرع بإرسال خطاب إلى الملك يقول فيه: إن خروج عثمان المهدى يؤدى إلى تقولات بأن الجيش قصرَّ فى واجبه نحو حريق القاهرة وأن الحكومة الحالية أعلنت أنها

جاءت لتطهير الفساد في إدارة الحكم. وإن إخراج عثمان المهدى معناه أن الحكومة بدأت أول أعمال التطهير في الجيش. ولكنى أصررت على إقالة عثمان المهدى وتعيين اللواء حسين فريد واستبشرت خيرا بأني فعلت شيئا آمل أن تتبعه أشياء. ولكنى أملى مع الأسف خاب.

حسين فريد يرفض التعاون معى

فى صباح اليوم التالى حضر إلى مكتبى اللواء حسين فريد وحيانى وشكرنى على تعيينى له.

قلت له: لقد سمعت عنك خيزا كثيراً. وأرجو أن أسمع أكثر. إننى عينتك لتكون صلة الوصل بين الجيش ووزير الحربية.

قال حسين فريد: والفريق حيدر؟

قلت: الفريق حيدر منذ سنة ١٩٤٩ بعد أن ترك وزارة الحربية قطع صلة الجيش بوزير الحربية. وأنت مكلف كما قلت لك أن تعيد هذه الصلة. ولذلك عينتك.

قال حسين فريد: هل معنى ذلك أن أعرض عليكم شئون الجيش من دون عرضها على الفريق حيدر.

قلت: إننى أعرف الأنظمة العسكرية على رغم أنى مدنى. إن واجبك أن تعرضها عليه. ولكننى عينتك بالذات لتعرضها علىَّ. وهذا أمر منى لا يسعك أن تخالفه.

قال حسين فريد: وإذا طلب حيد منى أن يتولى عرضها هو.

قلت: فى هذه الحالة قل له أنك أنت المكلف بالقيام بذلك.

قال حسين فريد: إننى لا أستطيع أن أقول له هذا. تولانى ذهول وقنوط شديدان. فهذا الضابط الذى أتيت به من بين براثن القصر. ولكى أعالج أمورا كثيرة وخطيرة فى وزارة الحربية وفى جيش يعانى التذمر والقلق والاضطراب من جراء وجود حيدر ومن على شاكلته من كبار الضباط الذين كانوا حاشية للملك أكثر مما كانوا قوادا للجيش، هذا الضابط أصبح فى نظرى لا فرق بينه وبين عثمان المهدى. فأشرت إليه بالانصراف وقلبى يعتصر من اليأس.

حضر إلى مكتبى ذات يوم اليوزباشى اسماعيل شرين وكان متزوجا الأميرة فوزية أخت الملك ومعينا ضابط اتصال بين وزارة الحربية وخبراء تدريب الجيش الألمان. وقال إن هؤلاء الخبراء يشْكُون من أن كبار ضباط الجيش لا يمكنون الخبراء من تدريب الجيش. فالخبير

يذهب فى الصباح لتدريب كتيبة قوامها مائة رجل فلا يجد إلا خمسة. وأحيانا لا يجد أحدا. طلبت الفريق حيدر. ولما حضر أطلعته على أقوال إسماعيل شرين.

قال: هذا كلام صحيح.

قلت: إنهم يعدون تقريرا بكل التفاصيل.

قال: إن هؤلاء الخبراء يجب أن يرحلوا.

قلت: لماذا؟

حيدر: لأنهم أغبياء جهلة لا يفهمون شيئا من التدريب.

قلت لنفسى: يا إلهى! حيدر ضابط السجون والذى أمضى سنة واحدة فى المدرسة الحربية يتهم جنرالات الجيش الألمانى بالجهل!

على كل حال أنا فى انتظار التقرير.

وخرج حيدر وبعد يومين فوجئت ببرقيتين مرسلتين إلى القصر: إحداهما باسم الملك فاروق والأخرى باسم حافظ عفيفى. والأولى بامضاء الجنرال باج فويلنر (Pag Fuellner) والثانية بامضاء سلوتزر (Sloetzer) وفرازولداتى (Frsoldati) يقولون فيها: إنهم يعاملون معاملة سيئة ويضربون ويعذبون ويشتمون من أحد الضباط الذى يهددهم بالقتل ويطلبون من الملك حماية حياتهم التى أصبحت فى خطر. وتشرح البرقية المرسلة إلى حافظ عفيفى السبب. فتقول إن الضابط يساومهم باسم الأميرلاى حسن رجب لتسليمهم إياه مستندات سرية فى حوزتهم وإلا فقدوا ممتلكاتهم ورصيدهم فى البنوك وحريتهم بل وحياتهم. وهذه المستندات التى كان يسعى وراءها حيدر ويستخدم وكيل الحربية حسن رجب للمساومة على الحصول عليها هى تقارير لبعثة الخبراء الألمان عن حالة الجيش ويأسهم من تدريبه.

وقد علمت بعد الثورة أن الجنرالات الألمان قدموا إلى الثورة بعد قيامها خدمات ونصائح قيمة.

ابعاد اللواء نجيب بسبب المخدرات

كانت وظيفة لواء سلاح الحدود هى مطاردة المهربين الذين يهربون المخدرات عبر تركيا فسوريا فلبنان إلى غزة فإلى قناة السويس. وكانت مهمة شاقة جداً لأن القوة لم تكن تكفى لتغطية آلاف الكيلومترات من الصحارى ولم تكن تتوفر الوسائل اللازمة كطائرات الهيلكوبتر أو الاستطلاع أو قوارب الطوربيد الكافية لضبط السفن الناقلة للمخدرات. وكان الجنود غالبا

يستخدمون الجمال أو سيارات الجيب. ولكنهم تحت قيادة اللواء محمد نجيب تمكنوا من ضبط كميات كبيرة جدا وضيق الخناق على المهربين وقبض على عدد كبير منهم ومن استطاع الفرار ألقى بحمولته ونجا والمفروض أن يلقى محمد نجيب تقديرا كبيرا على نشاطه ونزاهته، ولكنه لقى سخطا كبيرا.

كانت في القصر حاشية قوية النفوذ عند الملك تريد أن تثرى ووجدت أن الثراء السريع المضمون هو تجارة المخدرات، ولكنها تجارة محفوفة بالمخاطر. لأن عقوبة تاجر المخدرات تصل إلى الأشغال الشاقة المؤبدة. لكن هذه الحاشية تريد الثراء، وهي ذات نفوذ عند الملك تستطيع به أن تستصدر ما تريد من قرارات. ولذلك وضعت هذه الحاشية هدفا لها وهو إبعاد اللواء محمد نجيب عن منصب قائد سلاح الحدود والمجئ برجل آخر يمكن قوافل التهريب التي هي تحت امرتها من المرور خلال دروب في الصحراء وبين الجبال لا تكون فيها نقط مراقبة ولا دوريات من الجنود. وكان محمد نجيب بحكم خبرته الطويلة يعلم هو ومن عينهم معه من الضباط هذه المسالك والدروب. ويترصد المهربين فيها. وإذا حاولوا تجنبها ووجدوا دربا آخر كان جنود محمد نجيب لهم بالمرصاد.

وكسدت تجارة المخدرات في مصر وضاق رجال الحاشية بمحمد نجيب فأخذوا يشون به لدى الملك بانه غير مخلص وأنه يتصل بالضباط الأحرار وأنه يسب الأسرة المالكة. حتى أوغروا صدر الملك عليه فأمر بنقله من قائد لواء الحدود إلى قائد لواء المشاة وهو منصب يعد من الناحية العسكرية أقل من المنصب الأول. ووجدوا بغيتهم في اللواء حسين سرى عامر الذى كان وكيلا لسلاح الحدود وعلى صلة برجال الحاشية. ووصل إلى رتبة الوكيل بمساعدتهم لأنه وهو ضابط استطاع أن يبعد الدوريات التي تحت قيادته من بعض الدروب حتى تمر قوافل مهربى الحشيش التي تعمل لحساب رجال الحاشية. ولما نقل محمد نجيب إلى سلاح المشاة عين الملك حسين سرى عامر قائدا لسلاح الحدود. وكان لتعيينه أثر سيئ عند صغار ضباط الجيش حتى إن بعضهم أطلق النار عليه.

ونجا حسين سرى عامر، وامتلأت جيوب حاشية القصر وخزائنهم بالملايين، ونعم الحشاشون في مصر بما لم ينعموا به من قبل بسبب حسين سرى عامر!

□□□

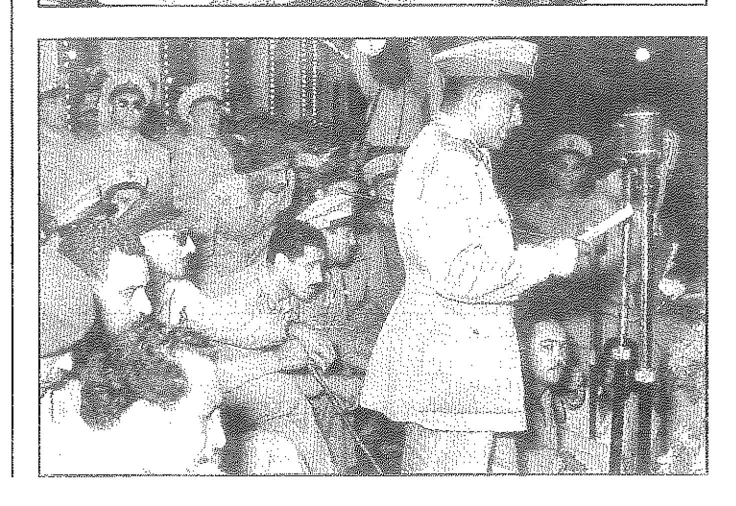
1 – من اليمين عبد اللطيف باشا محمود ومن اليسار محمد حيدر باشا وبجواره الفريق عثمان باشا المهدى .



2 – اللواء محمد نجيب .

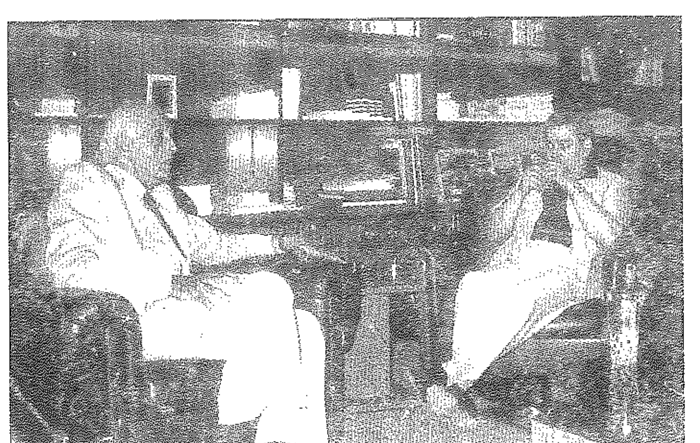


3 – الضباط الأحرار من خلف نجيب فى أول الثورة.. فى الصف الأول يظهر كمال الدين حسين وعامر وجمال سالم يتكئ على عصاه وبجواره ناصر والشافعى وفى طرف الصورة من الأمام البغدادى ينفث سيجارته .

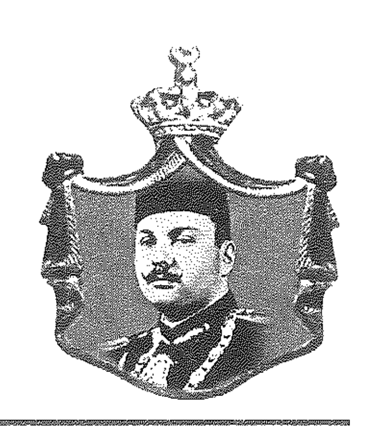




٤ - عبد الناصر ومحمد نجيب وحوار ما قبل الاختلاف.



٥ - مرتضى المراغى وصلاح منتصر فى مجلة أكتوبر.



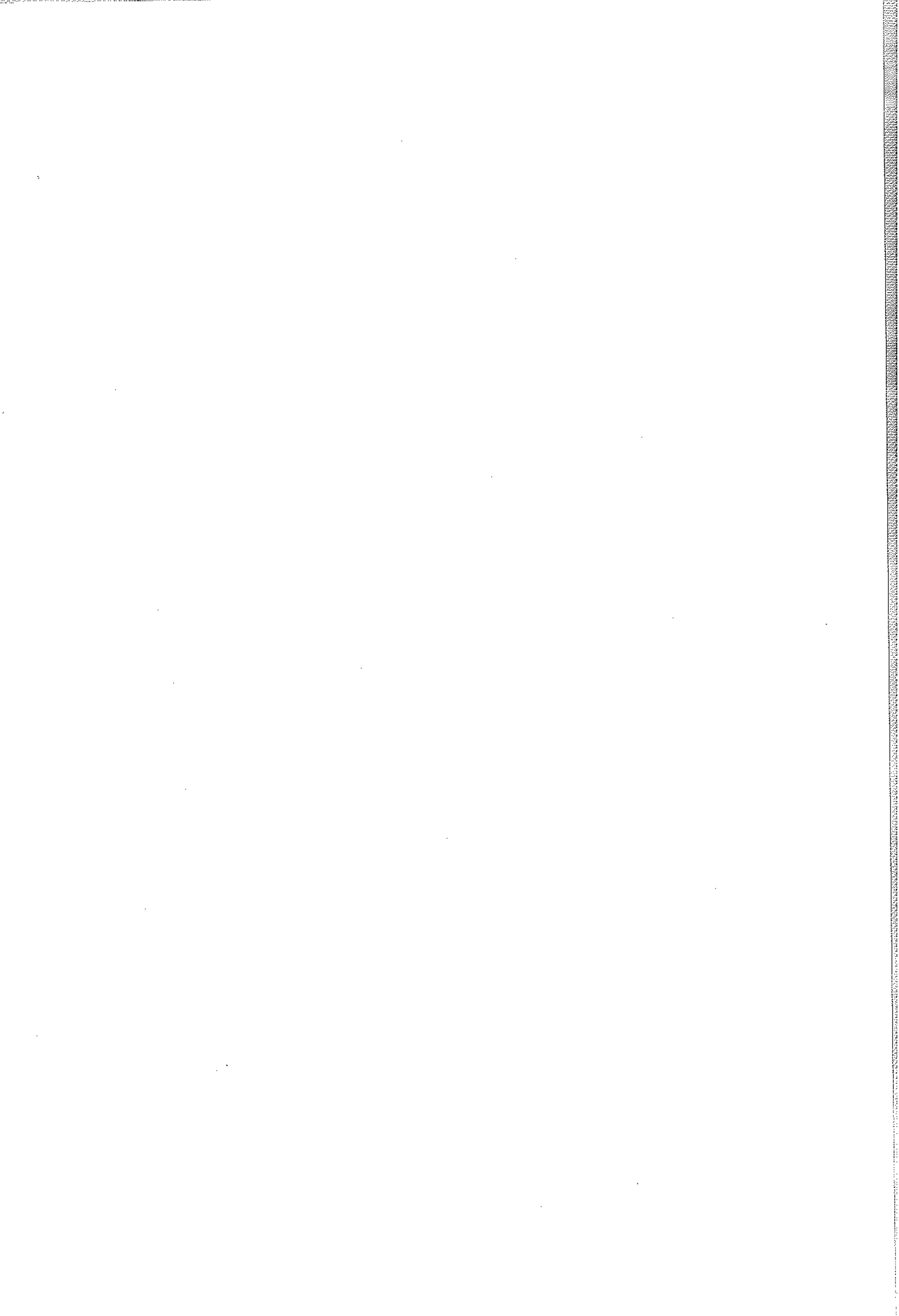
منشورات
فى مكتب الملك

■ فتح فاروق ملف المراسيم ليوقعها فوجد منشورا يقول:
يا شعب مصر إن ملكا فاسدا فاجراً يحكمكم.

■ جريمة قتل فى بيت وصيفة القصر تنتهى بقيدها حادث انتحار.

■ من أطلق النار على فاروق ؟

■ الجيش يطبع منشورات الضباط الأحرار.



كان من بين التقارير التى كانت تعرض علىَّ أثناء عملى وزيرا للداخلية نصوص الأحاديث التليفونية المسجلة بين الضابط مصطفى عضو الحرس الحديدى البارز، وسيدة القصر التى اتفقنا على الإشارة إليها باسم نهى، وهو بالطبع ليس اسمها الحقيقى، ولكننى قصدت بعدم الإشارة إلى الإسم الحقيقى ألا يفهم البعض أن الهدف من ذكرها هو التشهير لا سرد وقائع التاريخ التى أصبحت ملكا خالصا لمصر، ومن حق كل مصرى أن يعرفها.

كانت حكومة الوفد قد وضعت تليفون اليوزباشى مصطفى تحت المراقبة، وصارت تقارير محادثاته التليفونية ترسل إلى إدارة الأمن العام التى تعرضها بدورها على وزارة الداخلية.

وفى فبراير ٥٢ استلفت نظرى حديث مسجل تقدم به مدير الأمن بين السيدة نهى وصيفة القصر واليوزباشى مصطفى. كان حديثا بالغ العاطفية والبذاءة معا. وعلى رغم الاسم المجهول الذى أشير به إلى سيدة القصر فإننى لا أستطيع نشر شىء عنها.

وكان اللافت للنظر أن مصطفى كان يطلبها فى اليوم الواحد ثلاث وأربع مرات يناجيها بغرام مصطنع وتناجيه بغرام لا يقل اصطناعا. كان واضحا أنها لا تعرف الحب وإنما تحب المال والجاه والمنصب. وقد عرف مصطفى ذلك فيها جيدا، وأوهمها أنه هو قائد الضباط الأحرار، ولما كان الملك لم يتزوجها فلم يجعلها الملكة، فإنها قد تصبح فى المستقبل زوجة لمن سيحل محله!

مأساة فى بيت نهى

لم تكن نهى تدرى أن الحديث معها تليفونيا مراقب لأنها لم تكن تتصور أن تراقب وزارة الداخلية وصيفة القصر. أما مصطفى فقد كان يشك أحيانا فى وجود رقابة خصوصا عند سماعه صوت تك.. تك.. وهى الأصوات التى كانت لابد أن تصدر مع استخدام الوسائل البدائية - بالنسبة لوسائل هذه الأيام المتقدمة - وكان مصطفى عند إحساسه بالرقابة يطلب إلى نهى إنهاء الحديث ويشتم وزارة الداخلية!

وفى أحد الأيام طلبت نهى من مصطفى أن يحضر إليها بسرعة لأن زوجها مسافر والأولاد فى المدارس. وفى حجرة مغلقة تم انفراد الاثنين بعد أن اغلقا عليهما الباب ولكن مصطفى سمع صوت سعال خفيف وراء الباب. فقفز وفتحه ليجد خادمة صغيرة السن وراء الباب فصرخ فى وجهها: ماذا تصنعين؟ ارتبكت وأخذت تبكي وترتعش ثم قالت: كنت أريد أن أقول شيئا للست.

سألتها نهى: ماذا تريدين قوله؟ ألم أقل لك أن تخرجى وتعودى بعد ساعة؟.. لماذا لم تخرجى؟

قالت الخادمة وهى تبكى: ذهبت إلى المطبخ وكنت جائعة لأتناول شيئا من الطعام.

قال مصطفى ثائرا: يا كذابة، يا بنت الكلب. وأخذ يضربها ويركلها.

فرت الخادمة تجرى وتصيح ألماً من هول الركل واللطم. ومصطفى يتابعها واتجهت نحو المطبخ تستغيث من شباكه. وفجأة ألقى بها مصطفى من الدور السابع، ووقعت المسكينة على سور المبنى الحديدى المدبب، ونفذت حرابه فى صدرها وأحشائها، وجرى التحقيق وأقفل على أنه انتحار!!

.. فى مكتب الملك

دخل الملك مكتبه ذات مساء ليقرأ بعض ملفات ومراسيم قوانين يجب عليه أن يمهرها بإمضائه. فتح الملف الأول فوجد ورقة أراد أن يمهرها حتى قبل أن يقرأها على عادته، ولم يصدق عينيه. أخذ يقرأ الورقة: «أيها الجيش الباسل، ويا شعب مصر النبيل. إن ملكاً فاسداً فاجراً يحكمك، وقد آن أوان الخلاص منه».

ولم يكمل قراءة المنشور ووضع كل أصابعه على لوحة أزرار الأجراس يدقها فى عنف. وأخذت الأجراس لا ينقطع رنينها. وهرع موظفو القصر وكبار ضباطه وخدم القصر إلى حجرة الملك ودخلوا عليه وهو يصيح: أيها الخونة. سأقتلكم سأعذبكم حتى تعترفوا.. نعم إنكم خونة وأنا أعلم ذلك ولكنى سأقضى عليكم.

ظلوا جميعا واجمين صامتين. فصاح: تكلموا من الذى وضع هذه الورقة؟

سكتوا ولم يردوا..

أيها الكلاب الأنذال ردوا. من وضع هذه الورقة؟

وأخيرا جرؤ كبير الحرس على التقدم نحوه وقال: هل يسمح مولاى بأن أطلع على الورقة ؟

رمى الملك الورقة في وجهه صائحاً: أنت المسئول الأول عن انعدام الحراسة.

أمسك الضابط بالورقة يقرؤها. وكلما تقدمت به القراءة سطراً ارتجفت أوصاله.

قال الملك (وهو ينظر إليه بغضب وعلى فمه سخرية واضحة):

هل قرأتها يا رئيس الحرس؟

قال الضابط: نعم يامولاي.

قال الملك: من الكلب الذى أدخلها إلى مكتبي؟ من جرؤ على إدخالها؟

وأخذ يتلفت إلي وجوه الموجودين، فرأى خادماً نوبياً بقرب الباب. فاتجه إليه وأمسك بتلابيبه صائحاً: لابد أن تكون أنت. ألست المكلف بتنظيف الغرفة اليوم؟

وكاد المسكين يقع مغشياً عليه. وبدأ يبكي قائلا:

- أنا مظلوم يامولاى.

ثم نظر الملك إلى سكرتيره وقال:

- لابد أن تكون أنت. ألست أنت الذى تعد لي الملفات؟

قال السكرتير: نعم يامولاى. ولكن هل تظن أنى وصلت إلى هذه الدرجة من الحماقة لأضع لك منشوراً في ملف أعده لك.

قال الملك صارخا: إذن تكلموا أيها الخونة. سأعرف من الذى وضعه. سأضعكم جميعاً تحت التحقيق.

واستعان الملك ببوليس السراى. وحجب عن وزارة الداخلية الحادث. ولكنه تسربْ إلينا. ولم أشك لحظة في أن نهى هي التي وضعت المنشور، لأنى أعلم أنها كانت تدخل مكتب الملك وتخرج من غير أن يعترض سبيلها أحد. وفي مكالمة تليفونية مع مصطفى قالت له ضاحكة:

- لو تشوف منظره وهو يصرخ ويشتم عندما قرأ الجواب اللى جاله، ولم تقل المنشور.

وهكذا بدأت نهى انتقامها من فاروق وظلت تتابعه.

□□□

بتاريخ ٣ مايو (ايار) ١٩٥٢ أرسل مراسل اليونايتدبرس المستر كولنز برقية إلي المركز الرئيسي في لندن تعليقاً على نبأ أذاعه راديو N.B.C الأمريكي ذكر فيه أن حادثاً جرى للملك فاروق في نهاية شهر مارس ١٩٥٢. ويقول المستر كولنز في

برقيته أنه توجه إلى الأمير عباس حليم ابن عم الملك ورئيس نادى السيارات. وسأله عن فترات حضور الملك إلى النادى في الفترة ما بين الخامس والعشرين من أبريل؟ فقال الأمير: إن الملك حضر إلى النادى إحدى وعشرين مرة طبقاً لما هو مدون فى دفاتر النادى، وإنه كان دائماً فى صحة جيدة جداً، وإن الأيام الأربعة التى غابها الملك كانت خارج المدينة.

فلماذا هذه البرقية؟ وماهو الحادث الذى أذاعه راديو N.B.C ؟

□□□

فى مساء يوم ١٥ أبريل ١٩٥٢ توجه الملك إلى منزل نهى فى الساعة العاشرة مساء ليتناول العشاء ويلعب الورق مع بعض أصدقائه. وكان مدخل المنزل قليل الضوء يحجبه عن المنزل المجاور حائط مكلل بأشجار الياسمين. ولم يكن الحائط عالياً. ونهايته التى تؤدى إلى المدخل الداخلى للمنزل كانت مظلمة تماماً. ولما نزل الملك من السيارة، لم يتقدم هو للدخول بل سبقه رجل الحاشية الإيطالى بولى وتبعه الملك، وأطلق شخص كان فى الناحية الأخرى من الحائط النار. فأصاب بولى فى ساقه، ونجا الملك، وفر الذى أطلق النار.

وأخفى الملك عن وزارة الداخلية الحادث. ولكنه طلب تعيين حارسين أحدهما أمام المنزل والآخر وراء الحائط. كما أمر بوضع أنوار فوق الحائط. ولكننى علمت بالحادث، وتحريت. فعلمت أن مصطفى كان موجوداً فى القاهرة ذلك اليوم، وأنه غادر منزله الساعة التاسعة فى سيارة يقودها بنفسه، لأنه أخبر نهى تليفونياً أنه سيخرج للنزهة. وأجابته نهى: «إن شاء الله ترجع سالماً. اعمل حسابك وأنت بتسوق لأن الحوادث كثيرة». ولم يتكلم مصطفى مع نهى بعد عودته. ولكننى علمت أنها ذهبت إلى منزله فى اليوم التالى وقابلته.

□□□

كان التليفون يدق بإلحاح عندما سمعت صوتا يقول إنه رئيس المباحث السياسية وإنه يريد مقابلتى لأمر عاجل.

قلت له: احضر غداً لأنى مشغول جداً.

قال: سيدى، الأمر مهم جداً. وأرجو مقابلتك الآن وأرجو أن أراك على انفراد.

قلت له وأنا أحس فى صوته بخطورة الموضوع الذى يريد عرضه: إذن فقل على الفور.

وطلبت من سكرتيرى تأجيل بعض المقابلات. وحضر رئيس المباحث، ومعه ورقة مطبوعة على الآلة الكاتبة قدمها إلىَّ وتطلعت فيها. إنه تقرير مكتوب عليه «سرى للغاية» ويعرض فقط على الوزير.

منشورات الضباط الأحرار تطبع بالجيش

كان قد وصل إلينا من عشرة أيام أن منشورات الضباط الأحرار تطبع فى مطبعة روتينية فى ثكنة فرقة المشاة المعسكرة فى المعادى قرب مدينة القاهرة. وراقبنا الثكنة من الخارج، فوجدنا أنه يدخلها اليوزباشى مصطفى واليوزباشى خالد وهما ليسا من ضباط الفرقة، وأنهما يمكثان زمناً ثم يخرجان يحملان حقيبتين جلديتين منتفختين، وكانتا فارغتين عند دخولهما. وتأكدت شكوكنا من صحة المعلومات التى وصلت إلينا. وأخذت أفكر فيما يجب أن أصنع. هل أخطر الفريق محمد حيدر؟ إنه يقول دائماً عن حركة الضباط الأحرار إنها شقاوة عيال، وإنه هو وكبار الضباط قابضون على زمام الجيش بقوة. ولن يسره أن يصل إليه الخبر من وزارة الداخلية بدل أن يصل إليه من مخابراته العسكرية. وبدا لى فوراً أن من المستحسن ألا أبلغه. هل أطلب من اللواء حسين فريد رئيس الأركان أن يقوم هو بالإجراءات؟ لقد خاب أملى فيه، ولم يعد محل ثقتى. هل أخطر رئيس الديوان ليبلغ الملك؟ هناك احتمال قوى بأن يبلغ الأمر إلى الفريق حيدر. إذن فما الذى علىَّ أن أفعله؟ قررت أن أسلك سبيلا وعراً تحفه المخاطرة. وأن أترك رجال البوليس يقومون بتفتيش ثكنة الجيش مستعملا سلطتى كوزير للحربية.

والمخاطرة واضحة. فإن رجال البوليس لو فتشوا الثكنة ولم يجدوا مطبعة أو منشورات فمسئوليتى ستكون فادحة. وأقل ما يجب علىَّ أن أعمله هو أن أستقيل. ولكنى توكلت وعزمت.

قلت لرجل المباحث: متى لاحظتم أن الضابطين مصطفى وخالد يدخلان الثكنة ويخرجان؟

قال الضابط: الساعة التاسعة صباحاً يدخلان ويخرجان بالحقيبتين الساعة الثانية عشرة.

كتبت الخطاب التالى إلى قائد الثكنة ووضعته فى ظرف وصمغته وأغلقته:

«إلى قومندان ثكنة المعادى، سيحضر إليك الأميرالاى إبراهيم ومعه ستة من ضباط المباحث الساعة العاشرة والنصف صباحاً. وعليك بمجرد الاطلاع على الخطاب أن تتصل بى مباشرة تليفونياً فى مكتبى فى وزارة الحربية». وكتبت له نمرة تليفونى الخاصة المباشرة.

أعطيت الخطاب لرئيس المباحث وقلت له أن يكون فى مكتب القومندان الثكنة الساعة العاشرة والنصف صباحاً، وأن يسلمه الخطاب وينتظر فى مكتبه حتى تتم المحادثة التليفونية.

وتوجه الضابط فعلا، وفى الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين دق جرس تليفونى الخاص، ورددت.

قال المتكلم: أنا قومندان ثكنة المعادى.. هل أنت الوزير؟

قلت: نعم. هل قرأت الخطاب؟

قال قائد الثكنة: نعم.

قلت: إن فى الثكنة مطبعة تطبع منشورات تحرض على الثورة، يطبعها بعض ضباط الجيش. وعليك الآن أن تسمح للأميرالاى إبراهيم وضباطه بالدخول إلى الثكنة للتفتيش فوراً.

غاب عنى لفترة صوت قائد الثكنة..

قلت: ألا تسمعنى؟

قال قائد الثكنة وقد وضح التردد فى صوته: ولكن يا أفندم ألا ترون أنه يجب الاتصال بالفريق حيدر و إبلاغه؟

قلت: أنا وزير الحربية، وعليك أن تنفذ ما أمرتك به فوراً وبلا تردد، وإلا تحملت المسئولية، وعليك أن تصحبهم فى التفتيش.

قال قائد الثكنة: أنا لا أقصد عصيان الأمر، ولكن هذا هو الروتين المتبع.

قلت: نفذ الأمر فوراً، ودع لى مسئولية الروتين.

ودخل الضباط وفتشوا الثكنة وعثروا على المطبعة وعلى منشور جاء فيه:

«يا ضباط الجيش. ثوروا على الملك الخائن وحكومته العميلة للاستعمار. اقضوا عليهم جميعاً بلا رحمة. إن عهد الطاغية يجب أن يزول، ورأسه يجب أن تسحق».

وكان حول المطبعة ستة ضباط.

ثم دق التليفون، وسمعت صوتاً يتلعثم ويتهته. وكان صوت قائد الثكنة يخبرنى بضبط المطبعة والضباط.

قلت له: تحفظ عليهم. وسأطلب من سلطات التحقيق فى الجيش أن تقوم معهم بالتحقيق.

واتصلت باللواء حسين فريد وأخبرته بما حدث وطلبت إليه أن يتوجه مباشرة إلى ثكنة المعادى للتحقيق.

مكالمة توبيخ من فاروق!

كنت فى منزلى الساعة الثالثة بعد الظهر أستريح على مقعد طويل بعد تناول الغداء عندما سمعت التليفون يدق. وردَّ عليه أحد الخدم ثم قدمه إلىَّ.

قلت: من المتكلم؟

فرد قائلا: أنا فاروق. هل أنت مرتضى؟

قلت: نعم، يامولاى.

قال: ماهذا الذى صنعته؟

قلت: وماذا صنعت؟

قال الملك: ماذا صنعت؟؟ إنك أقدمت على إجراء خطير وخطير جداً. كيف ترسل البوليس ليفتش ثكنة للجيش؟

قلت: لقد أرسلت البوليس لأن مخابرات الجيش لا تقوم بواجبها، ولا تريد القيام به. فسيف اليزل خليفة رئيس المخابرات العسكرية وعلى صبرى رئيس مخابرات الطيران يأتيان إلى مكتبى كثيراً ويقدمان تقارير تافهة تنصب كلها على أن الحزب الاشتراكى والشيوعيين هم الذين يقومون بطبع المنشورات، وينسبونها إلى الضباط الأحرار. وأبديت شكوكى لحيدر فذكر لى عن سيف اليزل وعن على صبرى أنهما من أكبر المخلصين للعرش وأن على صبرى من عائلة ارستقراطية وأن خاله على الشمسى باشا. ورغم ذلك فهل قرأت جلالتك المنشورات؟

قال الملك: طبعاً قرأتها. وهى كلام عيال ولعب عيال. أنا واثق من إخلاص جيشى لى. إنك استخدمت سلطتك كوزير حربية لإجبار قائد الثكنة على السماح بالتفتيش، مع أنك وزير حربية مؤقت إلى أن أجد من يصلح لتولى المنصب.

قلت: لقد استعملت سلطتى يا صاحب الجلالة لأن مرسوم تعيينى كوزير للحربية لم يكتب فيه أنى وزير مؤقت.

قال الملك: ما شاء الله، هل تريد السخرية؟

قلت: حاشاك. ولكن هذه هى الحقيقة. وعلى كل حال لقد أديت واجبى. والأمر متروك لك.

وأنهى الملك المكالمة. وفى اليوم التالى أخلى سبيل الضباط الستة.

فكيف عرف الملك بما حدث؟ ومن الذى قدم له الخبر على أنه مؤامرة ضد الجيش وليس ضده شخصيا ؟

□□□

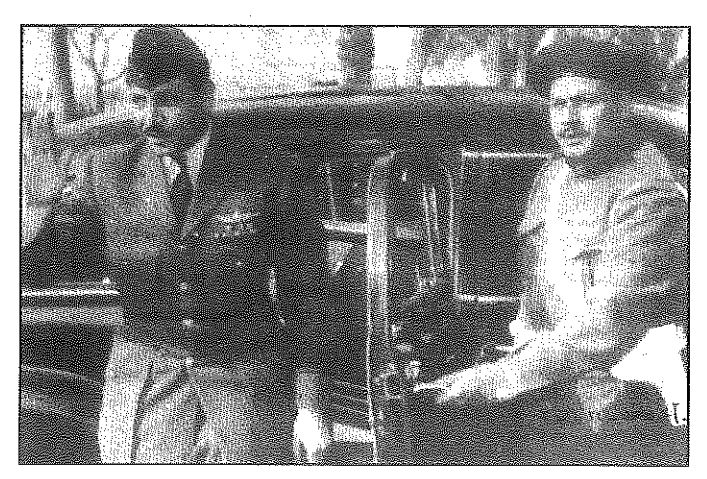




١ - فاروق أوضح فى مذكراته أنه لم يخطف ناريمان من خطيبها .



٢ - الضباط الأحرار .



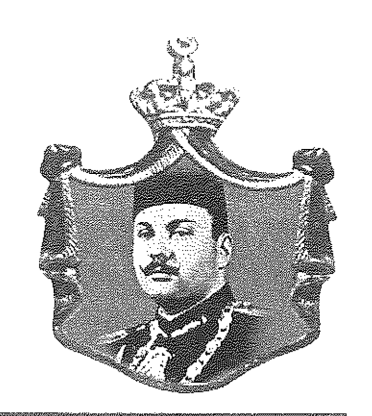
٣ - عبد اللطيف البغدادى أثناء نزوله من السيارة فى طريقه إلى أحد اجتماعات مجلس قيادة الثورة .



٤ - جمال عبد الناصر وعبد اللطيف البغدادى .



٥ - أنور السادات .



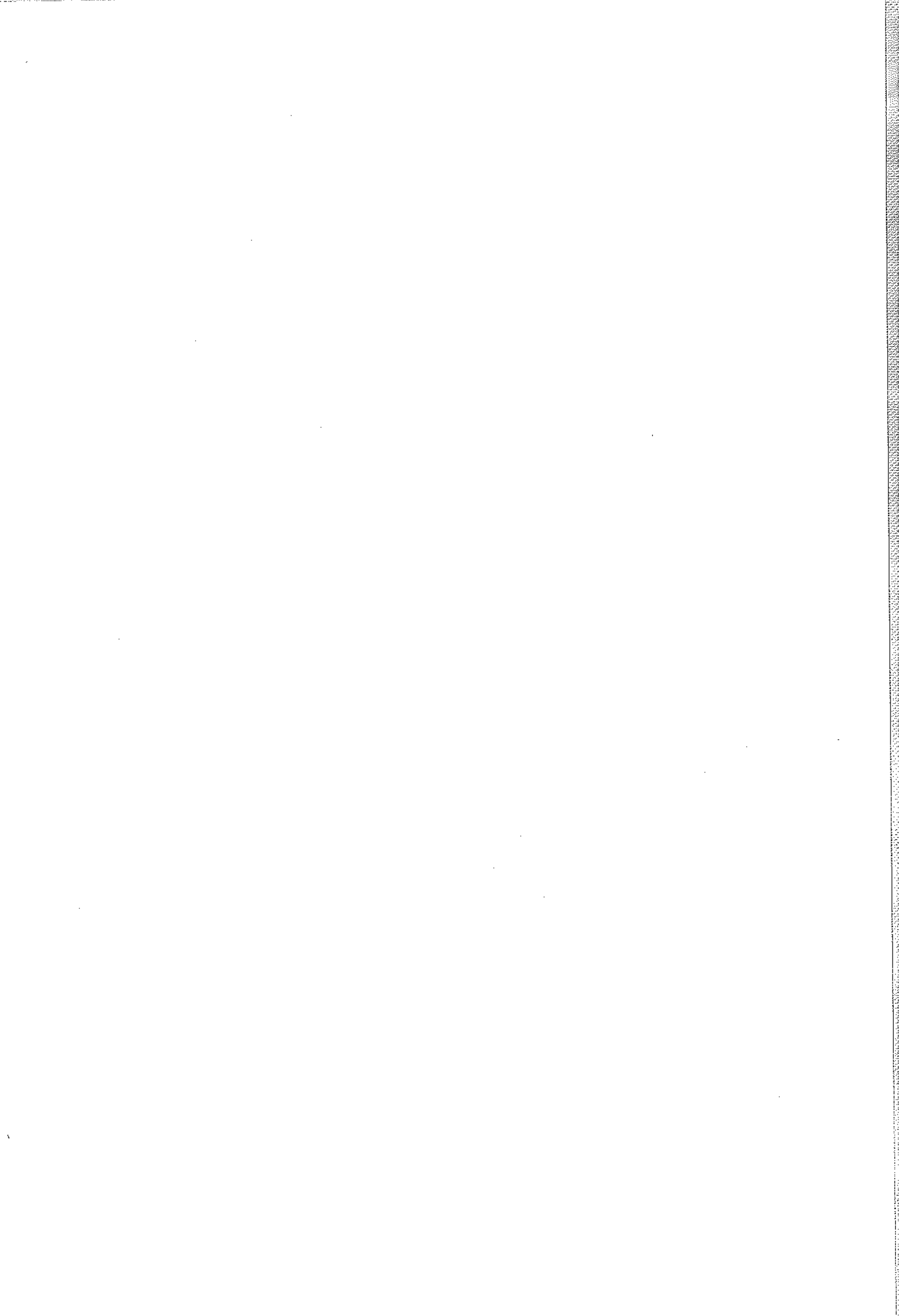
تحقيق فى الفجر

■ وصيفة القصر تحرض حيدر ضدى وتنجح فى التأثير على الملك .

■ تحقيق مع عضو فى الحزب الاشتراكى يكشف علاقة وجيه أباظة والبغدادى بالضباط الأحرار .

■ طلبنا من أمريكا شراء سلاح فعرضت أن نوقع حلفا معها بعدم استخدامه فى الحرب .

■ هل كان فاروق حقا رجلا بألف وجه ؟



كان فاروق مجموعة غريبة من المتناقضات.. كان يتظاهر أنه كبير السن وهو لايزال شابا يافعا.. وكان يمثل دور شيوخ الدين وهو لا علاقة له بالدين..

وكان من الطبيعي - وعملي هو البحث والتنقيب - أن أعرف سر كل هذا.. ومن حسن الحظ أن وزارة الوفد كانت هى التى أصدرت تعليماتها بمراقبة تليفونات السيدة «نهى» وصيفة القصر.. وكانت جميع مكالماتها يتم إفراغها بنفس كلماتها وترسل إلىَّ.. واعترف أننى عن طريق هذه المكالمات استطعت أن أجمع الكثير من المعلومات وأعرف الكثير من الأسرار الخافية علىَّ والتى لم يكن من الممكن أن أعرفها إلا بهذه الوسيلة التى لم تكن من اختراعى ولكن الصدفة وحدها هى التى حملتها إلىَّ..

كنت عقب اكتشاف المطبعة التى تأكد أن اليوزباشى مصطفى واليوزباشى خالد يستخدمانها فى طبع المنشورات الخاصة بالضباط الأحرار قد أصدرت أوامرى بحجز مصطفى رهن التحقيق.

وفى الساعة الواحدة بعد ظهر نفس اليوم علمت نهى من صديق لمصطفى بنبأ التفتيش الذى حدث فى ثكنة المعادى واحتجاز مصطفى. وقال لها صديق مصطفى وكان من الضباط الأحرار إن مصطفى سيكون مصيره السجن حتما، وأن أمر الكثيرين سيفتضح وأن التحقيق سَيَجُرَّ - ولابد - إلى كشف أسرار كثيرة. وعليك أن تعملى شيئا وفورًا ونحن نعلم نفوذك على الملك. أسرعى يا سيدتى.

طار لب نهى فزعا. فحبيبها سيذهب إلى السجن. وكيف تكون حياتها وهو بعيد عنها؟ والملك الذى حطم آمالها فى أن تكون ملكة مصر، هل ينجو من انتقامها؟ إنها واثقة من أن مصطفى هو زعيم حركة الضباط الأحرار. لقد أقنعها بذلك بعد أن تأكد من كراهيتها وحقدها على الملك.

وها هو ذا يثبت أنه يطبع منشورات الضباط الأحرار وهناك احتمال كشف أمره فهل هناك برهان أكثر من ذلك على صدقه.. وهل تتحطم حركة مصطفى وينتهى أملها مع الملك القادم بعد أن تحطم أملها مع الملك القائم؟

وهدأت قليلا وأخذت تفكر. هل أذهب إلى الملك وأحاول تخليص مصطفى. وأبعدت هذا التفكير خشية أن تزيد شكوكه التى بدأت تساوره من أن لها علاقة غرامية بمصطفى. إذن ماذا تفعل؟ وخطر لها خاطر صاحت معه. لقد وجدت الحل.

تناولت نهى التليفون وطلبت حيدر وكان في مكتبه. فرد عليها بترحيب كبير. لما يعرفه من نفوذها لدى الملك. ومن واقع التسجيل أنقل المكالمة.

نهى: سمعت بنبأ تفتيش ثكنة المعادى؟

حيدر: نعم.

نهى: وكيف سمحت للبوليس بالتفتيش؟

حيدر: هو مش بوليس بس.. ده أصله وزير حربية كمان.

نهى: وهل أنت راض عن هذا التفتيش ؟

حيدر: لا . ولكن ماذا أصنع؟

نهى: أنت الفريق حيدر. حيدر العظيم تقول لا أعرف وماذا أصنع؟ هل أصبحت تخاف من وزير الحربية؟

حيدر (متحمسا) أنا أخاف؟ ماذا تقولين يا نهى هانم. حيدر يخاف ؟

نهى: إذن، لماذا لا تحتج لدى الملك على مسلك الوزير؟

حيدر: ولكن المنشورات فيها طعن شديد بالملك وحض على الثورة.

نهى: (وقدر طار صوابها): ده كلام فارغ. لابد أن البوليس هو الذى دس المطبعة والمنشورات. إن الضباط المحتجزين هم أشد المخلصين لمولانا. أنا واثقة من ذلك.

أرجوك اذهب إلى الملك واطلب الإفراج عنهم فورًا واحتج على الإجراءات. واطلب منه عزل المراغى.

حيدر: ولم لا تسبقينى إليه وتقولين له هذا الكلام.

نهى: سأذهب فورا إليه. وعليك أن تتبعنى.

وذهبت نهى إلى الملك وذهب حيدر. وكانت النتيجة حديث الملك التليفونى معى:

ومنذ ذلك الوقت أصبحت أرى بوضوح العلامات وهى مكتوبة على جدران المستقبل. فالملك أصبحت تتصرف فيه امرأة يطاوعها في كل ما تشير به. وقائد الجيش يتقبل توجيهاتها. فقررت أمرا ومضيت فيه.

تكوين فرق الأمن الخاصة

كنت قد اطلعت على تقرير عن فرقة منشأة فى إيطاليا منذ حوالى ثمانين عاما تسمى (الكارابنيرى) أو حملة البنادق. وهى قوة مسلحة وسط بين الجيش والبوليس. ووظيفة هذه القوة أن تعاون البوليس فى حفظ الأمن. وكانت مسلحة بسلاح أقوى من سلاح البوليس وأضعف من سلاح الجيش ولعبت دورًا كبيرا فى إيطاليا. حتى إنها كانت تشترك فى الحرب. واستعين بها على خلع موسولينى ديكتاتور إيطاليا المعروف.

فكرت أن أنشىء فى مصر قوة مسلحة من هذا الطراز وكان قصدى أن أوجد توازنا بين القصر والحكومة. فالقصر يستعين بالجيش دائما على ارهاب الحكومة. فهو يقيل الوزارات ويفرض على الوزراء إرادته ويملى عليهم ما يريد، وغالبا لم تكن إرادته، بل إرادة حاشيته. وهى حاشية لا تشبع. إن لم تجد صفقات سلاح فإنها تبحث عن الاتجار بالمخدرات. وهناك امرأة تتحكم فيه وتخونه وتريد القضاء عليه. وهو يحبوها بعطفه. والجيش يضج صغار ضباطه ويكتبون المنشورات. وضباط البوليس غير راضين عن الملك وعن الجيش للإهانة التى ألحقها بهم الملك والجيش حين أضربوا مطالبين بزيادة أجورهم واعتصموا فى حديقة الأزبكية سنة ١٩٤٧ فأرسل الملك إليهم الجيش وحاصرهم ونالهم ذل شديد. كل ذلك حفزنى على أن أنشىء فرقة من نمط خاص لكى تستطيع الحكومة فى الوقت المناسب أن تلوح بها فى وجه الملك، ليقف عند حده هو وحاشيته. وفاتحت رئيس الوزراء نجيب الهلالى بالفكرة. ووافق عليها مدركا أغراضها. ولكن كان لابد من عرض الأمر على الملك. فأرسلت إليه مذكرة بأن هذه الفرقة ستكون مهمتها مقاومة عناصر الشغب ضاربا مثلا بحريق القاهرة - سواء أكانت هذه العناصر شيوعية أم إخوان مسلمين - أما الإخوان المسلمون فكان الأمر بالنسبة إليهم جادًا وحقيقة. إذ إنهم كانوا مسلحين تسليحا جيدا. وأما الشيوعيون فالحجة بالنسبة إليهم حجة واهية. إذ كانوا قلة لا يعتد بها، ولم يكن العنف فى برنامجهم.

ولكن كنت أعلم أن الملك لا يخشى إلا الشيوعية. ولعل الذى أفرغ ذلك فى ذهنه هو تستا المانيكير الإيطالى. وقد ضربت على ذلك الوتر الحساس لأنال موافقته. وقد نلتها.

بقى علىَّ أن أدبر السلاح اللازم للقوة. وكان مشروعى أن تكون مؤلفة من ثلاثين ألف رجل. عشرة آلاف منهم فى القاهرة. وعشرة آلاف فى طنطا والإسكندرية. وعشرة آلاف فى أسيوط. ورأيت أن يكون تسليحها على الوجه التالى: تسعون سيارة مصفحة ومركبات لحمل

الرشاشات الثقيلة، ومركبات تحمل الجنود المسلحين ببنادق أوتوماتيكية، ومركبات لحمل جنود البنادق العادية. وهليكوبترات. فالقوة كلها كانت ميكانيكية. ورأيت أن يكون اختيار القوة من جنود الجيش السابقين وسلاح الحدود وسلاح الهجانة. وأرسلنا ضباطا إلى السودان لإحضار جنود سلاح الحدود الذين انتهت خدماتهم.

وبقيت النقطة الهامة: من أين أطلب السلاح؟ إنى لا أريد أن أعيد مأساة الأسلحة الفاسدة. وخشيت أن تنتهز حاشية الملك الفرصة لتسرع إلى أسواق أوروبا. فقررت أن أطلبه من الحكومة الأمريكية. وكانت أمريكا هى التى تسلح أوروبا. واستدعيت السفير كافرى وشرحت له الأمر. فاستمع مليا ثم قال: إنها قوة ضخمة تكاد أن تكون حربية.

قلت: إنى محتاج إليها لمهام ضخمة.

قال: ولكننا لا نعطى هذا القدر من الأسلحة إلا لحلفائنا. كحلفائنا فى منظمة حلف الأطلنطى أو فى حلف شرق آسيا. وأنتم لستم حلفاءنا.

قلت: إننا لا نريدها لأغراض حربية.

قال: ولكنها قد تستخدم لأغراض حربية. إنكم لا تزالون فى حالة حرب مع إسرائيل.

قلت: إن هذه قوة لحفظ الأمن. ألم تسمع عن حريق القاهرة؟ هل استطاع البوليس أن يحفظ الأمن؟

قال: سأحاول أن أقنع حكومتى.

وعاد بعد أسبوع يقول إن حكومته تشترط أن توقع الحكومة المصرية معها ميثاق تحالف حتى تحصل على الأسلحة.

رفضت ذلك، وقلت: أريد الأسلحة بلا شروط.

فعاد إلىَّ بعد أسبوع وقال: إن حكومته متنازلة عن شرط الدخول فى التحالف، ولكنها تشترط على أن ينص العقد على ألا تستخدم الأسلحة فى أعمال حربية ضد أية دولة أخرى. ووافقت. وتم مشروع الاتفاق فى ٢٩/ ٤/ ١٩٥٢ وكان الذى تولى صياغة العقد هو الدكتور وحيد رأفت ولكن حتى قيام ثورة يوليو ٥٢ لم تكن هذه الأسلحة قد وصلت وكل ما عرفته هو أن الملحق العسكرى الأمريكى أخطر وزارة الداخلية أن حكومة الولايات المتحدة (وزارة التجارة) قد وافقت على إنتاج وتصدير ٤٢٥ عربة جيب ويلز و ٢٥٠ ناقلة فى الربع الثانى من سنة ١٩٥٢ أى مايو ويونيو و ١٥٠ ناقلة فى الربع الثالث، أى يوليو وأغسطس. ولم ترد أى إشارة من الأمريكان عن الترخيص بإرسال عربات مصفحة أو أسلحة. وقد احتج المرحوم

جمال عبد الناصر على أمريكا فى خطبة له بأنها أعطت حكومة الهلالى أسلحة ورفضت طلبا تقدم به إليها. وقد جرى معى تحقيق بعد الثورة فى معتقل أودعت فيه مع عدد كبير من الساسة والوزراء.

□□□

جاءنى ضابط وأنا نائم فى الساعة الثالثة صباحا. وأيقظنى قائلا:

تعال معى.

قلت إلى أين؟

قال: ليحقق معك.

قلت: فى هذه الساعة المتأخرة؟

قال: ليس هذا شأنى.

وأدركت أنهم قصدوا ذلك. ففى هذه الساعة يكون الفكر عاطلا راكدا، لايمكن جمع شتاته وحصره للإجابة عن الأسئلة.

وسألنى المحقق: لماذا أردت تكوين فرق الأمن الخاصة؟

قلت: لحفظ الأمن.

سأل المحقق: وهل حفظ الأمن يقتضى كل هذه القوة المسلحة؟

أجبت: حفظ الأمن يقتضى قوة مسلحة ضخمة دائما، وخصوصا فى الأوقات العصيبة.

سأل المحقق: مثل ماذا؟

قلت: مثل حريق القاهرة.

سأل المحقق: ولماذا تجند جنود أمن السودان؟

قلت: هؤلاء جنود سبق أن خدموا فى مصر.

سأل المحقق (بغيظ): ألم يكن لك غرض آخر؟

قلت: لا ولكنى وددت أن أعرف تصوركم لهذا الغرض.

سأل المحقق: ألم يكن غرضك إحباط حركة الضباط الأحرار.

قلت: ولما لا تفسر غرضى بعكس ذلك؟

ودام التحقيق على هذا النمط ليالى طويلة حتى ضاق صدرى من قلة النوم والإجهاد. فما أن بدأ التحقيق فى المرة الأخيرة حتى قلت:

اكتب يا حضرة المحقق.. لقد أردت من إنشاء هذه القوة أن أقوم بانقلاب كالذى قمتم به. وأنى فى هذا المعتقل لسبب واحد هو أنى فشلت ونجحتم أنتم.. ومن العجيب أنه بدت على أساريرهم علامات الارتياح والراحة ومن يومها انقطع التحقيق معى.

تحقيق يكشف وجيه أباظة وبغدادى

اعتقل البوليس محاميا يدعى الأستاذ جمال طولان، وهو عضو بارز فى الحزب الاشتراكى وجرى معه تحقيق فى يوم ١٠ مارس ١٩٥٢ بدأه المحقق بأن سأله عن موضوع الزجاجات الملتهبة التى قيل: إنها استخدمت فى إشعال حرائق القاهرة. وطلب منه أن يكتب تقريرا بنفسه. فرفض جمال طولان أن يكتب التقرير لأن فى ذلك خطورة عليه. ولكنه سيملى على المحقق ليكتب.

بدأ المحقق يعد نفسه للكتابة ولكنه فوجئ بجمال طولان يسأله: هل لوجيه أباظة علاقة بالقصر؟ وهل هو مكلف من القصر للقيام بأعمال معينة؟

قال المحقق: لا أظن أن لوجيه أباظة علاقة بالقصر.

قال جمال طولان: إذن أرجوك أن تكتب.

وبدأ المحقق يكتب ما يمليه عليه جمال طولان.. وكان مايلى:

«بعد إلغاء المعاهدة بحوالى أسبوعين، تم الاتصال بين جمال طولان وشخص عرف أنه ضابط فى الجيش برتبة البكباشى واسمه على، وكان مرتديا ملابس مدنية، وهو ممتلىء الجسم أبيض اللون وفى وجهه حمرة وله شارب كبير. كانت المقابلة فى هليوبوليس عند سينما روكسى. و نزل طولان من التاكسى ووجد الضابط بجوار سيارة صغيرة سوداء. وسأله الضابط:

هل أنت جمال ؟

فقال: نعم.

وركبا سيارة الضابط فى اتجاه سراى القبة. وفى مكان خال من المبانى وقفت السيارة وقال الضابط:

أنا معى هدية جميلة فى الدرج الخلفى للسيارة.

وفتح الضابط الدرج وأراه صندوقا فيه زجاجات ملتهبة، وحول الزجاجات نشارة خشب حتى لا تكسر وقال له:

إذا أردت الحصول على سلاح أيضا فتوجه إلى إدارة المخابرات، وهى تقع أمام الكلية الحربية واسأل عن ضابط اسمه عصمت، وهو على علم بقدومك.

وفي الساعة السابعة مساء توجه طولان إلى إدارة المخابرات، فوجد في انتظاره ضابطا برتبة اليوزباشي قال له إن اسمه عصمت. ودخل إلى غرفة فيها ثلاثة ضباط. وتكلم عصمت معهم ثم خرج مباشرة مع جمال طولان في سيارة لونها نبيذي إلى عمارة ضخمة. ودخلا إحدى شقق العمارة، فوجدا وجيه أباظة الذي قال له إن لديه ٢٠٠ زجاجة ملأى بالمواد الملتهبة، وأن معه بعض الضباط والصف ضباط في غرفة العمليات الخاصة في منيا القمح في الشرقية.

وفي يوم آخر توجه طولان إلى منزل وجيه أباظة في هليوبوليس وذكر اسم الشارع الذي فيه المنزل، وهو ٩ شارع سيدي جابر، وقال إنه حضر في أثناء جلوسهم شخص أدخل حجرة أخرى. وبعد مدة استدعى وجيه أباظة جمال طولان وأدخله الغرفة وقال له: هذا بغدادي بك. وعرف فيما بعد أن اسمه الكامل عبد اللطيف البغدادي.

استوقف نظري هذا التقرير وأطلت التفكير فيه: إني أعلم أن وجيه أباظة هو من الضباط الأحرار. وأنه يقوم بعمليات فدائية ضد الإنجليز في منطقة قنال السويس. والملك فاروق أعلن أنه تبرع للفدائيين بمبلغ ثلاثة آلاف جنيه.

وأن سؤال جمال طولان للمحقق فيه تخوف كبير من الكلام عن وجيه أباظة. لأنه يعلم بأن له صلة بالقصر. وإذ يطمئنه المحقق بالا صلة لوجيه أباظة بالقصر يتكلم طولان عن حيازة أباظة وضباط من المخابرات للزجاجات الملتهبة ولأسلحة كثيرة تستلزم مبالغ طائلة للحصول عليها. ثم يلفت نظري أكثر، ورود اسم عبد اللطيف البغدادي الذي كان اسمه واردا في قائمة كبار الضباط الأحرار الذين قدم كشف بأسمائهم إلى الملك، ولكن المخابرات الحربية برئاسة سيف اليزل وعلي صبري نفت أي نشاط لهم. واقتنع حيدر وكذلك الملك. وزاد في اقتناع الملك أن وصيفة القصر نهى كانت تقول له دائما إن حكاية الضباط الأحرار من اختراع رجال البوليس.

هذا التقرير جعلني أفكر: هل وصل الضباط الأحرار إلى الملك عن طريق إقناعه بأنهم يقومون بعمل فدائي ضد الإنجليز في قنال السويس؟ وبسبب كراهية الملك للإنجليز منذ حادث فبراير فإنه أمدهم بالأسلحة وبالمال؟ ولكن الزجاجات الملتهبة قد تلقى على الدبابات والعربات المصفحة مع مجازفة كبيرة بالحياة. والقاهرة أحرقت بالزجاجات الملتهبة. فهل لعب الملك فاروق مع الضباط الأحرار لعبة الفدائيين ليساعدوه على حرق القاهرة؟ ولعبوا هم عليه لعبتهم الكبرى. وتظاهروا بأنهم يخدمون هدفه من حرق القاهرة حتى يطيح بالوفد إطاحة لا يتسنى له بعدها أن يعود إلى الحكم فيركن إليهم ويثق بهم

وينتفي كل شك يكتب في تقارير البوليس عنهم. إنها خدعة ماهرة ماكرة ولو أنها كانت باهظة الكلفة.. فقد دفع فاروق عرشه ثمنا لها.

مؤامرة الإطاحة بالهلالي

كان أحمد عبود يملك شركة السكر وشركة الأسمنت وشركة الفوسفات وشركة البواخر. وقيل إن مجموعة ثروته حوالى المائة مليون جنيه. أى إن دخله السنوى يبلغ على الأقل عشرة ملايين جنيه بينما دخل الفلاح هو ثلاثون جنيها فى السنة. ومع كل هذا، فإن أحمد عبود لم يكن يدفع الضرائب المستحقة عليه للخزانة. ولماذا؟ لأن بعض رؤساء الوزارات وأغلب وزراء الخزانة كانوا أعضاء في مجالس إدارات شركاته. وجاءت وزارة الهلالى في أوائل مارس ١٩٥٢ تحمل علم التطهير. تريد أن تطهر الإدارة من الفساد، وأن تصدر قانون من أين لك هذا. وأن تجعل كل شيء يسير على مايرام. كان الهلالى أمينا ونزيها. ولكنه كان يحمل لحزب الوفد كراهية شديدة، لأنه كان عضوا فيه وانفصل عنه. ولم يكن للهلالى حزب يستند إليه. وكانت كل قوته هى السراى. ولكن التطهير إذا دخل السراى خرج كل من يقيم فيها لا من الأبواب بل من النوافذ.

وقبل الملك برنامج الهلالى على أن يبدأ بالوفد وبالحكومة. أما إذا حاول الاقتراب من القصر، فعندئذ لكل مقام مقال. وبدأت يد الهلالى تمتد إلى أكبر صديق للوفد وللإنجليز معا وهو أحمد عبود. ولم يكن أحد من أعضاء وزارة الهلالى قد دخل مجالس شركات عبود. وقلبت دفاتر عبود، فوجد أنه ماطل الخزانة في خمسة ملايين جنيه ضرائب.

وأنشب وزير الخزانة أظافره في عنق عبود وطالبه بها. وأرسل إليه إنذارات على يد محضر بالدفع وإلا اتخذت اجراءات الحجز على امبراطوريته الواسعة.

وأخذ عبود يبحث عن مخلص. فكر فى الإنجليز. ولكنه عدل لأنه يعلم أن الإنجليز لن يساعدوه. فكر في أن يأتى بمحامين مقتدرين يقيمون الإشكال تلو الإشكال. عسى أن يمضى وقت طويل تذهب معه حكومة الهلالى. ولكن الحكومة أخذت تضيق عليه الخناق. وكاد أن يصدر الأمر بالحجز على شركاته وأمواله سدادا للضرائب المتأخرة.

□□□

١ - فــاروق انتظر قدوم ولى العهــد طويــلا.. ولكن ســعادته بعد ولادته لم تدم كثيرا .



٢ - أثناء إحدى زياراته الرسميـة بصحبـة إبراهيم عبد الهـادى والأمير محمد عبد المنعم .





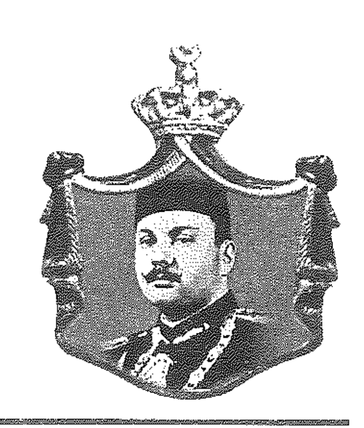
٣ – فاروق بمسبحته الشهيرة وعن يمينه أحمد ماهر



٤ – البغدادى يدلى بالحكم – محكمة الثورة .

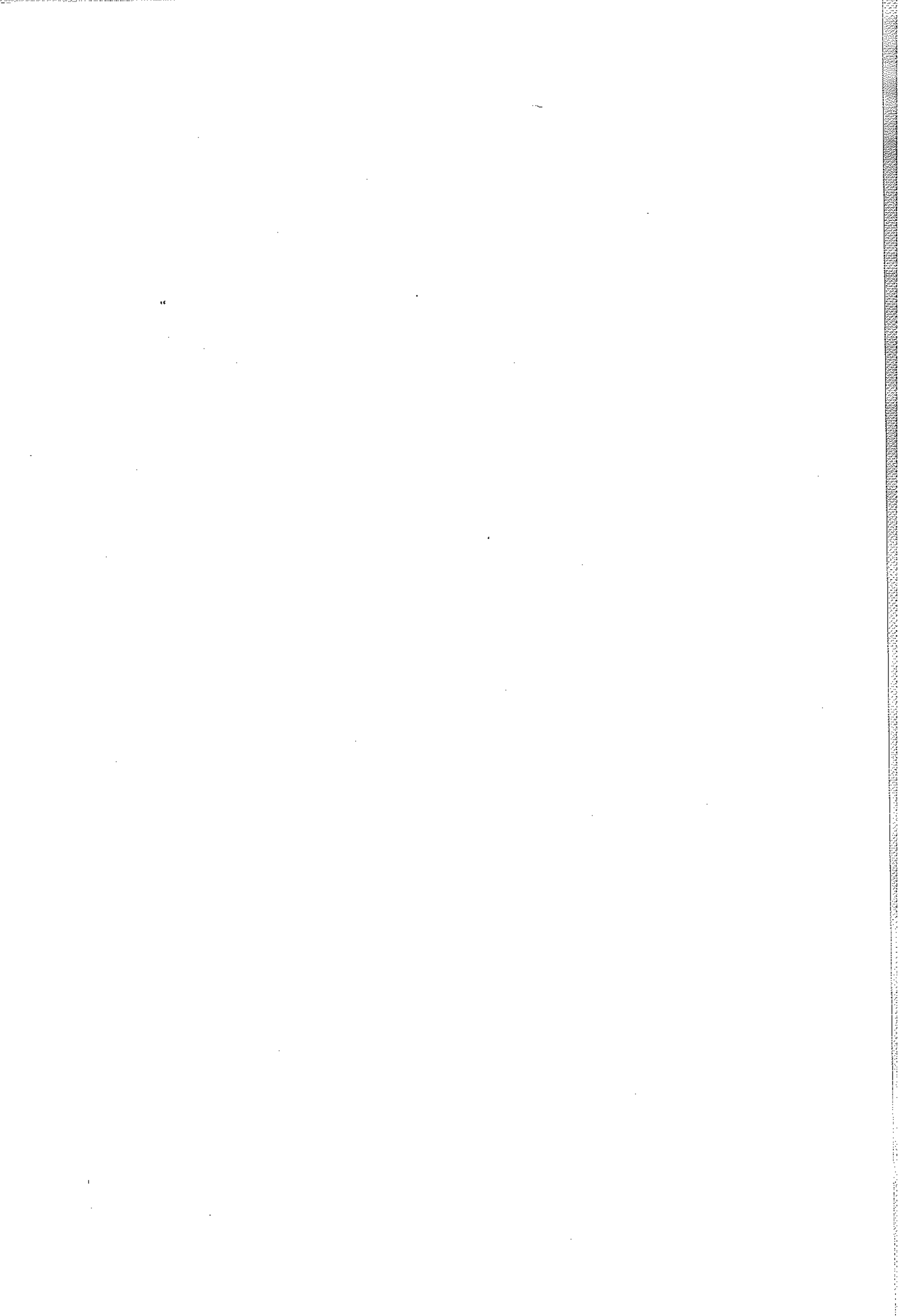


٥ – وجيه أباظة .



٤ وزارات في ستة أشهر

- فاروق يقبل رشوة من عبود لإقالة نجيب الهلالي .
- حيدر أصر على الاستقالة وقال سوف يدفع فاروق الثمن .
- فاروق يعين زوج أخته وزيرا للحربية وهو برتبة يوزباشي احتياطي .
- وزارة لمدة أربع وعشرين ساعة .



كانت سفينة الحكم منذ حريق القاهرة قد تعرضت للاهتزاز.. ويبدو أن كل شىء كان قد أصبح ممكنا حتى الأفراد العاديين للإطاحة بالوزارة.

ولا بد أن الجو نفسه كان يسمح بذلك وإلا ما حدث الذى حدث..

كان أحمد عبود باشا بلا شك أحد رجال الصناعة الذين خدموا مصر، ولكن عيبه أنه لم يكن حريصا على سداد ما يستحق عليه من ضرائب، بل كان حرصه الأكبر التهرب من أى مليم يمكن أن يسدده لحساب الضرائب.

ولما كانت وزارة نجيب الهلالى - وهى وزارة غير حزبية وقد جاءت فى ظروف قلقة - لم تكن تملك لاكتساب تأييد الجماهير غير رفع شعار الطهارة ومحاربة الفساد، فقد بدأت يده تمتد إلى أحمد عبود. حتى أصبح مهددا بالدفع أو الحجز وأخذ عبود يبحث ويبحث إلى أن هداه تفكيره. إلى عدلى أندراوس!

عبود يرشو الملك

كان عدلى اندراوس موظفا بسيطا فى شركة النسيج تسمى شركة البيضا التى كان يملك أغلب أسهمها الإنجليز. وكان لا يحمل إلا شهادة الدراسة الابتدائية. وتدرج إلى أن أصبح مديرا عاما لها. وجاءت الحرب فأثرى ثراء فاحشا. واتصل بحاشية الملك. وعرض على الملك أن يساهم فى الشركة وباع له حصة كبيرة من الأسهم وارتفعت قيمة الأسهم وكسب الملك مكسبا كبيرا. وكافأه الملك بتعيينه مستشارا اقتصاديا له، وأنعم عليه برتبة الباشوية.

توجه عبود إلى اندراوس متوسلا أن ينقذه من الهلالى. واعتذر اندراوس. ولكن عبود قال له: ما عليك. تكلم معه. قل له إنى مستعد لبذل كل شىء.

قال اندراوس مندهشا: وماذا تعنى ببذل كل شىء.

قال عبود: قل هذه العبارة للملك وهو سيفهمها.

وذهب اندراوس إلى الملك، وكان فى نادى السيارات يلعب البكاراه وتصادف أن كان ليلتها قد خسر مبلغا كبيرا. وجلس اندراوس على المائدة يلعب أيضا كعادته. ولما انتهى اللعب، قال:

أريد أن أحدثك فى شيء يا مولاى.

قال الملك وكان يشعر بالغضب عند الخسارة: دعه إلى غد.

قال اندراوس: قد يكون الغد متأخرا يا مولاى. واستطاع اندراوس أن يجذب اهتمام فاروق بهذه العبارة فاستمع منه إلى ما قاله له عبود، قال فاروق ضاحكا: وما هو الرقم الذى حدده عبود؟

قال اندراوس: أظن أنه فى حدود المائة ألف.

أجاب الملك: مائة ألف .. لا.. هذا قليل، قل له مائتى ألف..!!

إقالة وزارة الهلالى

ودفع عبود المبلغ. وقيل للهلالى أن يؤجل مطالبته بالضريبة فرفض. وطلب منه تقسيطها فرفض.

وفى يوم من أواخر مايو كنت فى مكتبى ودق جرس التليفون. وكان المتكلم عدلى اندراوس. قال لى إنه يود رؤيتى. وحددت له موعداً. وحضر فى الموعد. وجلس، وأخرج علبة جلدية فيها سيجار وعرض علىَّ سيجاراً ضخماً وأشعله وبدأ ينقر غطاء المكتب الزجاجى بأصابعه وأنا أنظر إليه، ثم تأوه وقال:

هل أنت مسرور مع الهلالى؟

قلت له: نعم.

قال: يا خسارة، لإنه رجل حنبلى خالص.

قلت: حنبلى لماذا؟

قال: يعنى لازم يخرب بيت عبود؟ هل تعلم أنه لو انخرب بيت عبود انهار الاقتصاد؟

قلت: هل مبلغ خمسة ملايين جنيه يخرب بيت عبود، وثروته مائة مليون؟ إن خمسة الملايين هى نصف دخله السنوى.

قال اندراوس: ولكن الخمسة ملايين إذا دفعت مرة واحدة تقصم الظهر. وعلى كل حال مولانا أصبح يضيق بتصرفات التطهير. وغدا سيصل الموسى إلى (ثم أشار إلى رقبته وضحك قائلا) ولعلكم تريدونها أن تصل إلى ما هو أعلى.

وأستأذن وانصرف، وأسرعت أنا إلى الهلالى. وأخبرته. فقال: وبما تنصحنى؟

قلت: ترقب.

وبدأت معاكسات الملك. واستقال الهلالى يوم أول يونيو بعد أربعة أشهر واشترى عبود الملايين الخمسة بمائتى ألف. وكانت ضربة مروعة من فاروق عجلت بالنهاية.

محاولات لإخراج حسين سرى عامر

كانت النذر واضحة وسحب السخط تلبد سماء مصر. لا يمضى يوم إلا وللضباط الأحرار منشور أو منشورات. ولاحظت أنهم يكثرون من ذكر حسين سرى عامر على أنه عامل من عوامل الفساد، ويطالبون بإخراجه من الجيش. وكنت أريد أن أفعل شيئا أحاول التخفيف به من سخط الجيش بعد أن فشلت محاولتى الأولى بإحالة عثمان المهدى إلى المعاش وتعيين حسين فريد، وهو ضابط كان محبوبا فى صفوف الجيش. فطلبت الفريق حيدر للحضور إلى مكتبى، وعرضت عليه فكرة إقالة حسين سرى عامر. فقال: إنها فكرة عظيمة.

قلت له: قدم إلىّ اقتراحا بذلك لأعد المرسوم.

قال: تريد أن تغضب الملك منى؟

قلت: هل تعلم أن غاية ما يريده الملك هو أن يجئ يوم سيكون قريبا لإحالتك أنت بالذات إلى المعاش، ليعين مكانك حسين سرى عامر؟

قال حيدر: فى الوقت الحاضر لا أظن. لكننى لا أستبعد ذلك.

قلت: بصفتك قائد الجيش، هل تعلم كل شىء أو بعض الشىء عن تصرفات حسين سرى عامر، وعن صلته القوية بحاشية القصر؟

قال: هل تقصد تهريب الحشيش؟

قلت: نعم.. وها أنا أرى أنك تعلم، فهل تشك فى ذلك؟

قال: إنى أعلم وأشك كثيرا فى تصرفات حسين سرى عامر. ولكن ماذا أصنع ومولانا راض عنه؟

قلت: إذا كنت مخلصا لمولانا، فهل من المصلحة أن تنتشر الفضيحة؟ ألست ترى سخط قسط كبير من الجيش؟

قال حيدر: أنا معك ولكنى لا أريد أن أغضب الملك.

قلت لنجد حلا للمشكلة. سأضع مذكرة أقول فيها إنى تدارست معك موضوع حسين سرى عامر، وتم رأينا على أنه لا يصلح لتولى منصب كبير فى الجيش كقائد، وأنه يحسن إحالته على التقاعد.

أطرق حيدر، وكان يحمل عصا قصيرة أخذ يضرب بها حذاءه وخده ثم قال: أوافق وأمرى لله.

وأعددت مرسوم القانون وأرفقت به المذكرة وعرضته على مجلس الوزراء. وأذكر أن أحد الوزراء قال: ولكن هل يوافق الملك؟

قلت: اعتقد أنه يوافق.

وأرسل المرسوم إلى القصر. وكانت مفاجأة كبيرة للملك أفاق من بعدها وطلب حيدر.

مقابلة غريبة وصفعة لحيدر

وذهب حيدر. وأدخل فى صالون صغير بجوار مكتب الملك. وأجلس على مقعد قريب من الباب الذى يفصل الصالون عن غرفة المكتب، وترك الباب مفتوحا وظل جالسا ساعة كاملة لم ير أحداً ولم يقدم إليه حتى ولا كوب ماء. ثم دخل كريم ثابت الصالون متجها إلى غرفة المكتب وهو مسرع فى مشيته. وقام حيدر ليحييه، ولكن كريم أشار إليه بيده أن يجلس ولم يمد لمصافحته. وجلس حيدر. وبعد دقائق سمع صوت الملك يدوى عاليا ويصيح: أرأيت يا كريم ما فعل ضابط السجون الذى جعلناه قائدا للجيش. أصبح يتنمر علىّ هذه الأيام. أليست مصيبة؟

كريم (متجاهلا): من هو ضابط السجون الذى يتنمر يا مولاى؟

قال الملك: حيدر يا سى كريم.. نعم حيدر .. كريم (بتعجب): حيدر وماذا صنع؟

قال الملك: اتفق هو والمراغى على إحالة سرى عامل إلى المعاش وأرسلا إلىَّ المرسوم.

كريم أعوذ بالله. هل وصلت الجرأة إلى هذا الحد؟

قال الملك: نعم. ولكنى سأعرف كيف أعاقبه. وأنت يا كريم اذهب إلى حيدر وقل له أن ينصرف. ولا أريد أن أرى وجهه.

قال كريم: أرجوك يا مولاى أن تصفح عنه. واسمح له بالتشرف بالمقابلة.

قال الملك: لا لن أقابله. ولا بد أن تأخذ معه إجراء. سمع حيدر الحديث وصعد الدم إلى رأسه. قال لنفسه: هل هنت لهذا الحد. أأشتم بهذه الطريقة المزرية وبهذه التمثيلية الرخيصة؟ أليست لى كرامة؟ والوسيط من؟ كريم ثابت الذى يضج البلد من فساه. وحضر إليه

كريم ثابت يحاول أن يطيب خاطره. ولكن حيدر أخذ عصاه وكانت على كرسي بجانبه، ولم يقل كلمة وخرج متوجها إلى منزله.

أبلغت حيدر برفض الاستقالة

بعد يومين تم اتصال بي عرفت منه أن الملك سيرسل حافظ عفيفي رئيس الديوان إلى حيدر طالبا منه أن يقدم استقالته. كنت في منزلي مريضا فاتصلت بحيدر في مكتبه فلم أجده، فاتصلت به في منزله ولم أجده، وقيل إنه في فندق مينا هوس وقابل حيدر وقل له: إذا جاءك حافظ عفيفي وطلب منك الاستقالة فلا تقبل طلب الملك، وقل له لن أستقيل وعليه أن يقيلني، ولكني لا أستقيل. وبعد ساعتين عاد أخي وقال إنه أبلغ حيدر الرسالة.

سألته: وماذا قال لك حيدر؟

قال أخي: قال: هذه المرة سيدفع الملك الثمن غاليا.

في أقل من ستة أشهر شهدت مصر أربع وزارات وزارة الوفد التي أقيلت يوم ٢٧ يناير١٩٥٢ .

ثم وزارة علي ماهر التي لم تدم غير شهر واحد واستقالت في أول مارس.

ثم وزارة نجيب الهلالي التي تآمر عليها المليونير أحمد عبود ونجح في إرغامها على الاستقالة يوم ٣٠ يونيو، وقد ظلت معلقة إلى أن صدر أمر ملكي بقبولها.

والغريب أن سر استقالته هذه لم يكن خافياً فقد ذكرت جريدة التايمز البريطانية أن الاستقالة جاءت نتيجة لمؤامرة دبرها للهلالي باشا بعض رجال الاقتصاد بالاشتراك مع بعض رجال القصر الملكي.

وكانت الوزارة الرابعة برئاسة المهندس حسين سري باشا وقد احتفظ لنفسه بوزارتي الخارجية والحربية، وتولى محمد هاشم باشا وزارة الداخلية.

وأعلن حسين سري أن برنامج وزارته يتضمن: إرساء نظام الحكم النيابي على أسس ديمقراطية، وتحقيق أهداف البلاد من الجلاء والوحدة تحت تاج فاروق، واتخاذ تدابير عاجلة لمعالجة الحالة الاقتصادية الخطيرة.

ولكن هذه الوزارة لم تدم غير ١٨ يوما فقط وقدمت استقالتها في ٢٠ يوليو..

وصاحب تقديم الاستقالة إعلان حالة الطوارئ في القاهرة ابتداء من الساعة ٧ مساء حتى صباح اليوم التالي.

وزارة الأربع والعشرين ساعة

دعا الملك نجيب الهلالى يوم ٢١ يوليو لتشكيل الوزارة عقب استقالة وزارة حسين سرى. ودعانى الهلالى للدخول معه فقلت إنى اعتذرت عن دخول وزارة حسين سرى ومازلت مصرا على عدم الاشتراك فى أية وزارة.

قال: إذا لم تدخل معى فإنى لن أشكل الوزارة.

قلت له: وما الفائدة؟ هل نسيت أنهم باعوك بمبلغ مائتى ألف جنيه.

قال: ولهذا جئت. سأعقد مجلس الوزراء بعد يومين وأطالب بتطهير القصر من كريم ثابت وبولى واندراوس وكل عناصر الفساد فيه. سيكون هذا الطلب قرارا من مجلس الوزراء. وسنرى كيف يكون وقعه.

قلت: إذا كان الأمر كذلك فإنى أقبل.

وفى الرابعة بعد الظهر ذهبت إلى قصر المنتزه فى الإسكندرية لحلف اليمين، لتستقبلنى مفاجأة.. دخلنا قاعة كبرى كل ما فيها أخضر: مقاعدها وستائرها وأبوابها. وحليت السقوف برسوم ذهبية وتدلت منها ثريات ضخمة. وكان دخولنا الساعة الرابعة إلا خمس دقائق، لأن الملك سيدخل الساعة الرابعة تماما وتبدأ بعد ذلك عملية حلف اليمين. ومرت الرابعة ولم يدخل الملك حتى دقت الساعة الربع بعد الرابعة، ورأى الوزراء رئيس الديوان يدخل ويتوجه إلى الهلالى ويهمس فى أذنه ويقوم الهلالى ويسير متوجهاً مع رئيس الديوان إلى غرفة مكتب الملك. وظللنا نحن الوزراء ينظر كل منا إلى الآخر ولا نقول شيئا. وفى الساعة الخامسة دخل الهلالى القاعة وتوجه وجلس بجوارى. وتنهد.

قلت: أخيرا.

قال: أنت تعرف أن مرسوم تعيينك وزيراً يتضمن أنك وزير داخلية وحربية.

قلت: نعم، أعلم ذلك.

قال الهلالى: لقد استدعانى الملك كما تعلم وطلب منى أن أصرف النظر عن تعيينك وزيراً للحربية اكتفاء بوزارة الداخلية.

قلت: ليس فى ذلك من بأس. وكم كنت مرهقا من الجمع بينهما.

ولكن لى سؤال: لقد علمت منك أنه قد وافق على المرسوم الذى قدمته إليه. فما الداعى لهذا التعديل الآن؟

قال الهلالي: لأنه يريد تعيين زوج أخته اسماعيل شرين. انتفضت واقفا وقلت: هل تعلم أن اسماعيل شـرين برتبة يوزباشي احتياطي؟ فكيف يقفز إلى رتبة وزير؟ إذا كان الملك يريد ضابطا فعنده على الأقل مائة لواء. لماذا لم يعين حيدر أو حسين فريد أو محمد نجيب؟

قال الهلالي: إنه مصر على تعيين اسماعيل شرين.

قلت: ألم أقل لك إنه لا فائدة. أرجوك أن تدعني أنصرف. وأمسك الهلالي بيدي قائلا:

أرجوك أن تبقى. سـتكون فضيحة لو خرجت. لقد وعدته بقبول دخول اسماعيل شـرين. هل تريد أن تفضحني.

وكانت الدموع تترقرق في عينيه. فسـكت. وأعتقد أن أكـبر خطأ في حياتي ارتكبته هو قبولي لذلك الوضع. ولا أزال نادما عليه حتى الآن.

وفي السادسة مساء جاء اسماعيل شيرين ليحلف معنا اليمين.

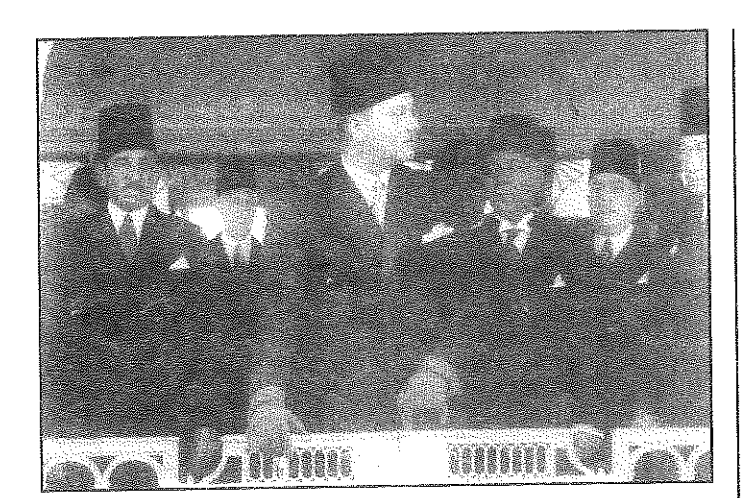
وهنا لا بد أن أقرر حقيقة وهي أنه حين عرضت عليه الوزارة اعتذر عن عدم قبولها. ولكن الملك أصر واجبره على القبول..

كنا مساء الاثنين ٢١ يوليو..

ولم نكن نعرف أن عمر هذه الوزارة لن يتجاوز ٢٤ سـاعة .. وأحداثا خطيرة سـوف تقع تغير تاريخ مصر.

□□□

١ - الملك فاروق بين وزرائه لآخر مرة .

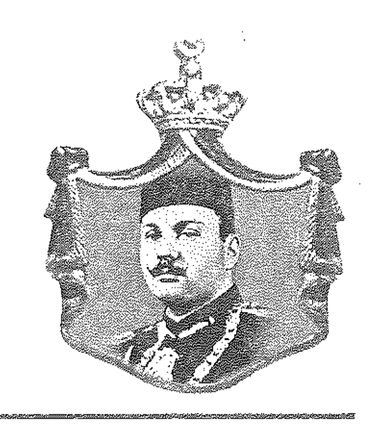


٢ - حسين سرى باشا .



٣ - عثمان المهدى .





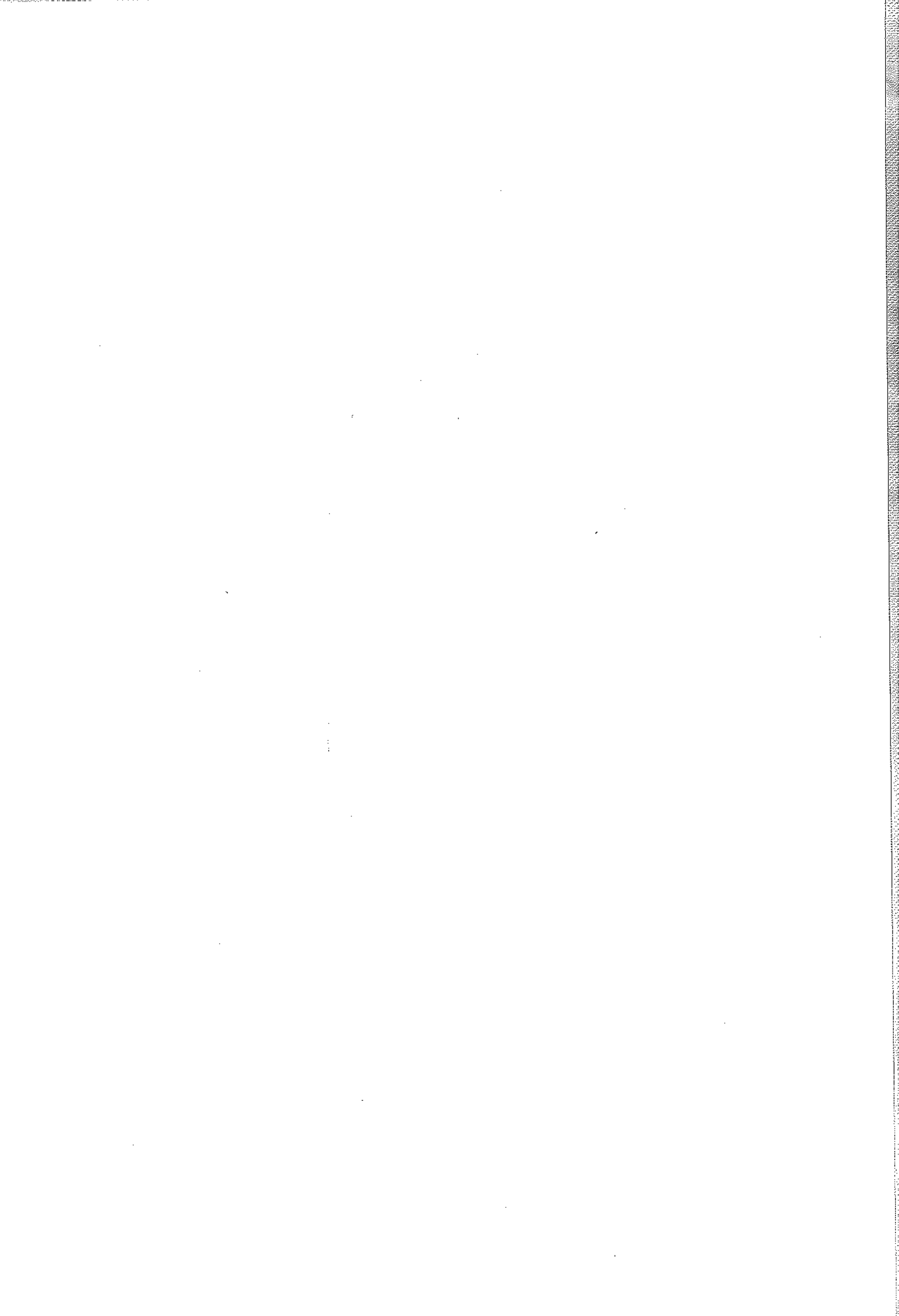
الملك يهرب

■ فاروق يستعد للهرب .

■ نجيب الهلالى يرأس مجلس الوزارة بالبيجامة والطاقية والشبشب .

■ كتيبة مشاة تستولى على مقر قيادة الجيش وحيدر يقول : إن هذا كلام حشاشين .

■ لماذا لم يأت محمد نجيب ليودع الملك ؟



في صباح الثلاثاء ٢٢ يوليو ١٩٥٢ أول يوم عمل بعد تشكيل الوزارة الجديدة برئاسة نجيب الهلالي - وكنا في الإسكندرية - ذهبت إلى مكتبي في بولكلي برمل الإسكندرية، وكانت العادة في تلك الأيام انتقال الوزارة بالكامل للعمل في الإسكندرية طوال شهر الصيف.

في حوالي العاشرة صباحا دق جرس التليفون ليحييني صوت اللواء أحمد طلعت حكمدار القاهرة من العاصمة يقول لي: إن سيدة اتصلت به منذ عشر دقائق، وقالت له وهي تبكي إن عربة نقل من عربات الجيش مرت على بيتها ونزل منها ضابط متمنطق بمسدس وصعد إلى المنزل، وطلب نجلها وهمس في أذنه بشيء. ودخل ابنها الغرفة وارتدى زيه العسكري على عجل وتمنطق بالحزام الذي يحمل المسدس. وسألته أمه: لماذا تتمنطق بالحزام والمسدس وأنت في عطلة وإلى أين أنت ذاهب؟ وكانت إجابته على أن ادعي لي يا أمي. فذهبت إلى النافذة ورأت في سيارة النقل عددا من صغار الضباط. وخوفا على ابنها فقد اتصلت باللواء طلعت تستوضح منه الأمر، قلت للواء أحمد طلعت: وما تفسيرك لما يحدث؟

قال: أظن أنه أمر مريب.

قلت له: تحقق من أن الضباط يتوجهون إلى ثكناتهم بتلك الطريقة وبعد ساعتين، حوالي الظهر اتصل بي قائلا: إن بعض عربات قليلة نقلت الضباط ولكن الأمر لم يتخذ شكل حشد.

وعاد في الساعة الثانية وقال: إن البوليس لم يشاهد أية تجمعات للضباط أمام الثكنات وإنه لم يشاهد سيارات نقل.

البحث عن الفريق حيدر

فكرت على الفور في منشورات الضباط الأحرار وفي التقارير المكدسة في وزارة الداخلية عن نشاطهم. ودب الشك في نفسي في أنهم بدءوا يتحركون على رغم أن المعلومات التي كانت متوفرة لدينا تقول: إن حركتهم ستتم في شهر سبتمبر أو أكتوبر.

وخطر لى خاطر، ألا يكون التعجيل بالحركة مرده تعيين اسماعيل شرين وزيرا للحربية، وطلبت من سكرتيرى أن يتصل على عجل بالفريق حيدر. وبحث عنه السكرتير فى كل مكان يمكن أن يكون موجودا فيه فلم يجده. وعلى رغم أنه كان من عادته إذا لم يكن فى بيته أو مكتبه، أن يذهب دائما إما إلى مينا هاوس أو إلى نادى الزمالك. وإذا لم يكن فى المكانين يترك دائما رقم تليفون المكان الذى هو فيه فإنه فى ذلك اليوم لم يفعل شيئا من ذلك واتصلت باللواء حسين فريد رئيس الأركان وأبلغته ما ذكره اللواء طلعت. ولكنه أجاب بأن كل شىء هادئ فى علمه ولعلهم ذاهبون لمشاهدة مباراة لكرة القدم.

قلت: وهل يذهبون إلى المباراة بأسلحة؟

قال: على كل حال؛ الذى أعرفه أن كل شىء هادئ.

طلبت من السكرتير أن يوصلنى بوزير الحربية إسماعيل شرين.

فأجابنى أنه غير موجود فى مكتبه وأنه اتصل بمنزله فقيل له: إنه فى رحلة صيد سمك على ظهر يخت يملكه. وانتظرت حتى الخامسة ظهرا وسألت عنه مرة أخرى فقيل: إنه لايزال فى رحلة الصيد. كل ذلك وحيدر لم يتصل بى. فاتصلت بقصر المنتزه وطلبت التحدث مع الملك.

رد علىّ أمينه الخاص ويدعى حسنين قائلا: إن جلالته يعوم فى البحر.

قلت: أخبره حين يعود إنى أود التكلم معه.

فاروق يتهرب من مقابلتى

وكنت فى الصباح قد اتصلت بالهلالى وأبديت له الشكوك التى ساورتنى. فطلب منى أن أتحرى الأمر جيدا وأن أتصل بالقصر. ولما حلت الساعة السابعة، وحيدر لم يتكلم، واسماعيل شرين لم يعد بعد من الصيد، والملك لا يرد، طلبت الهلالى.

وكان رده: يعرف شغله الملك، واحنا نقلق نفسنا علشان ايه يا مرتضى، أنا قرفان واللى يحصل يحصل.

وفى الثامنة اتصل بى حسنين أمين الملك الخاص وقال لى: إن الملك عاد من البحر ويريد أن يعرف لماذا طلبت التحدث معه؟

قلت له: قل للملك إنى أود مقابلته فورا.

فعاد يقول: ولماذا تريد أن تقابله؟

قلت: لأنى أخشى حدوث شيء فى الجيش فى المساء، لهذا أريد مقابلته.

فذهب وعاد ليقول: هل اتصلت بوزير الحربية أو الفريق حيدر؟

لم أعـد احتمل هذا العبث وقلت له: مادام الملك لايريد مقابلتى فاتصلوا أنتم بمن تريدون الاتصال به.

وقد علمت بعد ذلك أن السـيدة نهـى وصيفة القصر قد لازمت الملك منـذ الصباح، وأنها تناولت معه طعام الغداء وعامت معه فى البحر، وعلمت بالمكالمة التليفونية التى أجريتها مع أمينـه الخـاص، وقالت له: إن وزير الداخلية لن يتركك فى راحة أبدا، إنه يريد أن يجعلك تصطدم بالجيش بأية وسيلة، اهدأ بالا يا مولاى ولاتهتم لهم، إن الجيش موال لك.

فاروق يفكر فى الهروب

وفى الساعة التاسعة اتصل بى اسماعيل شرين وقال: سمعت أنك طلبتنى عدة مرات.

قلت: نعم طلبتك لأعرف كم سمكة اصطدتها.

فضحك قائلا: وإيه لزوم التريقة؟

قلـت اسمـع؛ لقد طلبتك لأن حكمدار القاهرة تكلم هذا الصبـاح عن تجمعات للضباط وقد حاولـت الاتصال بحيدر فلم أوفق، وأنت كنت فى رحلة السـمك، والملـك يعوم فى البحر، والهلالى يقول اتركهم يتفلقوا، وأنا الوحيد المفلوق. فما رأيك؟

زاد ضحكه وقال: سأتصل الآن بحيدر.

قلت: وأين ستجده؟

اسماعيل شرين: إنى سأعرف أين أجده.

وفى التاسعة والنصف اتصل بى اسماعيل شرين ليقول لى: إن حيدر تكلم معه، ولما أخبره بكلام حكمدار البوليس قال حيدر: إن بوليس مصر يخالطون كثيرا الحشاشـين ولهذا كثيرا ما يتخيلون مثلهم خيالات عن انقلابات!

قلت له: يا إسماعيل لن تمضى هذه الليلة حتى تفيق أنت وحيدر والملك من سـطوة المخدر المخيمة على رءوسكم، بس ربنا يستر ويحفظ البلد.

وفى الساعة العاشرة راودتنى فكرة أن أجرب شيئًا آخر فاتصلت باللواء محمد نجيب الذى قلـت له عندما جاءنى صوته: يا لواء نجيب، إن فريقًا من الضباط يتجمعون للقيام بانقلاب، ومعظمهم من سلاح المشاة الذى أنت قائده. وإنى أخشى من تدخل القوات البريطانية، ويعود حادث عرابى والخديو توفيق.

قال محمد نجيب: أقسم بالله العظيم إنى لا أعرف شيئًا.

قلت: حاول أن تعرف شيئًا. وأنت تستطيع مع أولادك أن تكبح جماحهم.

ولكن شيئًا أدهشني بل أذهلني، ففى الساعة العاشرة والنصف اتصل بى مأمور ميناء الإسكندرية وقال لى إن اليخت الملكي المحروسة، أمر بالتأهب للإبحار فى فجر الغد وأن البحارة والضباط الذين فى أجازة يبحث عنهم للعودة إلى اليخت قبل منتصف الليل. إذن ففاروق يريد أن يهرب!!

حجز قائد المدفعية

وفى الساعة الحادية عشرة مساء اتصل الفريق حيدر باللواء حسين فريد وطلب إليه التوجه إلى مكتبه فى قيادة الجيش فى العباسية لأن معلومات وزارة الداخلية تقول إن هناك بعض مظاهر التذمر فى صفوف بعض فرق الجيش، ويحسن أن يكون فى مكتبه لمراقبة الحالة.

سأل حسين فريد: هل أعلن حالة الطوارئ فى الجيش؟

قال حيدر: لا.. لا داعى إطلاقًا لذلك، وعلى كل حال انتظرنى فى المكتب وسأمر عليك.

قال حسين فريد: هل استدعي اللواءات قواد الفرق؟

قال حيدر: لا.. لقد طلبت من طنطاوى قائد المدفعية أن يذهب إلى مكتبه من باب الاحتياط.

قال حسين فريد: وبقية القواد؟

أجاب حيدر: لم أجد داعيًا لاستدعائهم.

وفى الساعة الثانية عشرة ذهب ضابطان إلى غرفة اللواء طنطاوى وقالا له: حيدر باشا يطلب سعادتك على التليفون.

سأل اللواء طنطاوى: ولماذا لا يكلمنى فى مكتبى؟

قال أحد الضباط: تليفونك عطلان يا أفندم، فتفضل إلى غرفة الضابط النوبتجى.

كان اللواء طنطاوى جالسًا يمسح عرقه المتصبب على الرغم من وجود مروحه أمامه، وكانت أزرار جاكيته التى كانت تخنق كرشه الغليظ مفكوكة، فقام متثاقلا وسار، وأمامه ضابط ووراءه الآخر ودخل غرفة التليفون. وأقفل الضابط المتأخر الباب بالمفتاح وأخرج الضابط الأول مسدسًا وضعه فى كرش اللواء وقال:

سعادتك ستظل هنا محبوسًا وأرجو ألا تقوم بأية حركة.

قال اللواء طنطاوى: إيه ده يا ولاد، هذه دعابة سخيفة.

قال الضابط: ليست دعابة، وإياك أن تصرخ وإلا خرجت أمعاؤك.

وتحركت عند منتصف الليل كتيبة من المشاة يبلغ أفرادها ستمائة جندى بقيادة البكباشى صديق فريد إلى مقر رئاسة أركان الحرب، واقتحموا الأبواب الخارجية، فأطلق أحد الحراس النار وكانت طلقة واحدة رد عليها بمدفع رشاش. أصيب الحارس بجراح، وقبضوا على رئيس الأركان ولم يكن معه إلا ضابط واحد وجندى واحد، ثم تحركت وحدة صغيرة من سلاح الفرسان وتبعتها وحدة من سلاح المدفعية بقيادة ضابط برتبة صغيرة.

وعند تحرك كتيبة المشاة اتصل بى تليفونيا أحمد طلعت حكمدار العاصمة وأبلغنى النبأ، وطلب منى أن أبلغه التعليمات:

قلت له:

انتظر قليلا، واتصلت بإسماعيل شرين، وكان نائما، فأيقظته ورد علىَّ وهو يتثاءب: خير إن شاء الله.

قلت: اسمع يا إسماعيل لقد حذرتك الساعة التاسعة من قيام انقلاب وقلت لى بعد أن اتصلت بحيدر أنه يقول: إن هذا كلام حشاشين، والآن قامت كتيبة مشاة واستولت على مقر قيادة الجيش وأنت وزير الحربية لا علم لك بشئ، فمن هو الحشاش؟

قال إسماعيل شرين: وماذا أصنع بحيدر. هو الذى قال لى ذلك.

قلت: اتصل الآن بحيدر يا إسماعيل.

قال شرين: اتصل به أنت. فأنا نعسان ومتعب.

قلت: إذن اذهب إلى الجحيم أنت وحيدر. وأنهيت المكالمة.

وعدت للاتصال بحكمدار القاهرة أسأله عن مجريات الأمور. فقال: إنهم يتوجهون إلى الإذاعة فماذا أصنع؟

قلت: هل تستطيع أن تصنع شيئًا؟

قال الحكمدار: يا أفندم هل من الممكن أن أقاوم دبابات الجيش ببنادق رمنجتون وموزر؟

قلت: لم أقل لك أن تقاوم.

قال الحكمدار: على فكرة اتصل بى قومندان بوليس السراى الملكى منذ عشر دقائق وقال إن جلالة الملك يقول لك لا تحاول المقاومة، وامنع البوليس من الخروج للاصطدام بالجيش.

قلت له: حسنًا، وإذا جد شيء فاتصل بى.

وبعد عشر دقائق عاد الحكمدار أحمد طلعت يطلبنى وقال: هناك مسألة خطيرة جدت الآن.

قلت: وما هى؟

قال الحكمدار: فى مكتبى الآن القائمقام أحمد شوقى قائد حامية القاهرة.

قلت: أعرفه وأظنه ابن خالتك.

قال الحكمدار: نعم، هو ابن خالتى ولكن جاء يطلب منى أن يسلم البوليس سلاحه للجيش.

قلت: وهل كنت تريد تسليم السلاح.

قال أحمد طلعت: أنت ترى يا سيدى أنى لم أجب طلبه وأطلب منك التعليمات.

قلت: أخبره أن طلبه مرفوض، وأصدر أوامرك فورًا للبوليس بالاستعداد وعليه أن يقاوم إذا استعمل الجيش القوة.

قال الحكمدار: إن القائمقام أحمد شوقى يريد أن يكلم سيادتك وسمعت صوت أحمد شوقى يقول: مساء الخير.

– مساء الخير.

لقد حدث سوء تفاهم، فأحمد طلعت لم يفهم ما أريد. أنا أردت ألا يقاوم البوليس الجيش، فظن أحمد طلعت أنى أريد من البوليس تسليم سلاحه.

قلت: أحمد طلعت لم يطلب منى أبدا أن أصدر أمرًا للبوليس بمقاومة الجيش وأنا لم أصدر له الأمر.

قال أحمد شوقى: أرجو أن تعلم أن الجيش لا يطلب من البوليس تسليم سلاحه وأرجو لكم ليلة سعيدة.

أين كان حيدر؟!

عاد إسماعيل شرين وزير الحربية وطلبنى وقال: إنه طلب حيدر تليفونيًا مرارًا وأخيرا قيل له إنه نائم، ولا يريد أن يوقظه أحد. قلت له: ماذا تريد أن تعلم؟ الجيش استولى على مقر القيادة، وعلى محطة الإذاعة، والملك صهرك جالس يرتعش فى قصره يحزم حقائبه ليفر.

قال إسماعيل شرين: ومن أين علمت؟

قلت: قومندان ميناء الإسكندرية أبلغنى الساعة العاشرة بصدور الأمر لليخت المحروسة بالإبحار.

قال إسماعيل شرين: لقد فعلها ابن الحرام، وسيتركنا للعذاب.

قلت بالعكس، أعتقد أن الجيش سيكافئك أنت وحيدر.

دعوة مجلس الوزراء للاجتماع

كان الوقت يحسب بالدقائق واتصلت برئيس الوزراء وكان نائمًا وطلبت بإلحاح إيقاظه وأخبرته بما حدث فسألنى: وماذا نصنع؟ خلاص كل شىء انتهى.

قلت: من غير المعقول أن يحدث كل هذا ولا يجتمع مجلس الوزراء ليدرس الوضع، هل نحن فى الأدغال؟!

قال رئيس الوزراء أرجوك أن تطلب من سكرتيرك أن يدعوه. ولكن أرجو أن يكون انعقاده فى منزلى لأنى بالبيجامه والطاقية على رأسى (وضحك) ولا أستطيع الخروج.

وانعقد مجلس الوزراء فى منزل الهلالى ورأسه وهو بالبيجامة والطاقية وينتعل شبشبًا.

وبدأ الهلالى الجلسة بقوله: والله ما كنت أريد أن أزعجكم بالحضور، ولكن ماذا نصنع بأخينا مرتضى - والتفت إلىَّ - وهو يقول - أنا قرفان والله قرفان ما يروح فاروق فى داهية.

قلت: أوافقك على أن كل واحد فى البلد قرفان. ولكن عندى فكرة، لماذا لا يحاول مجلس الوزراء الاتصال بالضباط الثائرين لنعرف ماذا يريدون؟ ونسعى من جانبنا لإيجاد حل.

قال الهلالى: فكرة لا بأس بها، ولكن كيف تنفذ؟

قلت: يرسل مجلس الوزراء مندوبا عنه للتكلم مع الضباط.

وأخذ الوزراء ينظرون إلى بعضهم وسكتوا جميعًا.

قال الهلالى: هل توافقون على إرسال مندوب؟

ووافق الوزراء: وقال الهلالى: ومن تريدون أن يكون المندوب؟

فسكتوا جميعًا وضحك الهلالى وقال:

لا أجد من يريد تعريض نفسه لأن يكون المندوب.

قلت: أنا مستعد أن أكون المندوب وأن أسافر فورًا، فأعطونى تفويضًا وسجلوه على أنه قرار من مجلس الوزراء. وكانت الساعة قد بلغت الثانية والنصف. فاتصلت بشركة مصر للطيران ولم أجد أحدًا حتى الخامسة صباحا. إذ رد علىَّ مندوبها بعد أن علم البوليس بمكانه، وأعدت

طائرة ركبتها في السادسة صباحا وتوجهت إلى القاهرة وكانت مفاجأة لى أن وجدت مصطفى أمين صاحب دار أخبار اليوم ينتظرنى للركوب معى إلى القاهرة، وكان مصطفى أمين قد زارنى فى مكتبى فى الصباح وظل معى وقتا طويلا يتابع الأحداث التى كانت قد بدأت تنبئ فى ذلك الوقت عن أن شيئا غير عادى قد بدأ فى الحدوث.

وصلت إلى المطار حوالى السابعة وركبت سيارة كانت فى انتظارى وتوجهت أنا والسائق إلى ثكنات قصر النيل، فوصلنا بعد نصف ساعة، واستوقف الحراس السيارة ثم جاء ضابط فسألته عن اللواء محمد نجيب. طلب منى أن أنتظر ودخل وعاد بعد عشر دقائق ليقول إن اللواء محمد نجيب خرج.

قلت: وأين ذهب؟

قال الضابط: لا أعرف وإن كنت أظن أنه توجه إلى منزله.

وسألته: هل يعرف أين منزله؟

قال: لا أعرف.

ومن ثكنات قصر النيل حيث فندق هيلتون الآن توجهت حوالى الثامنة والربع إلى مكتبى فى وزارة الداخلية وطلبت البحث عن مكان اللواء نجيب، وبعد وقت قيل إنه فى ثكنات الجيش فى العباسية.

قلت: أوصلونى به.

وردت الثكنات بأنه فى اجتماع مغلق مع أعضاء القيادة وفى التاسعة إلا ربعًا دخل علىَّ سكرتيرى وهو فى حالة هلع ينتفض.

قلت له: ما بك؟

قال: سيدى جاء ضابطان مسلحان بالبنادق الأوتوماتيكية إلى مكتبى الآن يريدان مقابلتك.

قلت: أدخلهما.

دخل الضابطان وأديا التحية العسكرية.

قلت: ماذا تريدان؟

قال أحد الضباط: سيدى، نحن مكلفان من مجلس القيادة بدعوتك إلى مقر القيادة فى ثكنات العباسية.

قلت: هل هى دعوى أم أمر بالقبض؟

قال القائد: لا يا سيدى، إنها دعوة.

قلت: وهل هذه هى الطريقة المثلى للدعوة أن تجيئا مسلحين ومعكما جنود مسلحون.

قال الضابط: آسف يا سيدى، ولكن يجب أن نسير مسلحين وفى حراسة مسلحة.

قلت: إنى منذ ساعة أبحث عن اللواء محمد نجيب، فلماذا لم يكلمنى ويدعونى هو؟

قال الضابط: إن الذى كلَّفنا بدعوتك ليس اللواء نجيب وإنما البكباشى جمال عبدالناصر.

قلت: حسنا أديتما المأمورية التى كلفتما بها وأرجو أن أقابله.

وما كاد الضابطان ينصرفان حتى رن جرس التليفون، وكان المتكلم اللواء محمد نجيب.

قال اللواء نجيب: علمت بقدومك إلى القاهرة الآن فقط.

قلت: إنى قدمت الساعة السابعة، وأحاول أن أقابلك وأكلمك.

قال: خيرًا.

قلت: إنى مبعوث من مجلس الوزراء للتكلم معكم.

وصمت محمد نجيب فترة جاءنى صوت ملجلج يقول: ولكن... ولكن ولكن

قلت: ولكن ماذا يا باشا؟

قال محمد نجيب: أصل المسألة أن الملك كلف على باشا ماهر بتشكيل الحكومة، والهلالى قدم استقالته.

قلت: ومتى تم ذلك؟

قال محمد نجيب: الساعة التاسعة صباحًا.

ثم سكت برهة، وقال: على كل حال، إذا كنت تريد مقابلتى فأهلا وسهلا.

قلت: إننى مبعوث مجلس الوزراء إليكم، وباستقالة الوزارة انتفت عنى صفة المبعوث، وعلى كل حال أشكرك على الدعوة وأعتذر عنها.

وانتهت المكالمة.

المكالمة الأخيرة مع فاروق

وأخذت السيارة وعدت إلى الإسكندرية، ووصلت إليها الساعة الواحدة. وكنت متعبًا فنمت، وصحوت الساعة الرابعة بعد الظهر وأخذت فى تناول بعض الطعام، وسمعت رنين التليفون، فرددت وكان المتكلم الأمين الخاص للملك.

قال الأمين: إن شاء الله لست متعبًا من الرحلة؟

قلت: متعب بعض الشيء، ولكن كل شيء انتهى.

قال الأمين: طبعًا على خير.

وقلت: وأي خير.

قال الأمين: البلد هادئ ولم يحصل سفك دماء، وكل ذلك بحكمة مولانا، وأيضًا أنتم عالجتم الأمور بحكمة.

قلت: أشكرك، ولكني أريد أن تقول لمولانا أن مرتضى المراغي يودعه ويقول له مع السلامة.

وهنا أحسست بصوت سعال خافت فعلمت أن الملك ينصت إلى المحادثة.

قال الأمين (بعد تردد): وماذا تقصد؟

قلت: أقصد أن الملك سيطلب منه التنازل عن العرش.

وهنا سمعت صوتا يقول: قل له هذا كذب.. هذا كذب..

قال الأمين (بأدب): أظن أن هذا الكلام مبالغ فيه..

وارتفع الصوت يقول: قل له يا ابن الـ... إن هذا كذب.

قال الأمين (بأدب): لعل الرواية التي سمعتها كاذبة.

قلت: اسمع، إني أسمع صوت الملك وهو يصرخ. وأنا لم أسمع رواية من أحد، ولكن ليس من المعقول أن يذاع بيان الانقلاب ويقال فيه عن الملك الطاغية والفاسد إلى غير ذلك، ثم تبقى الحركة على الملك.

وسمعت الصوت يقول: قل له إن محمد نجيب قادم غدًا صباحًا ليقدم ولاءه.

قلت: قل للملك أشك كثيرًا في ذلك.

ولم يأت محمد نجيب إلا ليودع الملك وهو مسافر على المحروسة.

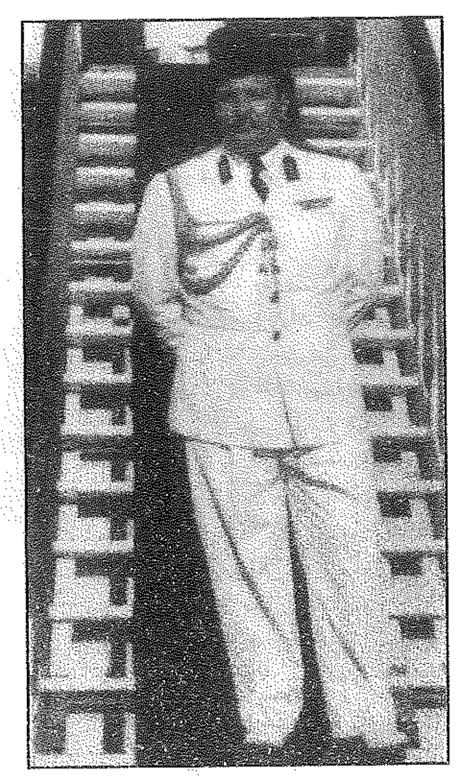
□□□



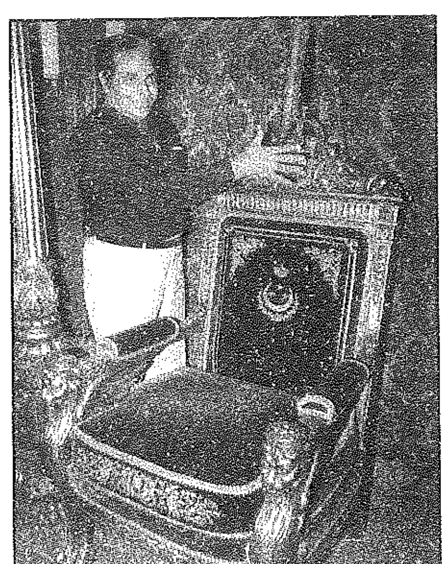
١ - الملكــة نازلى والملكة فريدة .



٢ - الأميــرة فريـــال السابقة ابنة الملك فاروق .



٣ - فاروق على سلم الباخرة المحروسة .

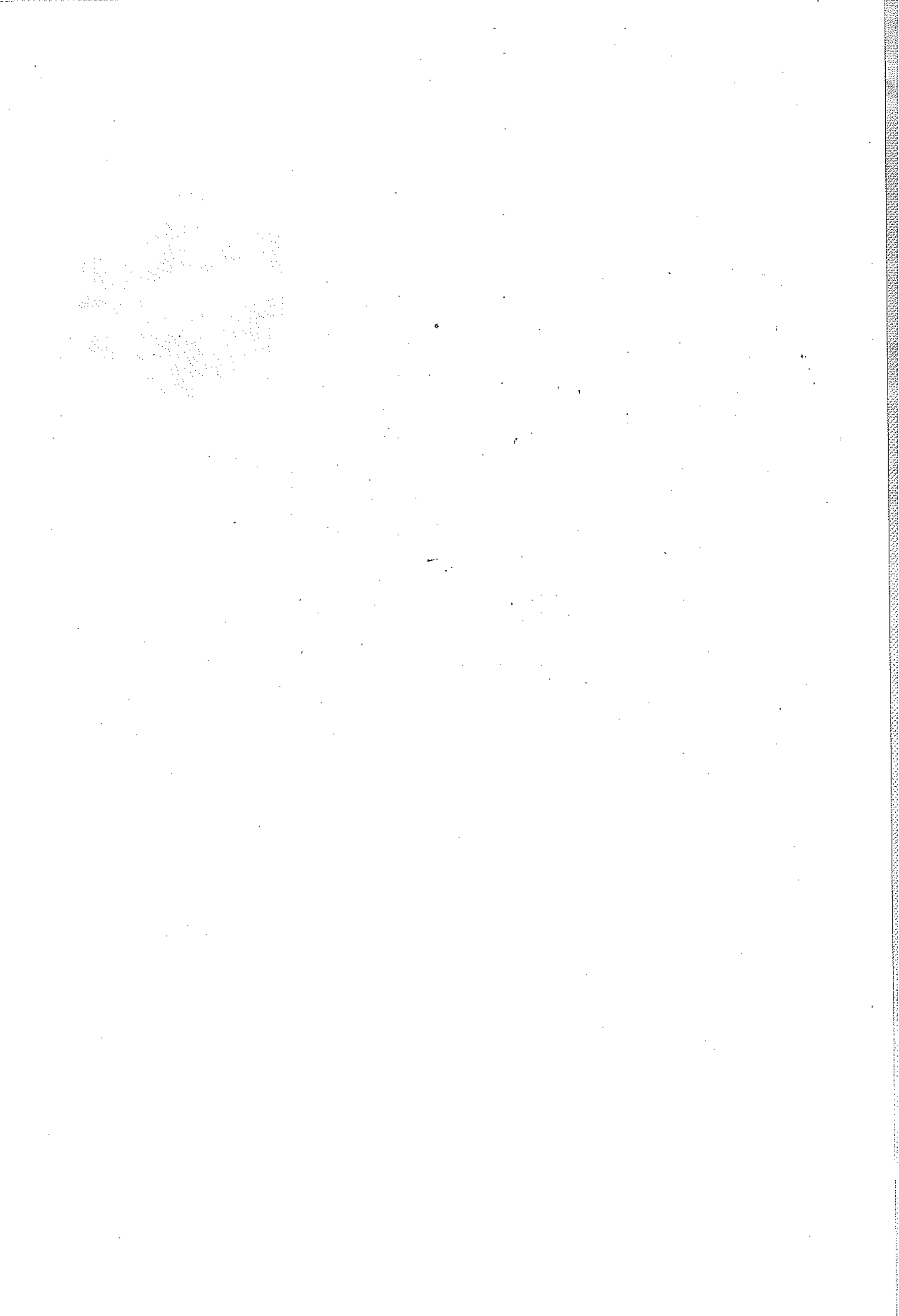


٤ - أثناء ترميم كرسى الملك فاروق .



موقف أمريكا

- سر ازدياد نشاط المخابرات الأمريكية قبل الثورة.
- ناريمان نقلت لفاروق حديثها مع قريبها الضابط ففتل شاربه وابتسم مزهوا وقال: أنا متأكد من أن الجيش مخلص لى.
- بوللى ضحك على فاروق وأودع الأموال فى بنوك الغرب باسمه لا باسم الملك.
- معونة شهرية من الملك سعود لفاروق بعد خلعه.



كان للملكة ناريمان قريب هو اليوزباشي عبد المنعم النجار، وكان من الضباط الأحرار.. وفي الأشهر الأخيرة قبل قيام حركة الجيش كان عبد المنعم النجار يتردد كثيرًا على أم ناريمان التي سألته مرة عن حكاية الضباط الأحرار، وهل حقيقة أنهم يريدون خلع الملك فاروق؟! .. وأجابها النجار قائلا: معاذ الله فالضباط الأحرار هم جنود الملك، وإذا كان لهم هدف فهو تخليص الملك من الأحزاب السياسية الفاسدة ومن ضباط الجيش الكبار الكهلة..

- قالت أم ناريمان: ولكن المنشورات التي يصدرونها تحض على خلع الملك.

قال النجار: هذه منشورات مدسوسة على الضباط الأحرار.

وأرجو يا سيدتي أن تجمعيني بالملكة لأشرح لها وضع الضباط الأحرار.

واجتمع الضابط بالملكة ناريمان.

وقد ذهبت ناريمان إلى منزل أمها للقاء النجار وقالت له: إنها سمعت أنه يريد مقابلتها.

قال النجار: نعم، يا صاحبة الجلالة. إني سمعت السيدة والدتك تتكلم عن الضباط الأحرار وتقول إنهم يريدون خلع الملك. وأنا أقول: إن هذا غير صحيح أبدًا.

قالت ناريمان: ومن أين تعلم أنه غير صحيح. هل أنت من الضباط الأحرار؟

قال عبد المنعم النجار بعد قليل من التفكير: كل صغار الضباط في الجيش أحرار ولكنهم مخلصون للعرش، ويجب أن يعتمد الملك عليهم لا على كبار الضباط الجهلة المنافقين. نحن صغار الضباط نحب الملك بقلوبنا. ولكن كبار الضباط يحبونه بألسنتهم. نحن نريد تخليص الملك من الأحزاب الفاسدة من السياسيين من أنصار الاستعمار. ونحن نعلم أنه يكره الانجليز ويساعده الضباط الأحرار الذين يعملون في منطقة القنال لتخليص البلاد من الاحتلال. نحن الذين نشعر بولاء حقيقي للملك وليس حيدر أو عثمان المهدي أو عمر فتحي.

قالت ناريمان: هل تقسم على أنكم مخلصون للملك؟

أجاب النجار: أقسم.

وعادت ناريمان إلى القصر ونقلت إلى الملك حديث قريبها الضابط النجار.

وفتل الملك شاربه وابتسم مزهوًا وقال: أنا متأكد أن الجيش مخلص لي.

السياسة المصرية وفاروق:

حينما تولى فاروق العرش وجد أن حكومة الوفد برئاسة مصطفى النحاس هى التى تحكم. ولم تكن حكومة الوفد فى عهد والده الملك فؤاد على علاقة طيبة مع القصر ابتداء من حكومة سعد زغلول وانتهاء بحكومة النحاس. وقد قيل إن الملك فؤاد لما ضاق ذرعًا بسعد زغلول دبر مؤامرة اغتيال حاكم السودان الانجليزى السير ستاك ليحمل سعد زغلول مسئولية الحادث. ونجح فى مسعاه، إذ قدَّم الجنرال اللنبى المندوب السامى البريطانى فى مصر إنذاره المشهور إلى حكومة سعد زغلول فرفضها الأخير واستقال. وكان مرد التصادم بين القصر والوفد أن الملك فؤاد يريد أن يملك ويحكم. والوفد يريده طبقًا للدستور أن يملك ولا يحكم.

وجاء فاروق إلى الحكم ولم يكن يفهم شيئًا عن الدستور أو السياسة إذ لم يكن قد بلغ الثامنة عشرة من عمره بعد. وكان تعليمه سطحيًا جدًا ومستواه لا يزيد على مستوى طالب فى السنة الأولى الثانوية. وقالت له حاشية القصر وأمه معهم أن الوفد كان عدوًا لوالدك، ويجب عليك إذا أردت أن تكون ملكًا قويًا أن تضرب الوفد فى الوقت المناسب وتبعده عن الحكم ليصبح غير قادر على ضربك. وكان مستشاراه اثنين: أحمد حسنين وعلى ماهر. وكلا الاثنين لهما مطامع فى الحكم. والأول أقرب إلى فاروق من على ماهر لأنه كان مرافقه فى انجلترا وكان يحقق نزوات فاروق وأهواءه. أما الثاني، فكان سياسيًا مخضرمًا لا شك فى وطنيته. ولكنه كان يحب التسلط والحكم. ولا يستريح إلا إذا أصبح رئيسًا للوزراء.

وكان رئيس الوفد مصطفى النحاس يجىء إلى الحكم فى كل مرة تجرى فيها انتخابات حرة بأغلبية كبيرة. ومعنى ذلك أن النحاس سيبقى رئيسا للحكومة مادام هناك دستور. فكيف يبعد على ماهر النحاس عن رئاسة الحكومة؟ ليس من سبيل إلا أن يوغر صدر الملك عليه. وتفتّق ذهنه عن حيلة ماكرة.

ذهب على ماهر إلى ولى العهد الأمير محمد على وقال له: يا سمو الأمير. عندى فكرة أقترحها عليك وأرجو أن تتقدم بها باسمك إلى رئيس الحكومة. وهذه الفكرة ستنشر حتما فى الصحف.

قال الأمير محمد على: وماهى الفكرة؟

أجاب علي ماهر: أن يقوم شيخ الأزهر في حفل رسمي كبير لتنصيب الملك بوضع التاج على رأسه كما كان يفعل البابا مع ملوك الكاثوليك وكما يفعل الآن أسقف كنتر برى مع ملك انجلترا.

سأل الأمير: وهل عرضت الفكرة على الملك؟

قال علي ماهر: أريد أن تجيء منك. لأني واثق من أن الملك سيسر لها، وسوف تساعد على أن تحظى بعطف جلالته الكبير ويزول ما بينكما من سوء التفاهم.

وفعلا تقدم الأمير محمد على إلى حكومة الوفد بالاقتراح. فهاج رئيس الحكومة مصطفى النحاس هياجا شديدا. وقال إن هذا الاقتراح غير دستورى لأن الملك يتسلم سلطاته من الحكومة والبرلمان. وأن معنى ذلك أن يتسلم الملك سلطاته من شيخ الأزهر.

وانتهت الأزمة بالعدول عن الفكرة. ولكن علي ماهر نجح في أن يوغر صدر الملك ضد النحاس. وتربص الملك بالنحاس حتى تمكن من إقالته بخطاب اتهم فيه النحاس بسوء الحكم. وهو خطاب إقالة لا أظن أن له سابقة مماثلة في الدول الملكية الدستورية.

وجاءت الإقالة سهلة. فلم يقم الشعب بمظاهرات احتجاج. ولم تشهد مصر حادثًا واحدًا من حوادث العنف. وفتح الطريق سهلا أمام الملك فاروق ليمارس لعبة الإقالة والعزل مع كل الساسة المصريين بمختلف أحزابهم. ونصحه مستشاروه بأن يضع يده على الجيش حتى يكون درعًا يقيه من الشعب إذا فكر يوما في الثورة عليه. وأخذت أجهزة القصر تعمل لاختيار قادة الجيش من الذين عرف عنهم الولاء والإخلاص للملك فؤاد- وأستطيع القول - ومن عرف عنهم أيضا الجهل. لأن الجاهل يسهل التحكم فيه ويقبل الانصياع والطاعة أكثر من المتعلم الذي يفكر. وبدأت حاشية القصر تلوح لرجال السياسة في مصر بسوط الجيش. وكما قمع اسماعيل صدقي رئيس الحكومة في عهد الملك فؤاد سنة ١٩٣٠ ثورة العمال باستخدام الجيش، فقد استطاع النقراشي رئيس الوزارة في سنة ١٩٤٧ بأمر من الملك فاروق القائد الأعلى للجيش، أن يقمع تمرد قوات البوليس. وألف الملك فاروق الحرس الحديدي. فخاف رجال السياسة على أرواحهم هذه المرة بعد أن كانوا يخافون على مناصبهم. وزاد الطين بلة شدة أطماع الساسة وحبهم للمنصب، لأن منصب الوزارة كان مغريا جدا للنفوذ الواسع الذي يتمتع به الوزير. وكان لزوجات المرشحين للوزارة دور كبير في إذكاء وقود المطامع لدى أزواجهم، لأن الزوجة تصبح مقصد ذوي الحاجات ويعمر بيتها بهم ويقدم إليها الاحترام والتبجيل. وحين يعزل زوجها من الوزارة يخلو البيت من الزوار.

وبين المطامع والجيش والحرس الحديدى كان الملك فاروق يمارس هوايته المفضلة، وهى، عزل الوزارات وإبدالها بكل سهولة وبساطة.

كان سفير الولايات المتحدة فى مصر يدعى جفرسون كافرى. وقد نقل إلى القاهرة بعد أن كان سفيرا للولايات المتحدة فى فرنسا. ولا أدرى إن كان نقله مبنيا على أن القاهرة من الوجهة السياسية أهم من باريس أو لسبب آخر قيل عنه أشياء كثيرة فى وقتها. كان المستر كافرى يواظب على شيئين مواظبة تامة: شرب الكحول بإفراط والذهاب إلى الكنيسة. وقد تقرب إلى الملك فاروق أو أن الملك فاروق هو الذى تقرب إليه، ظنا منه أنه سيقوم بحمايته من الانجليز. وللملك فاروق فى ذلك سابقة تفكير، إذ أنه بعد حادث ٤ فبراير (شباط)، صادق الملحق العسكرى فى السفارة الأمريكية وكان يدعوه إلى القصر ويصحبه معه إلى نادى السيارات ودور اللهو. ويطلب من مصوره الخاص التقاط صورة لهما معا.

وهذا شيء لم يفعله مع أى شخص آخر. ولعل فاروق أراد من ذلك أن يشعر الانجليز بأنه سيلجأ إلى طلب الحماية من أمريكا إذا حاول الانجليز أن يعتدوا عليه مرة أخرى. ولعله أراد أيضا أن يشعر أمريكا بهذه الوسيلة أنه صديق لها. أما المستر كافرى فكان شغله الشاغل هو الشيوعية. وكان يشعر بأن الشيوعية خطر داهم على مصر وبالتالى على الشرق الأوسط. ولما كانت مصر هى قلب العالم العربى، فإنها صارت بذلك منطقة استراتيجية حيوية للدفاع عن الغرب. وقد عبر عن ذلك الرئيس السابق ايزنهاور بقوله إن قناة السويس هى شريان الدم بالنسبة إلى الغرب. كان كافرى يتكلم كثيرا مع كل من يقابله من الساسة المصريين عن مخاوفه من الشيوعية. وقد ذكر لى أحدهم أنه فى مقابلة معه قال له وهو يحاوره:

– يا مستر كافرى. إنك تبالغ فى خطر الشيوعية فى مصر. إنها ليست متأصلة الجذور.

قال كافرى: قد لا تكون الآن. ولكنى واثق من استفحالها فى القريب.

قال السياسى: وما الذى يجعلك واثقا؟

أجاب كافرى: سوء الحالة الاجتماعية فى مصر والهوة الواسعة بين الغنى والفقير. هل من المعقول أن يملك الملك وأسرته مئات الألوف من الأفدنة، وأن تملك أسرة واحدة عشرين ألف فدان بينما ملايين الفلاحين لايبلغ دخل الفرد منهم أكثر من نصف دولار فى اليوم؟

أليست هذه هى الأرض الخصبة لكى يضع فيها الشيوعيون البذور.

قال السياسى: أوافقك تماما على وجوب إصلاح يقرب الفوارق بين الطبقات. ولقد قدمت اقتراحات كثيرة إلى الملك، ولكنه رفضها جميعا. إنه يتهم من يعرض فكرة الإصلاح بأنه

شـيوعى. وعلى فكرة، يامستر كافرى. أنت صديق مقرب للملك. فلماذا لا تصارحه بمخاوفك ومخاوف حكومتك من انتشار الشيوعية نتيجة الظلم الاجتماعى؟ إنه يقدر الرأى الذى يأتيه منك أكثر مما يقدر رأى ساسته.

قال كافرى: سأحاول ولكننى غير واثق من النجاح.

مقابلة مع كيم روزفلت

أقام السـفير كافرى حفل عشاء فى السفارة الأمريكية وكنت أحد المدعوين. وبعد انتهاء العشـاء قال لى المسـتر كافرى إنه يريد أن يقـدم لى صحفيًا وكاتبًا أمريكيًا يهتم بشـئون الشـرق الأوسط، ووضع فى ذلك مقالات وكتبًا وإن اسمه كيم روزفلت. وكنت قد سمعت عنه ولـم أره من قبل. ولما قدمنى إليه رأيت مظهره مظهر طالب فى الجامعة يكثر من المطالعة ولا تهمه موسـيقى الجاز. يضع نظارة كبيرة الإطـار ويتكلم بصوت خافت ويخالس النظر. يحـدق تارة ويخفـض البصر تارة أخرى فى حياء لا أدرى إن كان مصطنعًا أو إنه طبيعى. لم يخل حديثى معه من الشـيوعية. ووجه إلىّ أسـئلة كثيرة عن النشاط الشيوعى فى مصر. ثم فاجأنى بقوله:

– هـل تعلم أنى قابلت الملك فاروق وأنه اسـتبقانى للغداء معـه وتكلمت معه كثيرا عن الشـيوعية فقال لى الملك إنه يعرف عن الشـيوعية أضعاف ما يعرفه وزير الداخلية وجميع رجال الأمن.

وضحك روزفلت ضحكة تحمل كثيرا من السـخرية. وضحكت لأننى أعلم أن هذا هو طبع الملك فاروق.

واسـتمر روزفلت يقول: إن له صلة حسنة بكبار موظفى الحكومة الأمريكية وإنه يشعر بأنهم يريدون مسـاعدة مصـر اقتصاديًا وتكنولوجيًا. ولكنهم يقولـون: إن على المصريين أن ينظموا أمر البيت قبل تقديم المساعدة.

فقلت: وماهو الطريق الذى يرونه يؤدى إلى تنظيم أمر البيت.

قال كيـم روزفلت: تقليل الفوارق بين الطبقات بتوزيع جـزء من الملكيات الكبيرة على صغـار الفلاحيـن وقيام إصلاح زراعى شـامل ومسـاعدات اجتماعية وصحيـة للفقراء ورفع مستوى الأجور.

قلت: هل تكلمت مع الملك فى ذلك.

قال روزفلت: تكلمت. ولكن لم أتلق ردا شافيا. وصرف الموضوع إلى مواضيع أخرى. ولكني التقيت بعد ذلك برئيس الحكومة نجيب الهلالى وأعدت عليه حديثى مع الملك، ووافقنى الهلالى على آرائى.

وقال: إنه يحاول جهده يائسا أن تقوم حكومته بتطهير الفساد.

قلت: وأى فساد تراه أنت، وتلمسه بصفتك صحفيًا؟

قلت: فساد الأحزاب السياسية.

ولاحظت أن روزفلت لم يتناول أبدًا فساد حاشية القصر. وأضفت إلى ملاحظتى أن السفير كافرى كان يحمل دائما على الفساد الحزبى ويعرض بالنظام الحزبى فى مصر. وأنه تكلم كثيرا مع الملك فاروق الذى كان يستمع من كل قلبه إلى الحديث لكراهيته الشديدة لحزب الوفد.

تشكيل حكومة عسكرية!

لابد لى أن أشير فى هذا الصدد إلى أن الملك فاروق كان يفكر جدياً فى تشكيل حكومة عسكرية. وكان مرشحه لرئاسة هذه الحكومة هو الفريق محمد حيدر. لكنه أجل تنفيذ هذه الخطة، إما لأنه غضب على حيدر حتى أنه أراد عزله كما أشرت فى موضع آخر من هذه المذكرات، وإما لأنه لم يكن يرى الوقت مناسبا. وقد دل على نيته بوضوح فى خطابه الذى ألقاه فى الوليمة التى أقامها لضباط حامية القاهرة يوم حريق القاهرة. ولست أجزم أن فكرة إقامة حكومة عسكرية كانت نتيجة إيحاء أمريكى بريطانى بعد ما ألغت حكومة الوفد معاهدة سنة ١٩٣٦، وقيل إنها تركت بذلك فراغا فى منطقة الشرق الأوسط، أو إن هذه الفكرة من وحى فاروق لعدائه المستقر لحزب الأغلبية وهو حزب الوفد. ومنذ قدوم كيم روزفلت إلى القاهرة وردتنى تقارير كثيرة عن حركة كبيرة للأمريكيين فى مصر.

فقد امتلأت الفنادق بمن يسمون برجال الأعمال. ومن تجاربى كنت أعلم أن الكثيرين من رجال الأعمال هم من رجال المخابرات الأمريكية C.I.A وزاد عدد موظفى السفارة الأمريكية زيادة مفاجئة حتى كاد أن يتضاعف. وكان هذا النشاط الفجائى مثار اهتمامى. وطلبت من رجال الأمن تتبعه. ولكن التقارير كانت ترد بأن أحدا منهم لم يقدم على عمل يشتبه به.

وأرجو أن أوضح هنا نقطة هامة، وهى أن غالبية رجال الأمن من البوليس لم يكونوا على ولاء للحكومة، لأنهم كانوا يكرهون الملك ولا ينسون له أنه أذلهم حين أضربوا سنة ١٩٤٧

واعتصموا بحديقة الأزبكية، فأرسل النقراشي رئيس الحكومة في ذلك الوقت يطلب من الملك وحدة من الجيش حاصرتهم وجردتهم من السلاح وقبضت عليهم.

وجاءت الضربة القاضية التي انهارت معها آمال الأمريكان في الملك فاروق حين أخرج وزارة الهلالي نظير مبلغ مائتي ألف جنيه قدمها المالي المعروف أحمد عبود ليتخلص من الضرائب التي كانت تطالبه بها وزارة الهلالي. وحين علم السفير الأمريكي بإخراج الهلالي وتعيين حسين سري بدلا منه وفقًا لمخطط عبود أخذ يصيح قائلا: لافائدة لا فائدة من هذا الملك. فليذهب إلى الجحيم.

ماذا فعل الأمريكيون ؟!

لا أظن أن المصادفة المحضة هي التي أتت بكيم روزفلت إلى القاهرة خصوصًا أنه قد تبين أن كيم روزفلت هو من كبار رجال المخابرات الأمريكية، وكان له دور بارز فيما بعد في إسقاط حكومة مصدق في إيران. وليست المصادفات هي التي أتت برجال الأعمال الأمريكيين إلى القاهرة، ولا هي التي جعلت الحكومة الأمريكية تضاعف عدد رجال السفارة الأمريكية في القاهرة. كل ذلك في وقت كانت مصر في حالة غليان ضد الحكم القائم وعلى رأسه الملك فاروق. وكانت حركة الضباط الأحرار قد اشتد ساعدها إلى أبعد مدى، وجابهت الملك في انتخابات نادي الضباط وأعلنت تحديها له بترشيح اللواء محمد نجيب لرئاسة نادي الضباط ضد مرشح الملك اللواء حسين سري عامر. وكانت منشورات الضباط الأحرار تغمر شوارع المدن المصرية. وكانت أسماؤهم معروفة أكثرها لدى الحكومة وقائد الجيش حيدر. فكيف لا تكون معروفة لدى المخابرات الأمريكية والبريطانية؟ بلى كانت معروفة. ولما يئس الأمريكان والإنجليز من فاروق اتجهوا نحو حركة الضباط الأحرار وحاولوا الاتصال بها. وجرت هذه المحاولة عن طريق ضابطين في الجيش هما: البكباشي عبد المنعم أمين وقائد الجناح علي صبري.

فماذا كان موقف الضباط الأحرار؟

كان الأمر كما يقول الشاعر: «أمران أحلاهما مر» أو «لابد مما ليس منه بد»، فإذا حاول الضباط الأحرار إنكار حركتهم أو رفض الاتصال بالأمريكان، فسوف يقوم هؤلاء بإبلاغ الملك عنهم، وبكل تفاصيل ما يعرفونه عنهم. وكان الملك يستمع إلى الأمريكان ونصائحهم أكثير مما يستمع إلى وزرائه. وعليه تكون النتيجة أن يعصف الملك بحركة الضباط الأحرار بمساعدة الأمريكان والإنجليز الذين كان جيشهم رابضًا في أرض مصر!

وطبقًا لقانون اللعب المعروف، العب بالذى تكسب به، لعب الضباط الأحرار لعبتهم بمهارة وجاروا الأمريكان. وقام تفاهم على عدد من النقط بعد نجاح الانقلاب أهمها ما يلى:

١ - إصدار قانون فورى بالإصلاح الزراعى وبتحديد الملكية وتوزيع الأرض على صغار الفلاحين. وهو ماكانت أمريكا ترى أنه يقضى على انتشار الشيوعية فى مصر.

٢ - إلغاء الدستور والأحزاب السياسية.

وهذا المطلب يشفى غليل إنجلترا من الوفد ويجعل الأمريكان يتكلمون مع صوت واحد بدلًا من عدة أصوات، وهى الطريقة التى يفضلونها فى الاتصال بالحكومات والتى استعملوها فى أمريكا اللاتينية. ولو أن الأحداث خلفت أثراً عكسيًا كما هو الحال فى كوبا التى أصبحت قاعدة عداء كبرى ضد أمريكا، كما أدت هذه السياسة إلى تفشِّى منظمات متطرفة فى معظم دول أمريكا اللاتينية التى تحكمها حكومات عسكرية تقوم بتدمير المصالح الأمريكية وخطف الدبلوماسيين الأمريكان، كما تفعل منظمة التوباماروس.

٣ - تأميم قناة السويس. وقد يبدو أن هذا الشرط غير معقول لأنه يصيب مصالح بريطانيا وفرنسا حليفتى أمريكا فى حلف الأطلنطى.

ولكن هذا الشرط الذى من المؤكد أن الثورة اشترطته يعطيها كسبًا ماديًا ومعنويًا كبيرا، فضلا عن أنه شرط عادل جدًا، لأن هاتين الدولتين استغلتا القناة أبشع استغلال وحرمت مصر من دخل ضخم كان يؤمن للشعب المصرى رخاء ويسرا لو عاد إليه، ولم يذهب إلى جيوب المساهمين الأجانب فى القناة بغير وجه حق. وإنى أعلم عن يقين أن حكومة الثورة بدأت دراسة إجراءات التأميم عام ١٩٥٣.

وتولى إعداد البحث رئيس قسم الرأى بمجلس الدولة المرحوم المستشار بهجت بدوى. ولكن التأميم لم يتم إلا عام ١٩٥٦.

ولم تقم أمريكا بمحاولة جدية لمساعدة إنجلترا وفرنسا، بل كان موقف حكومة أمريكا ووزير خارجيتها دالاس أقرب إلى العداء من هاتين الدولتين منه إلى التحالف.

٤ - أن تعمل الحكومة المصرية جادة على إنهاء النزاع مع إسرائيل فى ظرف خمس عشرة سنة. وهذا الشرط لابد أنه أتى من أمريكا وقبلته الثورة، وهى تضمر فى نفسها شيئا آخر، إذ إنها أخذت فى تسليح مصر وتنظيم جيشها على استعمال أحدث الأسلحة ووسائل التدريب، لعلمها بأنها لابد أن تجابه إسرائيل فى معركة عسكرية. وقد جابهتها فعلا فى حروب ١٩٥٦ و ١٩٦٧ و ١٩٧٣؟

٥ - أن تنهي بريطانيا احتلالها للسودان كيلا يظل جيشها يحتل الباب الخلفي لمصر ولمنابع النيل.

٦ - أن تضغط أمريكا على إنجلترا لإنهاء احتلالها لمصر.

وقد تمت معاهدة بين حكومة الثورة وإنجلترا احتفظ فيها الإنجليز بحق الرجوع إلى قاعدة قناة السويس في حالة خطر قيام حرب.

لم تكن علاقة الملك فاروق بالإنجليز علاقة سعيدة منذ ساعة قيام الحرب العالمية الثانية وازدادت سوءًا بحادث ٤ فبراير، ثم هدأت بعض الشيء ونسى فاروق الإنجليز وهو يلعب الورق في نادى السيارات أو يذهب إلى الأوبرج. ونسيه الإنجليز ببرودهم المعهود حتى سنة ١٩٥١ حين أعلن النحاس رئيس الحكومة إلغاء معاهدة الصداقة والتحالف التى عقدها مع إنجلترا سنة ١٩٣٦ قائلا في البرلمان كلمته المشهورة: «من أجل مصر عقدت معاهدة ١٩٣٦ ومن أجل مصر أطالبكم اليوم بإلغائها».

وكانت صدمة شديدة للحكومة البريطانية لأنها فوجئت بالإلغاء ولم تخطر به مسبقًا من سفارتها في القاهرة. وكانت لطمة عنيفة للسفير البريطانى السير رالف ستيفنسون. وأقر الملك فاروق الإلغاء.

ولعل الإنجليز كانوا يظنون أنه يستطيع منع النحاس من إلغاء المعاهدة. ولكنى أرجح أن الإنجليز وصلتهم معلومات بأن الملك فاروق هو الذى أوحى إلى النحاس بإصدار قرار الإلغاء، بحجة أن الإنجليز طولبوا بالجلاء عن قناة السويس وأنهم يماطلون.

وبدأت كتائب من الفدائيين تشكل من صغار الضباط والإخوان المسلمين والوفديين والحزب الاشتراكى وترسل إلى منطقة القناة لمهاجمة القوات الإنجليزية ووسائل مواصلاتها ومعسكراتها.

واشتعل صدر الإنجليز غضبًا لما أذاعته الصحف من أن الملك فاروق تبرع للفدائيين بمبلغ ٣ آلاف جنيه، وأن حكومة الوفد تمد الفدائيين بالأسلحة والمال.

وكان الإنجليز يعلمون بواسطة قلم مخابراتهم الكثير عن حركة الضباط الأحرار ويعلمون أسماء مقاتليهم في منطقة قناة السويس.

وكان من زعماء تنظيم الكتائب في منطقة قناة السويس وجيه أباظة وعبد اللطيف واكد. وفى اصطدام بين دورية بريطانية ودورية من الكتائب أسر البريطانيون ضابطًا مصريًا. وأخذوه

إلى المخابرات لتستجوبه. ودخل الضابط المصرى غرفة ضابط المخابرات البريطانى الذى بادره بالسؤال عن اسمه: فأجاب الضابط المصرى اسمى محمود.

سأل ضابط المخابرات: وما صناعتك؟

قال الضابط المصرى: طالب فى الجامعة.

قال ضابط المخابرات ضاحكًا بسخرية: إن اسمك هو عصمت وصناعتك ضابط فى الجيش المصرى. أرأيت أننا نعرف كل شىء عنكم؟ والآن قل لى لماذا تقاتلوننا؟

قال الضابط المصرى: لأنكم تحتلون بلادنا ولا تريدون أن تذهبوا.

قال ضابط المخابرات: ولكن قبل أن ترحِّلونا، ألا يحسن بكم أن ترحِّلوا الملك فاروق. نحن نعلم أنكم تنظمون حركة ضده. فلماذا لا تعجلوا بالخلاص منه؟ اذهب إلى وجيه أباظة وعبد اللطيف واكد وقل لهما هذا الكلام.

فهل أراد الإنجليز أن يطلقوا بهذه الرسالة الضوء الأخضر لحركة الضباط الأحرار للقيام بحركتهم بغير خشية أو رهبة من أن يقاومها الجيش الإنجليزى، كما حدث فى حركة عرابى ضد الخديو توفيق.

لقد أراد الملك فاروق فعلاً أن يستعين بالإنجليز فى اليوم التالى لقيام الثورة. فأرسل مبعوثًا إلى السفارة البريطانية قابل فيها الوزير المفوض مستر كرسويل الذى كان قائمًا بأعمال السفير.

وقال المبعوث للوزير المفوض: إننى موفد من الملك فاروق برسالة إليك.

سأل المستر كرسويل (بسخرية) : وماهى الرسالة؟

قال المبعوث: إنه يود معرفة ما إذا كنتم تستطيعون مساعدته؟

أجاب المستر كرسويل: وهل تظن أننا نساعد مجنونًا ملعونًا (Dam Fool) !!

وترك الإنجليز فاروق لقدره.

ضحكوا على فاروق وخدعوه

هكذا ذهب فاروق وتخلى عن العرش، لأنه كان لا يعرف كيف يصونه كما صانه والده بالصبر والجد وتتبع مجريات الحوادث بعين حذرة وبصيرة. أما ابنه فكان لاهيًا عن كل شىء إلا طمعه وملذاته، مستهترًا بكل شىء إلا حب المال وحب الميسر. استهتر بالشعب واستهتر بحكومته وكان استهتاره استهتار طفل عنيد مشاغب ظن أنه يستطيع أن يفعل أى شىء حين

لـم ير أحدًا ينهره أو يزجره. كان يتظاهر بالقـوة والجبروت. ولكن ما إن بدا له فى الأفق أن هناك ثورة قد يكون فيها خطر على حياته حتى انهار وخارت قواه. أمر يخته «المحروسـة» بالاستعداد للإبحار فى الساعة العاشرة من مساء يوم ٢٣ يوليو، وأمر قائد بوليس السراى بأن يتصل بحكمدار بوليس القاهرة لكى يخبره ألا يقوم البوليس بأية محاولة ضد الجيش، وأقال الوزارة قبل أن يتمكن مبعوثه من الاتصال بقيادة الثورة.

كان يريد الفرار بأى ثمن. يريد النجاة بجلده ورقبته ويحقق الرغبة التى طالما عاشت فى صدره وهو أن يترك مصر ليعيش فى الخارج.

ومن سـخرية القدر أنـه أراد أن يصطحب معه أنطون بوللى سـكرتيره المالى الذى كان يعرف كل شىء عن أموال الملك فاروق. ولكن ضباط حركة الجيش قبضت على هذا السكرتير وخرج الملك فاروق من دونه.

وذهب فاروق إلى أمه حين خلع عن العرش يبكى فقالت له شـيئًا يقرب من بيت الشـعر الذى قالته أم ملك أندلسـى خلع عن العرش لقساده «ابك مثل النساء مُلكا لم تحافظ عليه مثل الرجال» .

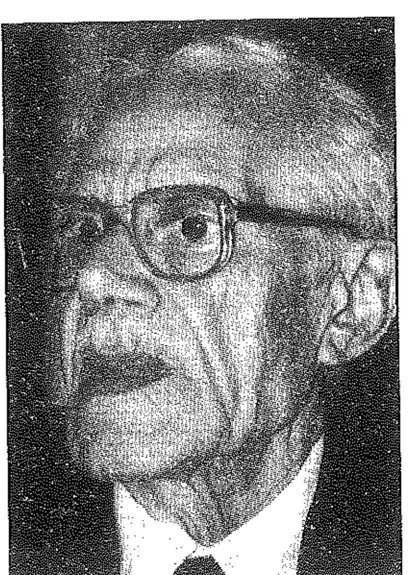
ولـم تكن المفاجأة الكبرى لدى فاروق فى فقده العرش، وإنما كانت بعد وصوله إلى أوربا واكتشـافه أن أكثر المال الذى كان يعطيه لبوللى ليودعـه فى مصارف أوربا قد أودعه بوللى باسـمه هو لا باسـم فاروق. وعاش فاروق الذى ظن العالم أن عشرات الملايين من الجنيهات كانت مودعة باسـمه.. عـاش بأقل من مليونى جنيه أطاحت بأكثرهـا عصابة من المحتالين الأجانـب اتصلت به وأغرته بتوظيف أمواله فى مشـاريع احتيالية وهمية. وضيع هو الجزء الآخر فى كازينو مونت كارلو وفينسيا وسان ريمو.

وإنى أعلم عن يقين أن فاروق كان يعانى ضائقة مالية شـديدة وأنه كان يحصل على معونة شهرية قدرها ثلاثون ألف جنيه استرلينى شهريًا. وعندما قطع عنه الملك سعود هذه المعونة راح يفكر فى وسيلة يستعيد بها ما فقده.

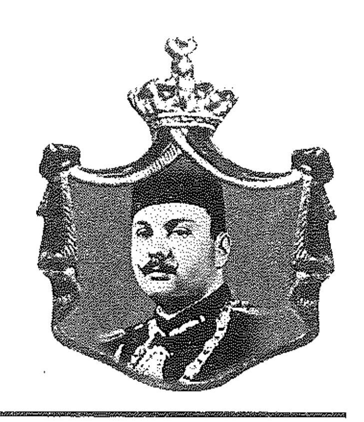
□□□



١ – الملكـــة الســـابقة نازلى .

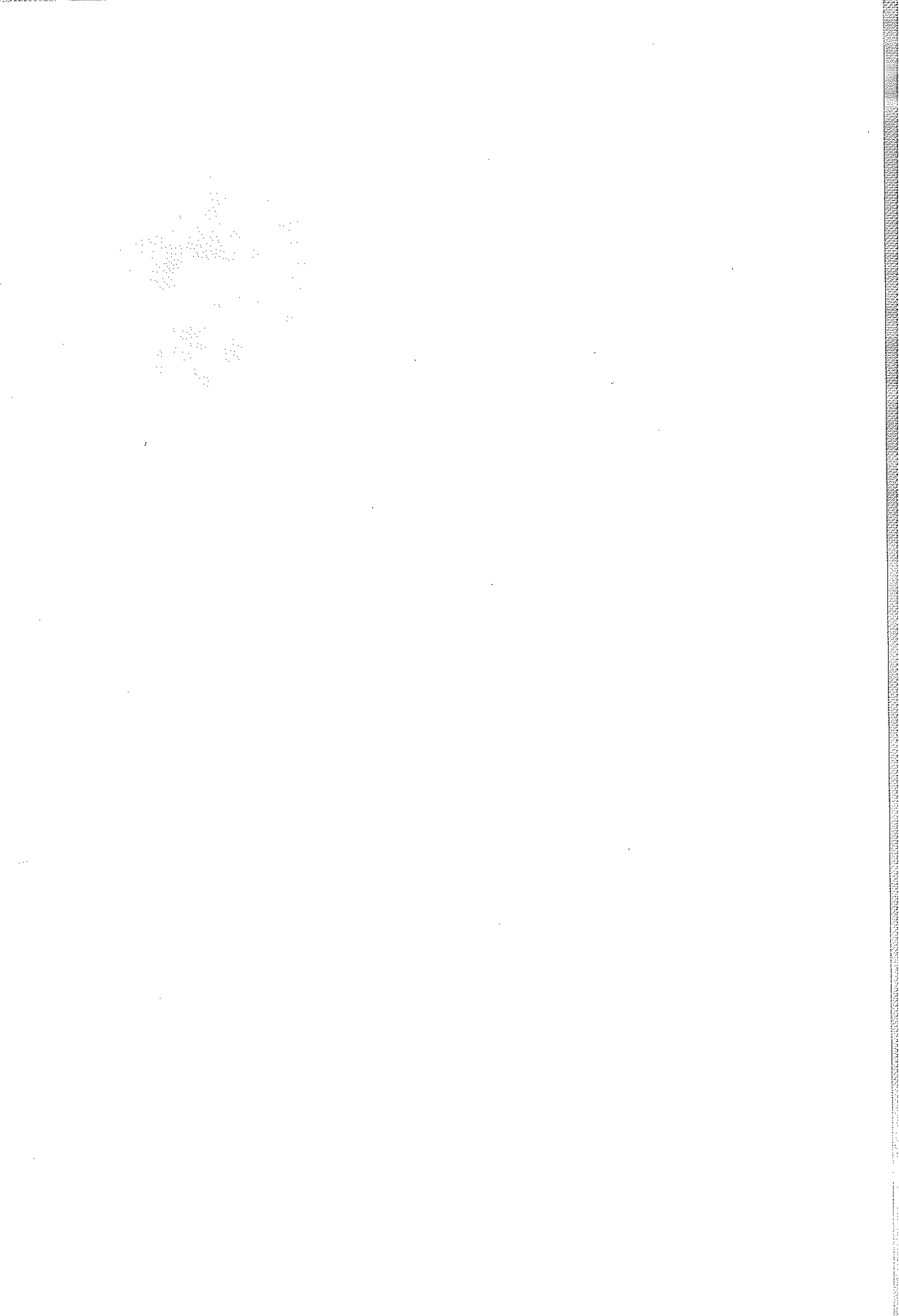


٢ – أمين فهيم سكرتير الملك فاروق .



.. ومات الملك

- حكاية مؤامرة الانقلاب التى اتهمنى بها عبد الناصر
- شيك بـ ١٦٧ ألف جنيه و٣٥٠ مليما ثمن المؤامرة
- كيف مات فاروق بسبب وجبة طعام ثقيلة أكلها
- أنور السادات: قال يمكن للمراغى أن يعود وهو آمن فكان صادقا
- الملك فيصل دخل مستشفى المواساة بالإسكندرية للعلاج ولم يزره فاروق



في عام ١٨٠٥م تولى محمد علي الكبير حكم مصر.. كان الحاكم يومها يطلق عليه لقب الوالي، وقد تعاقب على الحكم من أسرة محمد على أربعة ولاة هم: محمد علي وابنه إبراهيم وحفيداه عباس الأول وسعيد. وتغير بعد ذلك لقب حاكم مصر وأصبح لقبه الخديو وحكم مصر الخديو إسماعيل ثم توفيق ثم عباس حلمي الثاني.

ومرة ثالثة تغير لقب حاكم مصر وأصبح السلطان وكان أول سلطان حكم مصر من أسرة محمد علي، السلطان حسين كامل وخلفه السلطان أحمد فؤاد الذي نجح في تغيير اللقب إلى ملك.

كان أحمد فؤاد الأول هو أول ملك يحكم مصر من أسرة محمد علي، وفي عام ١٩٣٦ خلفه ابنه فاروق.. وفي يوليو ١٩٥٢ بعد ١٤٧ سنة خرج فاروق وانتهت صفحة من صفحات الحكم في مصر، وذهبت الملكية مع فاروق وبدأت الجمهورية.. وقد جلس فاروق على عرش مصر ١٥ سنة تم خلالها تشكيل ١٧ وزارة أي بمعدل وزارة كل ١٣٥ يوما!

ولابد أن فاروق كان يتوقع النهاية الغريبة التي انتهى إليها وهو نفسه لم يخف في حديثه رغبته في الحياة خارج مصر متمتعا بالحرية وممارسة كل ما يريد دون أي قيود تفرضها عليه طبيعة الوظيفة.. ولهذا كان فاروق حريصا على أن تكون له ثروة خارج مصر. ولكن المفاجأة حينما اكتشف بعد خروجه من مصر أن معظم الأموال التي سلمها إلى سكرتيره الأمين بوللي ليودعها باسمه في بنوك سويسرا قام بوللي بإيداعها لحسابه الشخصي. وعندما ذهب فاروق ليعرف حجم حساباته كانت الصدمة أنه لم يجد لديه غير مليونين أو ثلاثة ملايين جنيه فقط.. وحتى هذه الملايين استطاع بعض المحتالين والنصابين أن (يلهفوا) منه جزءا كبيرا منها عندما ضحكوا عليه وأقنعوه باستثمارها في مناجم ذهب في البرازيل!

ولقد كانت لي فرصة التعرف على حقيقة أوضاع فاروق المالية وأن يطلب إلى القيام بدور في مساعدته بسبب علاقاتي مع السعودية وعملي بعد خروجي من مصر.

كيف خرجت من مصر؟!

إن قصــة خروجي من مصر أحاطت بها قصص كثــيرة كما أننى تعرضت بعد خروجى إلى اتهام تدبير انقلاب ضد جمال عبد الناصر!

وأنا شــخصيا لم أكن أفكر في الخــروج من مصر فبعد قيام الثــورة حاولت افتتاح مكتب محــام والعمل من خلاله لكننــي فوجئت بأننى كنت الزبون الوحيد الذى يدخل مكتبه طوال نحو عامين. ذلك أن الثورة خصصت حرســا خاصا على العمــارة التى يقع فيها مكتبى يهدد كل مــن يفكر فــي توكيلي فى أية قضية. وكانت النتيجة أننــي أصبحت بلا أى مورد. كانت لى علاقــة قديمة بالأمير فيصل- الملــك فيصل فيما بعد - رحمه الله بدأت عندما كنت محافظا للإسكندرية وجاء إلى الإسكندرية ودخل مستشفى المواساة للعلاج. ولم يكن فاروق يميل إليه. فلم يسأل عنه أو يزره ولكننى على العكس قمت بزيارته بدلا من المرة ثلاث مرات. وقد حمل لى فيصل رحمه الله ذلك وأرســل فى بداية الثورة رســولا يبلغنى بأنه على استعداد لمساعدتى ولكننى شــكرت الرســول وأبلغته أن فى بلدى متســعا لحياتى.. ولكن فى عام ٥٦ تأكد لى أن استمرار الحياة فى مصر أصبح مستحيلا. فقمت من ناحيتى بالاتصال بالأمير فيصل وكان قد أصبح وليا للعهد وأبدى الرجل استعدادا لمساعدتى فى الوقت الذى أختاره، وفور خروجى من مصر أرسل لى فى مايو ٥٦ تصريحا للعمل فى السعودية.

ولم يكن خروجى من مصر بالأمر الســهل، فلم يكن لدى جواز ســفر، وكان زكريا محيى الدين وزيرا للداخلية، ولولا ابن عمه خالد محيى الدين لما استطعت الخروج.

ولم تكن لى شــخصيا معرفة بخالد بل إننى لم أقابله مرة واحدة، وكل الذى حدث أن أحد أصدقائى وكان يعمل ســكرتيرا لحفنى باشــا محمود وجدنى مهموما وعرف منى حكاية عدم قدرتى على استخراج جواز السفر.

وكان بســبب علاقة عمله مع حفنى باشــا محمود قد تعرف على جمال عبدالناصر وعلى خالــد محيى الدين فذهب إلى خالد وتوســط لديه فى إخراج جواز ســفر وتأشــيرة خروج.. وبالفعل نجح فى ذلك وقام خالد محيى الدين بمساعدتى فى استخراج الجواز والتأشيرة دون أن يرانى، وهذه شهادة حق لابد أن أقرها.

وفى يوم ١٣ يونيو عام ٥٦ غادرت مصر وســافرت إلى السعودية وعرض عليَّ الأمير فيصل العمــل فى الســعودية ولكننى اعتذرت فكان أن تم ترتيب عمــل لى فى روما وهو العمل الذى احتفظت به فترة طويلة ومنه حصلت على إيراد كبير.

مؤامرة ضد عبد الناصر

هل تآمرت على عبد الناصر؟

إن التآمر لكي يقع لابد أن يكون له أسبابه، وأنا شخصيا لم تكن بيني وبين عبد الناصر أية روابط تجعلني أفكر في التآمر ضده.. ثم أكثر من هذا فإن العمل الذى حصلت عليه والإيراد الذى تحقق لى منه كفل لى حياة كريمة أكثر كثيرا مما كنت أتصور.. فلم تكن بى حاجة لأن أزج بنفسى في أى مؤامرات أو اتهامات.. لكننى أعترف أن شخصا اسمه زغلول عبدالرحمن جاءنى إلى روما وقال لى إنه توسم في تاريخى مايساعد على اشتراكى في تدبير عمل يخلص مصر من الحكم العسكرى برياسة عبدالناصر، وقلت لزغلول إننى سعيد بأوضاعى التى وصلت إليها ولا أفكر إطلاقا في أى دور سياسى، وقد اقتنع ولم يعد إلى لقائى مرة أخرى..

لكن حدث بعد ذلك أن جاءنى شخص اسمه حسين خيرى وكنت أعرفه عن طريق والده الذى كان متزوجا من السلطانة ملك، وكان حسين ضابطا طيارا وقد حكم عليه في الجزائر بالإعدام بسبب صفقة سلاح حصل عليها من فرنسا لتوريدها إلى الجزائر ولكنه باعها لإسرائيل!..

وقد جاءنى حسين خيرى - وكنت في ذلك الوقت في بيروت - وأبلغنى أن ضابطا اسمه عصام خليل يريد القيام بانقلاب على عبدالناصر.

ولم أكن أعرف من هو عصام خليل هذا الذى أبلغنى حسين خيرى أنه ضابط طيار وأنه يعمل في مخابرات الطيران. ووجدت نفسى أضحك على سذاجة حسين وأقول له: جرى إيه يا حسين.. أنت فاهم نفسك بتتكلم مع واحد من الشارع، انقلاب إيه اللى بتفكر تعمله مع ضابط مخابرات..

لم أكن أريد أن أخبر حسين عدم رغبتى في القيام بأى دور، وإنما أكثر من ذلك في السخرية منه ومن أفكار الذين يضحكون عليه.

ومرت الأيام وإذا بى أفاجأ بالرئيس عبدالناصر يتحدث عنى في خطاب ألقاه في بورسعيد يتهمنى فيه بالتآمرعليه، وأن الذى اكتشف المؤامرة هو البطل عصام خليل (حكم على هذا البطل عصام خليل فيما بعد بالسجن لاتهامه في واقعة اختلاس خاصة بأموال تتعلق بالصواريخ) وقال الرئيس جمال عبدالناصر إننى كتبت شيكا لعصام خليل للقيام بمؤامرته قيمته ١٦٧ ألف جنيه و٣٥٠ مليما.. وقامت الصحف بنشر الشيك ثمن الانقلاب، ولكن كاتبا واحدا لم يعلق ويسأل: هل مرتضى المراغى من الغباء بحيث إذا أراد أن يشترك في مؤامرة

أو انقلاب يقوم بكتابة شيك، وهل فى أموال الانقلابات والمؤامرات مايقتضى كتابة شيك فيه ٣٥٠ مليما؟!..

لم يكن ذلك على كل حال هو المثير فى قضية المؤامرة التى نسبت إلىَّ ولكن كان الأكثر إثارة أن النيابة العامة قررت إحالتى إلى المحكمة العسكرية بتهمة التآمر ضد الدولة لا بعد تحقيق تم وإنما بناء على خطبة الرئيس جمال عبدالناصر وأظن أنها من المرات المعدودة جدا التى يحال فيها متهم إلى المحاكم بناء على خطبة ألقاها حاكم البلاد!..

وقد تم تشكيل المحكمة برياسة اللواء نبيه أمين وكان الشاهد الوحيد فى القضية هو اللواء عصام خليل الذى سئل هل قابلنى ولكنه أجاب بالنفى. سئل هل قام بعمل تسجيل يؤكد اتهامى ولكنه نفى ذلك، وسئل مرة ثالثة هل كتب إليك بخصوص هذه المؤامرة وهنا أجاب بالإيجاب وأبرز خطابا نشر فى الصحف ويحمل توقيعى وكانت عباراته اشبه بالكلمات المتقاطعة.

ولهذا الخطاب قصة طريفة؛ فقد حدث أن انتهت صلاحية جواز سفرى ولما كان أخى حسن رشاد المراغى صديقا للسفير عبدالحميد غالب سفير مصر فى بيروت فى ذلك الوقت فقد ذهب إلى السفير يرجوه أن يجدد الجواز، وطلب إليه السفير أن يكتب له أخى خطابا بهذا المعنى يوقعه باسمى حتى يبدو أن التجديد تم بناء على رجاء منى. وبالفعل كتب أخى الخطاب بخطه ووقعه نيابة عنى وسلمه للسفير عبدالحميد غالب الذى قام بتجديد جواز سفرى، ولعله أرسل الخطاب من باب تحصيل الحاصل إلى مصر كإجراء روتينى، ولكن هذا الخطاب تم وضعه فى يد خبيرة حولته إلى خطاب مؤامرة وانقلاب وموقع بتوقيعى، وكل ذلك دون أن يعلم الذين رتبوا لذلك أن الخط لم يكن خطى والتوقيع لم يكن توقيعى.. ولكن على طريقة حكاية الأرنب الذى هرب إلى البلد المجاور لأنهم فى بلده يقومون بالقبض على القرود، وعند سؤاله لماذا أنت خائف مادمت ليس قردا وإنما أرنب؟ فإنه أجاب: مين يقدر يثبت أننى أرنب!.. على نفس الطريقة حكم علىَّ بالأشغال الشاقة المؤبدة.

وهكذا كتب علىَّ أن أبقى فى الخارج إلى عام ١٩٧٣ عندما أرسلت والدتى إلى الرئيس الراحل أنور السادات ترجوه أن يسمح لى بالمجئ إلى مصر لكى ترانى قبل وفاتها.

كان الدكتور عبدالقادر حاتم هو رئيس وزراء مصر الفعلى فى ذلك الوقت، وقد أرسلت له أمى الرسالة فلم يخفها وإنما قام بعرضها على الرئيس السادات.

ووافق الرئيس وقام الدكتور حاتم بابلاغ شقيقتى أنه حصل من الرئيس السادات على موافقته على حضورى.. وحضرت لى أختى فى بيروت بالخبر الذى نشرته الصحف، ولكننى

صدمتها بقولى لها أننى لا أستطيع العودة إلى بلدى وأنا محكوم علىَّ بالأشغال الشاقة فأنا رجل قانون وأعرف أن من حق السلطات القبض علىَّ فور مشاهدتى فى البلاد، وقلت لها إنهم إذا كانوا صادقين فعلا فيمكنهم إصدار عفو عنى أعود بعده.

وعادت شقيقتى وذهبت إلى الدكتور حاتم الذى ذهب بدوره إلى الرئيس أنور السادات، الذى أجاب الدكتور حاتم بقوله: لا.. أنا لا أعفى عنه وحده، إذا كنت سأعفى فسأعفى عن جميع المحكوم عليهم، وكل الذى استطيعه الآن هو كلمتى له بإمكانية العودة.

وعندما نقلت إلى كلمات السادات قلت على الفور: هذا رجل صادق، لأنه لو كان يريد حضورى لأمر ما كان قد وعدنى بأن يعفى عنى بعد حضورى.

وهكذا.. عدت إلى مصر وكان اليوم الذى عدت فيه تاريخيا ليس بالنسبة لى ولكن بالنسبة لكل مصرى وكل عربى، فقد كان يوم ٥ أكتوبر ١٩٧٣. وهو آخر يوم نامت فيه مصر والأمة العربية على مرارة هزيمة ٦٧.

وبعد عام كامل.. فى يوم ٥ أكتوبر ١٩٧٤ حقق السادات وعده وأصدر أمرا بالعفو عنى.

وعودة إلى بقية حكاية فاروق، وكنت يومها أعيش فى روما أمارس العمل التجارى الذى ساعدنى عليه الأمير فيصل عندما جاءنى حلاق فاروق السابق بترو وهو أحد المصادر التى كان يستقى منها فاروق معلوماته عن النشاط الشيوعى فى مصر كما ذكرت من قبل فى أحد فصول هذه المذكرات وقد عاتبنى بترو فى البداية لأننى نسيت فاروق الذى كان يحبنى وأبلغنى أنه يريد أن يرانى لأمر هام.

واعتذرت وقلت له إننى تركت السياسة وأعمل بالتجارة ولا أريد أن أعود للسياسة.

قال بترو: ولكنه يريدنى لموضوع غير سياسى، فهو يريد وساطتك فى موضوع اقتصادى يهمه جدا.

وشرح لى بترو أوضاع فارق الحالية وكيف ضحك عليه بوللى من جهة، والنصابون المحتالون من جهة أخرى، وأضاف أن الملك سعود عندما عرف بهذه الأوضاع خصص مبلغ ٣٠ ألف جنيه راتبا شهريا لفاروق، ولكن منذ فترة فإن سعود قطع هذا المبلغ عن فاروق، ولعلاقتى الطيبة بالسعوديين وعلى رأسهم الأمير فيصل فقد طلب منى بترو باسم فاروق أن أتصل بسعود وأرجوه فى استئناف الراتب الشهرى الذى قطعه عن فاروق.

قلت لبترو: إن الملك سعود لا علاقة لى به بالإضافة إلى أن الطلب الذى تطلبه منى طلب مهين.. فكيف أتوسط لملك مصر السابق فى الحصول على معونة له من ملك السعودية.

قال بترو: معلهش.. الأوضاع التى وصل إليها فاروق تسمح بذلك.. فاروق أصبح مدينا للبقال والجزار وأنا وأربعة غيرى نعمل عنده لم نقبض مرتباتنا من عدة شهور بل أكثر من ذلك فإننى أقوم ببيع مخزون السيجار الذى عند فاروق لكى نحصل على المال!

ورغم توسلات بترو إلا فإننى رفضت التوسط لدى سعود لإعادة معونته الشهرية وغاب عنى بترو فترة ثم فوجئت به يعود مرة أخرى ويرجونى الوساطة فى تزويج بنات فاروق من الأسرة المالكة السعودية، وكانت حجة فاروق خوفه على مصير بناته المسلمات من التورط فى علاقة مع أجانب.. وقد صعب علىّ فاروق فى هذا المطلب وسافرت بالفعل إلى السعودية وقمت بدور الخاطبة لبنات فاروق، ولكن أحدا لم يقبل الزواج بإحداهن.

موت فاروق

ومضت الأيام ..

انقطعت عنى أخبار فاروق إلى أن فوجئت بنشر الصحف خبر وفاته.. وعلمت بموعد جنازته فقررت الاشتراك فيها.. وكان من المشاهد التى لا أنساها عندما ذهبت إلى المقبرة التى أعدت لدفنه وكانت مقبرة المسيحيين المسماة «الفيرانو» فى مدينة روما، وقد لفتت نظرى إحدى بنات فاروق ولاحظت أن معها ولدا صغيرا كانت تهمس فى أذنه بين وقت وآخر وهو فى حالة إرتباك شديد. ويبدو أن الفتاة عرفتنى فقد فوجئت بها تطلب إلى الولد الصغير الذى معها أن يصافحنى.. ثم سمعتها تقول لى بأدب مفرط: تسمح تخليه يقرأ الفاتحة على روح أبوه!

وعرفت أن هذا الصبى هو الطفل أحمد فؤاد الذى قاسى فاروق طويلا من أجل أن ينجبه وكان يحلم أن يرثه.. وطلبت إلى أحمد فؤاد أن يردد معى ما أقوله.. وقرأت آيات الفاتحة وأخذ يرددها هو خلفى.. حتى انتهيت فأمسكت به أخته وأخذته وانسحبت.

وبسبب الحكايات الكثيرة التى ترددت عن وفاة فاروق ومن بينها اتهام أحد ضباط الثورة بأنه دس السم لفاروق فى طعامه، فقد مارست فضولى وظللت أتردد طويلا على المطعم الذى مات فيه فاروق إلى أن كسبت صداقة صاحبه.. وهذا المطعم موجود فى شمال إيطاليا، وعندما عرف صاحب المطعم - بعد أن كسبت صداقته - أننى مصرى أخذ يحدثنى عن فاروق وتردده الطويل على مطعمه، وقلت له إنه كان غريبا أن يموت فاروق فى سن ٤٥ هكذا فجأة وهو يأكل..

ونظر إلىّ صاحب المطعم وقال لى ساخرا: يأكل.. وأضاف ما معناه بالايطالية بل قل كان «يحشى»!!

قلت له باهتمام: له.. هو أكل أيه؟!

وأجابنى بقائمة غريبة فقد بدأ فاروق طعامه يومها بتناول «سلطانية أسباجتى كبيرة عليها كوم من المحار» وهو طبق معروف فى ايطاليا اسمه اسباجيتى الاجاندولا، والمفروض فيمن يأكله ألا يأكل غيره، ولكن فاروق أكل كمية تقدم تقريبا لثلاثة زبائن!.. ثم اتبع هذا الطبق بقطعة لحم خاصة زنة حوالى كيلو من نوع مميز اسمه «فوليرانتينا» وهو يعد من أحسن أنواع اللحوم ويحضرونه خصيصا من فلورنسا، والمفروض أن يشترك أربعة فى أكل مثل هذه القطعة التى أكلها فاروق، ولكن فاروق التهمها وحده ومعها بدون مبالغة صينية بطاطس!!

ثم جاء دور الحلو وكان «خفيفا»: ٥ أصابع موز، وخمس تفاحات، ونصف تورتة!

ولم يكن سرا أن فاروق كان مريضا بالقلب، وقد نصحه الأطباء بتخفيف وزنه، ولكنه كان قد انجرف إلى حب الطعام بصورة مذهلة، وعندما التهم هذه الوجبة الغريبة كتمت على أنفاسه ومات فيها!..

ومات آخر ملوك مصر..

ثم ماذا..

إننى أعرف مقدما أن هناك من سيحاول تكذيب بعض ما ذكرت من وقائع..

وإلى هؤلاء أقول، أننى لم أكتب ما كتبت بحثا عن أى دور.. إن مستقبلى خلفى وليس أمامى.. ولقد أتاح لى موقع عملى رغم أننى لم أحضر بعض الوقائع التى ذكرتها فرصة أن أعرف بها.. كانت هناك شرائط مسجلة كثيرة لمكالمات تليفونية بين سيدة القصر السيدة نهى وفاروق وصديقها مصطفى لم أسمع أنا شخصيا إليها ولكنها القيت على مكتبى بحكم ظروف عملى وزيرا للداخلية، ومنها عرفت الكثير من الأسرار والوقائع.

ثم أننى فيما يتعلق بالثورة ذكرت ما عشته من وجهة نظرى، ولقد تختلف وجهة النظر هذه مع وجهات آخرين وإليهم أقول: هكذا كانت قدراتى وامكانياتى على الرؤية كما جرت الأحداث.. إننى مثلا لم أنتظر حتى تقع الأحداث ثم قمت بتحديد دورى ومشاهدتى لها، ولكننى حرصت على تسجيل رؤيتى رغم معرفتى باختلاف هذه الرؤية مع رؤية كثيرين غيرى كانوا فى الموقع الآخر.

والحياة رؤى مختلفة.. والتاريخ تسجيل لهذه الرؤى.. وأنا فى حساب التاريخ مجرد شاهد قال شهادته ومضى..

وقد يأتى غيرى ويقول شهادة قد تختلف مع ما أقول، وهذا أمر منطقى.. فالشهادة تختلف من واحد لآخر بحسب موقع رؤيته وظروفه..

وإذا كنت أحمد الله لشيء فهو أننى استطعت أن أقول شهادتى بكامل حريتى وفى ظروف يملك الإنسان فيها كامل حريته..

ولعلنا نحرص على هذه الحرية العظيمة..

هذه الحرية التى تجعلنى أقول رأيي وأسجل شهادتى، وتسمح للآخرين بأن يقولوا أيضا رأيهم ويسجلوا شهادتهم.. فهكذا يكتب التاريخ.. بمداد الحرية لا بالقهر تسجل صفحاته وسطوره وكلماته.

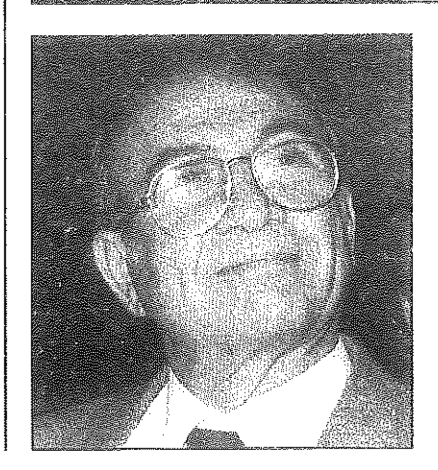
□□□



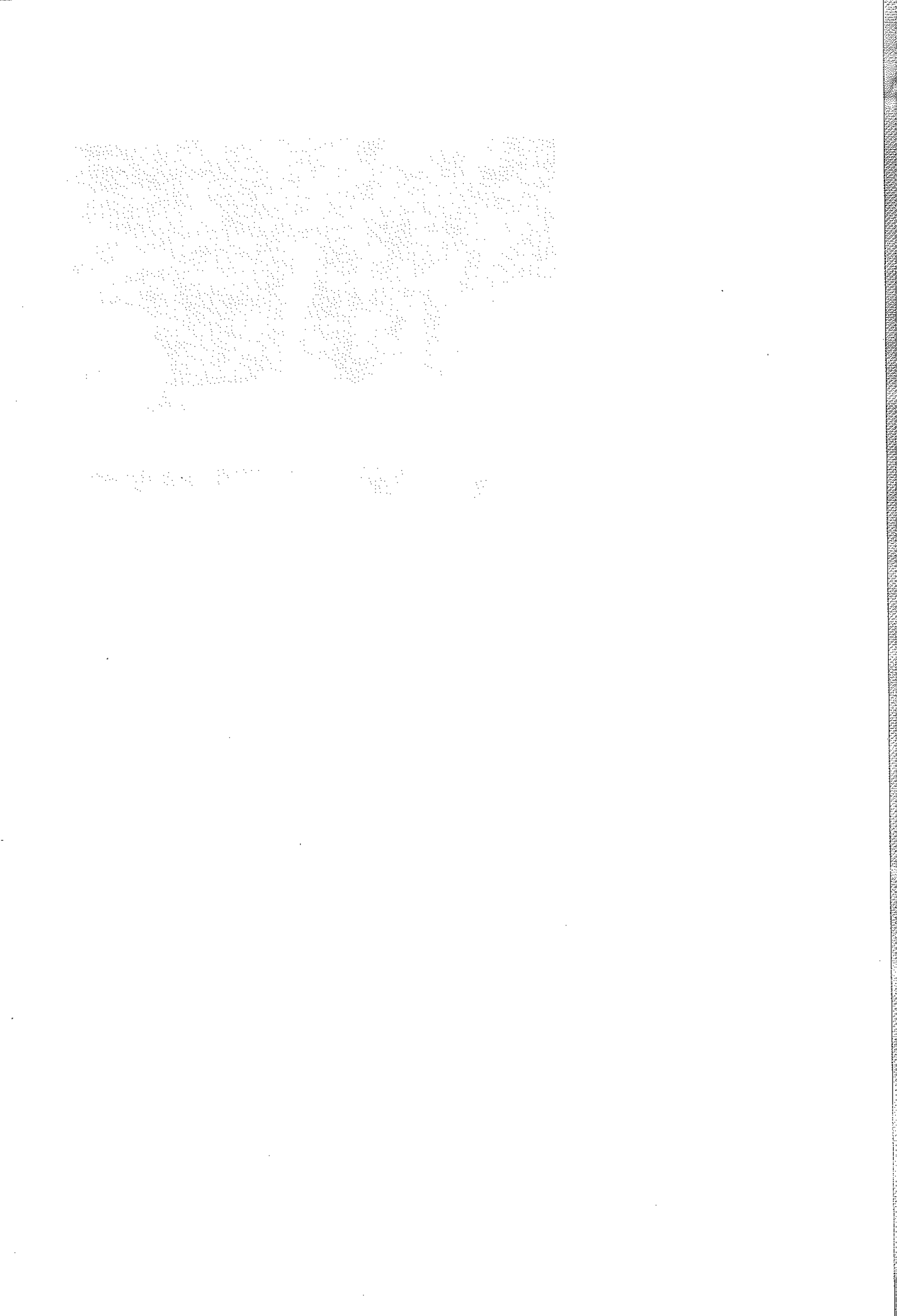
١ - الملك فاروق يوم فرح الأميرة فوزية، وعلى يمينه الملكة نازلى وعلى يساره السلطانة ملك أرملة السلطان حسين (عمه).



٢ - الملك فيصل.. دخل مستشفى المواساة بالإسكندرية للعلاج ولم يزره فاروق.



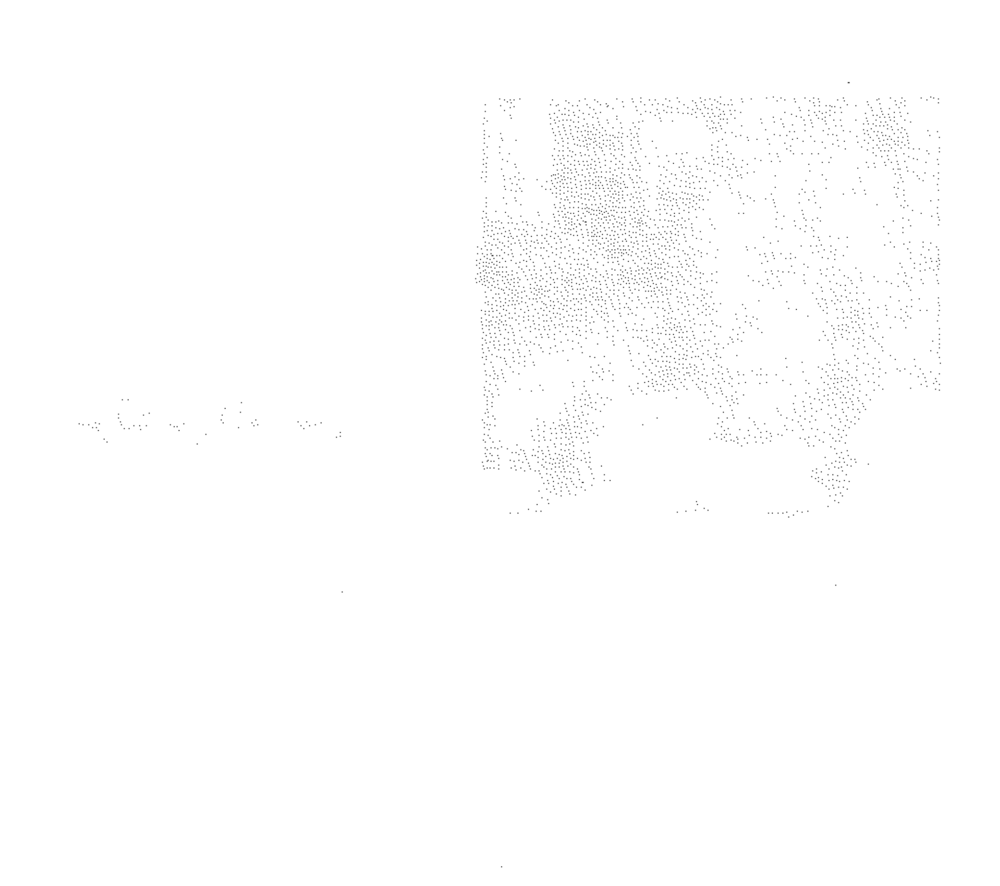
٣ - خالد محيى الدين.. ساعد المراغى على استخراج جواز سفر دون أن يعرفه، «كلمة حق».



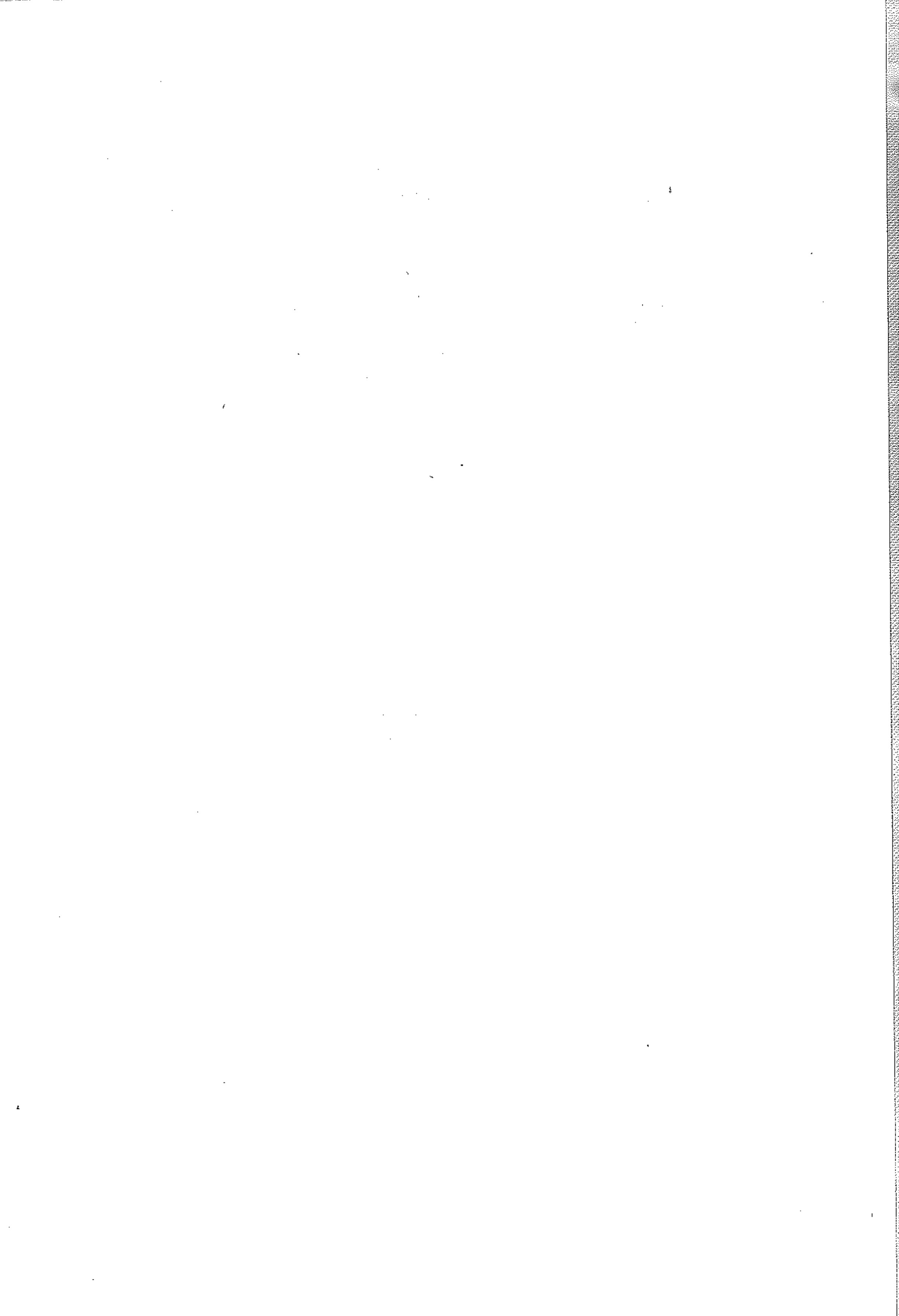


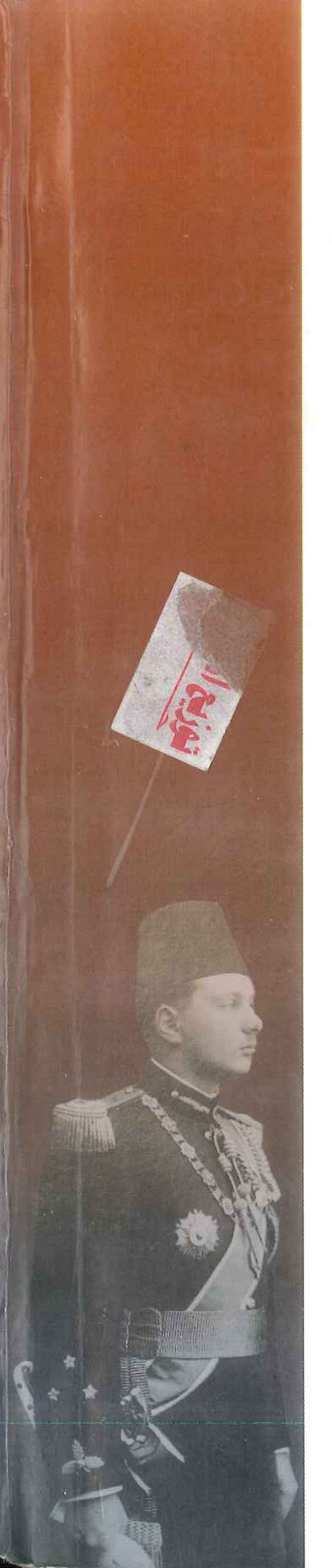
مرتضى المراغى

- من مواليد ١٤ يوليو عام ١٩١٠.
- عمل عقب حصوله على ليسانس الحقوق معاونًا للنيابة ثم محاميًا بقضاء الحكومة.
- عمل سكرتيرًا لمحمد محمود باشا رئيس الوزراء.
- استقال من عمله ورشح نفسه عام ١٩٣٨ لمجلس النواب عن دائرة المراغة بمحافظة سوهاج مستقلا.. وكان واحدًا من أصغر الذين عرفوا طريقهم إلى البرلمان.
- انتقل إلى العمل وكيلاً لمحافظة القناة.. ثم وكيلاً لمحافظة الإسكندرية.. ثم محافظًا للسويس.. ثم مديرًا لمديرية بنى سويف.. ثم القليوبية.. ثم قنا..
- فى عام ١٩٤٧ عين مديرًا للأمن العام.. ثم وكيلاً لوزارة الداخلية حتى عام ١٩٥٠. حيث عين محافظًا للإسكندرية.
- وفي يوم الأحد ٢٧ يناير ١٩٥٢ عين وزيرًا للداخلية في وزارة على باشا ماهر، ولم يكن في ذلك الوقت قد أكمل ٤٢ سنة.
- كان آخر وزير داخلية قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢..



الفهرس





جلس فاروق على العرش فى سن السابعة عشرة.. تملقه عظماء مصر فى ذلك الحين وانحنى له رجال الدولة والسلطة . عاش فاروق ضحية المرض وهو صغير وأب يكره المصريين.. وخلافات عائلية.. ثم ضحية تنصيبه ملكا وهو فى طراوة الصبا وضحالة العلم.. وضحية لمستشارى السوء والأحزاب الفاسدة والحاشية الأجانب فى قصره .

قيل عنه الكثير وكُتب عنه أكثر، واختلفت حوله الآراء ، ولكن لم تكن ظروف النشر فى تلك السنوات للقراءة عن فترة حكم فاروق هى ظروف اليوم لإعادة الوعى المفقود عن تاريخ حكم فاروق الذى سقط عمدًا فى بئر النسيان .

وجاء الوقت الذى يقرأ فيه القارئ المصرى تاريخ بلده على لسان واحد من الذين عاشوا الأحداث وشاركوا فى صنعها.. إنه الأستاذ أحمد مرتضى المراغى آخر وزراء الداخلية قبل الثورة وأحد الذين صنعوا تاريخ مصر وشهدوا على حكم فاروق .



دار المعارف

٠٣٦٠٤٩/٠١

